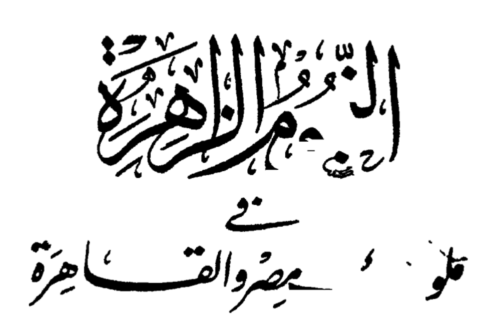


تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء التاسع

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين

الجزء التاسع

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذِكر عَوْد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى مُلْك مصر ثالث مرّة

وقد تقدّم ذكرُ نزوله عن المُلك وتوجُّهه إلى الكَرَك وخَلْع نفسه وما وقع له بالكرك من مجىء نُوغاى ورُفقته، ومكاتباته إلى نوّاب الشام وخروجه من الكرك إلى الشام، طالبًا مُلكَ مصر إلى أن دخل إلى دِمَشْق؛ كلّ ذلك ذكرناه مفصّلا فى ترجمة الملك المظفر بِيبَرْس الجَاشْنَكِير. ونسوق الآن ذِكْرَ دخوله إلى مصر فنقول:

لمّا كانت الثانيةُ من نهار الثلاثاء السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع وسبعمائة، وهى الساعة التى خَلَع الملك المظفرُ بِيبَرْس نفسه فيها من مُلك مصر بديار مصر، خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من دِمشْق يريد الديار المصرية، فانظُر إلى هذا الاتّفاق العجيب، وإقبال سعد الناصر وإدبار سعد المظفّر! وسار الملك الناصر يريد الديار المصريّة وصحبتُه نوّاب البلاد الشاميّة بتمامهم وكمالهم والعساكر الشامية وخواصّه ومماليكه.

وأمّا أمر الديار المصرية فإنّ الملك المظفّر بيبَرس لمّا خَلَع نفسه وخرج من مصر إلى الإطْفِيحيّة جلَس الأمير سلّار بقاعة النيابة من قلعة الجبل وجمع مَنْ بَقِيَ من الأمراء وآهتمّ بحفظ القلعة، وأخرج المحابيس الذين كانوا فيها من حواشى الملك الناصر محمد وغيرهم، ورَكِب ونادَى فى النـاس : اُدْعوا لسلطانكم الملك النـاصر، وكَتَب إلى الملك النـاصر بنزول المظفّر عن المُلك وفراره إلى إطْفيح[1]، وسَيّر بذلك أصـلم الدّوَادار ومعه النَّجاه[2]، وكان قد توجّه قبل ذلك من القاهرة الأمير بيبَرْس المنصورىّ الدوادار، والأمير بهادُر آص فى رسالة المظفّر بيبَرْس أنّه قد ترك السلطنة وأنّه سأل : إمّا الكَرَكَ وإمّا حماةَ وإما صِهْيَوْنَ، وآتّفق يومَ وصولهما إلى غَزّة قدومُ الملك الناصر أيضا إليها، وقدومُ الأمير سيف الدين شاطِى السّلاح دار فى طائفة من الأمراء المصريّين إليها أيضا . ثم قَدِمت العُرْبان وقَدِم الأمرُ مُهنّا بجماعة كثيرة من آل فضـل، فَرَكب السلطان إلى لقائه . ثم قَدِم الأمير بُرُلْغى الأشرفىّ مُقَـدّم عساكر المظفّر بيبرس وزَوْجُ آبنته، والأمير آقوش الأشرفىّ نائب الكَرَك، فسُرّ الملك الناصر بقدومهما، فإنّهما كانا عَضُدَى المظفّر . قال الأمير بيبَرْس الدّوادار المقدّم ذكره فى تاريخه ـــ رحمه الله ـــ :

«وأمّا نحن فإنّا تقدّمنا على البريد فوصلْنا إلى السلطان يوم نزوله على غَزّة فمَثَلْنا بين يديه وأعدْنا المشافهة عليه، وطالَعْناه بنزول الرُّكْن عن السلطنة وآلتماسه مكاناً من بعض الأمكنة، فآستبشر لحَقْن دماء المسلمين وخمود الفتنة، وآتّفق فى ذلك النهار ورودُ الأمير سيف الدين بُرُلْغى والأمير عز الدين[3] البغدادىّ ومَنْ معهما من الأمراء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) النجاة : الخنجر أو السيف الصغير أو السكين المنحنية (فارسى معرب) عن القاموس الفارسى والإنجليزى لاستينجاس.
(٣) فى الأصلين : « فخر الدين » . وتصحيحه عن عقد الجمان وتاريخ سلاطين المماليك وما تقدم ذكره فى الجزء الثامن من هذه الطبعة فى غير موضع .

والمقدَّمين ، وآجتمعنا جميعًا بالدِّهليز المنصور ، وقد شمِلَنا الآبتهاج ، وزال عنّا الآنزعاج ، وأفاض السلطان على الأمراء التشاريف الجليلة على طبقاتهم ، والحوائص[1] الذهب الثمينة لِصِلاتهم ، فلم يَتْرُك أميرا إلّا وصله ، ولا مقدَّمًا حتى شرّفه بالخِلَع وجمّله ، وجَدَّدْنا آستعطاف السلطان ، فيما سأله الرّكن من الأمان[2] ، وكلّ من الأمراء الحاضرين بين يديه يتلطّف في سؤاله ، ويتضرّع في مقاله ؛ حتّى أجاب ، وعُدْنا بالجواب . ورحَل السلطان على الأثر قاصدًا الديار المصرية ؛ فوصلْنا إلى القلعة يومَ الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان ، وآجتمعنا بالأمير سيف الدين سلّار ووجدنا الجاشْنَكِير قد تجاوز موضع الميعاد ، وأخذ في الإصعاد ، وحَمَله الإجفال على الإبعاد ، ولم يَدَعْهُ الرُّعب يستقرّ به قرَار ، ولا تَقَلَّتْهُ معه أرضٌ ولا دار ؛ فآقتضى الحال أن أرسلْنا إليه الكُتُب الشريفة الواردة على أيدينا ، وعدتُ أنا وسيف الدين بهادُر آص إلى الخدْمة السلطانية ، فوجدْنا الدِّهليز على منزلة السعيدية[3] » . انتهى كلام بيبَرْس الدوادار بآختصار .

قلتُ : ولمّا تكاملت العساكر بغزّة سار الملك الناصر يريد الديار المصريّة ، فوافاه أَصْلم دوادار سَلّار بالنَّجّاه ، ثم وصَل[4] رَسْلان الدّوادار فبشّر السلطان بنزوله . وسار حتى نزل بركة الحُجّاج[5] في سلخ شهر رمضان ، وقد جهّز إليه الأميرُ سَلّار الطلب

---

(١) الحوائص ، ذكر المقريزى عند الكلام على سوق الحوائصيين (ص ٩٩ ح ٢) فقال : وتباع فيه الحوائص ، وهى التى تعرف بالمنطقة فى القديم ، فكانت حوائص الأجناد أولا أربعمائة درهم فضة ونحوها . ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار ثلثمائة دينار وأمراء الطبلخانات مائتى دينار ومقدّمى الحلقة من مائة وسبعين الى مائة وخمسين دينارا . ثم صار الأمراء والخاصكية فى الأيام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ، ومنها ما هو مرصع بالجوهر . (٢) كذا فى عقد الجمان وفى الأصلين : « فى الأمان » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) فى أحد الأصلين : « ثم وصل رسلان الدوادار فسر السلطان بوصوله والأمراء والعساكر ثم خرج الأمير سلار إلى لقائه ... الخ » . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

السلطانى والأمراء والعساكر، ثم خرج الأمير سلّار إلى لقائه، وصلّى السلطان صلاة العيد بالدّهليز ببركة الحاج فى يوم الأربعاء مستهلّ شوّال، وخرج الناس إلى لقاء السلطان الملك الناصر. وأنشد الشعراء مدائحهم بين يديه؛ فمن ذلك ما أنشده الشيخ شمس الدين محمد بن على بن موسى الداعى أبياتا منها :

٥ المُلْك عاد إلى حِماه كما بدا * ومحمدٌ بالنصر سَرَّ محمدا
وإيابُه كالسيف عاد لغِمده * ومَعادُه كالوَرد عاوده النَّدَى
الحقُّ مُرْتَجَعٌ إلى أربابه * من كفّ غاصبه وإن طال المدَى

ومنها :

ياوارثَ المُلْكِ العقيمِ تَهَنَّهُ * وآعلم بأنك لم تَسُد فيه سُدَى
١٠ عن خير أسلافٍ ورِثْتَ سريرَه * فوجدتَ مَنصبَه السَّرِىَّ مُمَهَّدَا
يا ناصرًا من خير منصورٍ أتى * كمهنَّد خلَفَ الغَداةَ مهنّدا
آنستَ مُلْكا كان قبلك مُوحِشًا * وجمعتَ شَمْلا كان منه مُبَدَّدَا

ومنها :

فالناس أجمعُ قد رَضُوك مليكَهم * وتضرّعوا ألا تزال مخلّدا
١٥ وتباركوا بسناء غُرّتك التى * وجدوا على أنوار بهجتها هُدَى
الله أعطاك الذى لم يُعطِه * مَلِكًا سواك برَغْم آناف العِدَا
لا زلتَ منصورَ اللواءِ مؤيّد الـ * ـعَزَماتِ ما هتَفَ الحَمَامُ وغرّدَا

ثم قدّم الأميرُ سلّار سماطًا جليلًا بلغت النفقةُ عليه آثنى عشر ألف درهم؛ وجلس عليه السلطان والأمراء والأكابر والعساكر، فلما آنقضى عَزَم السلطان على المَبِيت هناك والركوب بكرة النهار يوم الخميس، فبلغه أن الأمير بُرُلْغِى والأمير آقوش ٢٠ نائب الكرك قد آتّفقا مع البُرْجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث السلطان إلى الأمراء

عرّفهم بمـا بلغه وأمَرهم بالركوب ، فركبوا وركِبت المماليك ودُقت الكُوسات وسار وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد آحتفّت به مماليكه كى لا يصلَ إليه أحد من الأمراء حتى وصـل إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم إلى مشاهدته . فلمـا وصل بين العَرُوسَتَيْنِ[1] ترجّل سلّار عن فرسه، وترجّل سائر الأمراء ومشَوْا بين يديه إلى باب السِرّ[2] من القلعة ، وقد وقَف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السّلاح، حتى عبَر السلطانُ إلى القلعـة ، ثم أمَر السلطانُ الأمراءَ بالآنصراف إلى منازلهم ، وعيّن جماعة من الأمراء الذين يَثِق بهم أن يستمرُّوا على ظهور خيولهم حول القلعة

(١) هـذا المكان ذكره المؤلف أيضا فى موضعين آخرين من هـذا الجزء، إذ قال فى أحدهما : إنه لمـا هدم الملك الناصر محمد بن قلاوون دار العدل التى أنشأها الملك الظاهر بيبرس ، وجعل فى مكانها طبلخاناه وجد فى أساسها أربعة قبور بها رمم أناس، فنقلت هـذه الرمم إلى ما بين العروستين، وجعل عليها مسجدا . وقال فى ثانيهما : وفرشوا للسلطان شقق الحـرير من بين العروستين إلى باب الإصطبل . و بعـد أن تكلم صاحب الكواكب السيارة عن القبور التى بالحصن الشريف أى بقلعة الجبل ذكر مباشرة بعـد ذلك فى صفحة ٢٧٨ من كتابه المذكور أسماء أصحاب القبور التى قيل إنهـا دفنت فيما بين العروستين مما يدل على أن هذا المكان يجاور قلعة الجبل .

و بالبحث تبين لى من مختلف الشواهد الواردة فى غضون الحديث عن الطريق التى كان يسلكها السلاطين والملوك إلى القلعة ومنها إلى المدينة وهى من باب زويلة إلى شارع باب الوزير فشارع المحجر، أن « ما بين العروستين » الوارد ذكره فى هذا الجزء هو الموقع الكائن بين نصبين كانا قائمين على رأس شارع المحجر ، يماثلهما الآن النصبان القائمان على رأس شارع باب الوداع القريب من شارع المحجر، والأنصاب الأخرى القائمة على جانبى أبواب حدائق القصور وساحتها الخارجية .

والمعروف عند العامة أن العروسة هى الشىء القائم المزين يعلق على الجدادات من الأحجار والأخشاب، تشبيها لها بالعروس التى تقعدها الماشطة على المنصة (الكرسىّ) لترى من بين النساء بجلائها .

ومن هـذا يستدل على أن المكان المسمى « بين العروستين » هو الذى به الآن مبنى دار المحفوظات (الدفترخانة المصرية) إذ يقع فى الشمال الغربى لهذه الدار رأس شارع المحجر حيث كانت العروستان قائمتين، ومن بينهما يتفرّع الطريقان الموصلان إلى باب السر من ناحية ، وإلى باب الإصطبل من ناحية أخرى . والأول من هذين الطريقين يعرف الآن بشارع الباب الجديد ، وهو باب القلعة العمومى الحالى ، ومنـه إلى البوّابة الوسطى بالقلعة ، وهى التى كانت تسمى باب السر . والثانى منهما يعرف الآن بسكة المحجر إلى باب العزب ، وهو البـاب الغربى للقلعة ، وكان يسمى قديمـا باب الإصطبل ، و بين هذين الطريقين يقع مبنى دار المحفوظات بالقاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

طول الليل فباتوا على ذلك ، وأصبحوا من الغد وقـد جلس السلطان الملك الناصر على كرسىّ المُلك وهو يوم الخميس ثانى شوّال . وحضر الخليفـةُ أبو الربيع سليمان والقُضاة والأمراء وسائرُ أهـل الدولة للهناء[(١)] ، فقرأ الشيخ شمس الدين محمد بن علىّ ابن موسى الداعى : « قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ » الآية. وأنشد بعضُ الشعراء هذه الأبيات :

تهنّأتِ الدنيا بمقـــدِمه الذى * أضاءت له الآفاقُ شرْقًا ومَغْرِبا
وأمّا سريرُ المُلك فآهــتزّ رِفْعَــةً * ليبلغَ فى التشريف قَصْدًا ومَطْلَبا
وتاق إلى أن يعـلُوَ المَلْكُ فوقه * كما قد حَوَى من قبله الأخَ والأبا

وكان ذلك بحضرة الأمراء والنوّاب والعساكر ، ثم حَلّف السلطان الجميع على طبقاتهم ومراتبهم الكبيرَ منهم والصغير .

ولـمّا تقدّم الخليفة ليسلّم على السلطان نظَر إليه وقال له : كيف تحضُر وتُسـلّم على خارجىٍّ؟ هل كنتُ أنا خارجيًّا؟ وبيبَرْس من سُلالة بنى العباس؟ فتغـيّر وجهُ الخليفة ولم ينْطِق .

قلت : والخليفة هـذا ، كان الملك الناصر هو الذى ولّاه الخلافة بعـد موت أبيه الحاكم بأمر الله .

ثم آلتفتَ السلطان إلى القاضى علاء الدين علىّ بن عبدالظاهر المُوَقّع وكان هو الذى كتب عهـد المظفّر بيبَرْس عن الخليفة ، وقال له : يا أسـودَ الوجه ، فقال آبن عبد الظاهر من غير توقّف : ياخَوَنْد ، أبلقُ خيرٌ من أسود . فقال السلطان : ويلك ! حتّى لا تترك رَنْكه[(٢)] أيضا ، يعنى أنّ آبن عبد الظـاهر كان ممّن ينتمى

---

(١) يريد التهنئة بالملك . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

إلى سَلّار ، وكان رَنْك سَلّار أبيض وأسودَ . ثم ٱلتفتَ السلطان إلى قاضى القُضاة بدر الدين [محمد][1] بن جَمَاعة وقال له : ياقاضى ، كنتَ تُفْتِى المسلمين بقتالى ؟ فقال : معاذَ الله ! أن تكون الفَتْوَى كذلك ، وإنّما الفتوى على مقتضى كلام المُسْتَفْتِى . ثم حضَر الشيخ صدر الدين محمد بن عمر [بن مكّى بن عبد الصمد الشهير با][2]بن المُرَحِّل وقبّل يد السلطان ، فقال له السلطان : كنتَ تقول فى قصيدتك : ٥

* ما للصبىّ وما للمُلك يكفُلُه *

فحلَف ٱبن المُرَحِّل بالله ما قال هذا ، وإنّما الأعداءُ أرادوا إتلافى فزادوا فى قصيدتى هذا البيت ، والعفوُ من شِيَم الملوك فعفا عنه . وكان ٱبن المُرَحِّل قد مدَح المظفّر بيبَرْس بقصيدة عرّض فيها بذكر الملك الناصر محمد ، من جملتها :

ما للصّبىّ وما للمُلك يَكفُلُه * شأنُ الصبىّ بغير المُلك مألوفُ ١٠

ثم ٱستأذن شمس الدين[3] محمد بن عدلان للدخول على السلطان ، فقال السلطان للدّوادار ، قل له : أنت أفتيتَ أنّه خارجىٌّ وقتاله جائز ، مالك عنده دخول ، ولكن عرِّفه هو وٱبن المُرَحِّل يَكفيهما ما قال الشّارِمْسَاحىُّ[4] فى حقّهما ، وكان من خَبَر ذلك أنّ الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشّارِمْسَاحىّ الماجن مدَح السلطان الملك الناصر بقصيدة يهجو فيها المظفّر بيبَرْس ويُعرِّض لصحبته ٱبن المُرَحِّل وٱبن عدلان ، منها[5] : ١٥

---

(١) زيادة عن السلوك . (٢) تكلة عما سيذكره المؤلف فى وفاته سنة ٧١٦ هـ والدرر الكامنة والمنهل الصافى . (٣) ارجع إلى الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) الشارمساحى : نسبة إلى شارمساح ، إحدى قرى مركز فارسكور بمديرية الدقهلية بمصر . وردت فى نزهة المشتاق للإدريسى : شارمساح على الضفة الشرقية لفرع دمياط ، قال : وهى مدينة جايلة ، ولكنها ليست بالكبيرة . وو ردت فى معجم البلدان : وشارمساح : قرية كبيرة كالمدينة من كورة الدقهلية بمصر ، بينها و بين دمياط خمسة فراسخ . وردت فى التحفة السنية لأبن الجيعان أيضا : شارمساح من أعمال الدقهلية . ٢٠

(٥) أورد صاحب عقد الجمان هذه القصيدة فى سبعة عشر بيتا ولم يذكر فيها البيت الأخير .

وَلَّى المظفَّـــرُ لمّـا فاته الظَّفَرُ * وناصرُ الحقّ وافَى وهو منتصِر (١)
وقد طَوَى اللهُ من بين الوَرَى فِتَناً * كادت على عُصبة الإسلام تَنْتَشِرُ
فقل لبِيبَرْس إنّ الدهرَ ألبسهُ * أثوابَ عاريةٍ فى طولها قِصَرُ
لمّـا تَوَلَّى تولّى الخيرُ عن أُمم * لم يَحْمَدُوا أمرهم فيها ولا شَكَرُوا
وكيف تمشى به الأحوالُ فى زمنٍ * لا النِّيلُ وافى ولا وافاهمُ مَطَرُ
ومن يقوم ٱبنُ عَدْلانٍ بنُصْرته * وٱبنُ المُرَحِّل قل لى كيف ينتصر

وكان المَطر لم يَقَع فى تلك السنة بأرض مصر وقصَّر النيل، وشَرِقت البلاد وٱرتفع السـعر. وٱتفق أيضا يوم جلوس السلطان الملك الناصر أنّ الأمراء لمّـا ٱجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان، أشار الأفرم نائب الشام لمُنْشِدٍ يقال له مسعود أحضره معه من دِمَشق، فقام مسعود وأنشد أبياتاً لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجّه الملك الناصر من الديار المصرية إلى الكَرَك: منها:

أحِبّـــةَ قلبى إنّنى لوحيـــدُ * أُريد لقـاكم والمَزار بعيـــدُ
كفى حَزَناً أنّى مقيمٌ ببـلدةٍ * ومَنْ شَفَّ (٢) قلـبى بالفراق فريدُ
أجول بطَرْفى فى الديار فلا أرَى * وجـوه أحبّـائى الذين أُرِيدُ

فتواجد الأفرمُ وبكى وحَسَر عن رأسه [ووضع] (٣) الكَلْفَتاةَ على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، وتناول الأميرُ قَراسنقر الكَلْفتاة ووَضَعها بيـده على رأس الأفرم، ثم خرج السلطان فقام الجميع، وصرخ الجاويشيةُ فقبّل الأمراء الأرض وجَرى ما ذكرناه، وٱنقضت الخدْمة، ودخل السلطان إلى الحريم.

---

(١) رواية الدرر الكامنة: «وناصر الدين... الخ».
(٢) كذا فى السلوك (لوحة ٣٢٧ وجه رابع أول) وفى الأصلين: «ومرشف قلى... الخ».
(٣) الزيادة عن السلوك.

ثم بعد الخدمة قدّم الأمير سلّار النائب عِدّةً من المماليك والخيول والجمال وتعابى(١) القُماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبِل السلطان شيئاً وردّ الباقى . وسأل سلّارُ الإعفاءَ من الإمرة والنيابة وأن يُنْعَم عليه بالشُّوبَك فأُجيب إلى ذلك ، بعد أن حلَف أنّه متى طُلِب حضَر، وخلَع السلطان عليه، وخرَج سلّار من مصر عصر يوم الجمعة ثالث شوّال مسافراً إلى الشُّوبَك ، فكانت مدّةُ نيابة سلّار على مصر إحدى عشرة سنة ، وكانت الخلْعة التى خلَعها السلطان عليه بالعَزْل عن النيابة أعظم من خِلْعة الولاية ، وأعطاه حِياصَةً من الذهب مُرصَّعة، وتوجّه معه الأميرُ نظام الدين آدم مُسَفِّراً له ، وآستقرّ أمير علىّ بن سلّار بالقاهرة، وأعطاه السلطان إمْرة عشرة بمصر . ثم فى خامس شوّال قَدِم رسول المظفّر بيبرس يطلب الأمان فأمّنه السلطان.

وفيه خلع السلطان على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورىّ بآستقراره فى نيابة دِمَشْق، عِوَضًا عن الأمير آقوش الأفرم بحُكْم عزله . وخلَع على الأمير سيف الدين قَبْجَق المنصورىّ بنيابة حلب عِوضا عن قراسنقر . وخلَع على أَسَنْدَمُرْكُرْجى بنيابة حماة عِوضًا عن قَبْجَق ، وخلَع على الحاج بهادُر الحلبىّ بنيابة طرابُلُس عِوَضًا عن أَسَنْدَمُرْكُرْجى . وخلَع على قُطْلُوبك المنصورىّ بنيابة صَفَد عِوضًا عن بَكْتَمر الجُوكَنْدار . وآستقرّ [سُنْقُر](٢) الكمالىّ حاجب الحجّاب بديار مصر على عادته ، وقَرالاجِين أمير مجلس على عادته . و بيبَرْس الدوادار على عادته، وأُضيف إليه نيابة دار العدل ونَظَر الأحباس(٣) . وخلَع على الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام كان بنيابة صَرْخَد على خُبْز مائة فارس . وأنعم السلطان على نُوغَاى القَبْجاقىّ بإقطاع الأمير قُطْلُوبك المنصورىّ ، وهو إمْرة مائة وتقدمةُ ألف بدِمَشْق . ونُوغَاى هذا هو صاحب الواقعة مع المظفّر والخارج من مصر إلى الكَرَك . انتهى .

(١) يريد بها ثياب القماش المحزومة . (٢) ز ٤٠١ عن السلوك للمقريزى وتاريخ سلاطين المماليك والدرر الكامنة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثم رسم السلطان لشهاب الدين بن عبادة بتجهيز الخلَع والتشاريف لسائر أمراء الشام ومصر فجُهّزت، وخلَع عليهم كلِّهم فى يوم الآثنين سادس شوّال، وركبوا بالخلَع والتشاريف فكان لركوبهـم يومٌ عظيم . وفى يوم الأحد ثانى عشر شوّال آستقرّ فخر الدين عمر بن الخليلىّ(١) فى الوزارة عِوضًا عن ضياء الدين النشائىّ. ثم رسَم السلطان للنوّاب بالسفر، فأوّل من سافر منهم الأميرُ قَبْجَق نائب حلب، وخرجت معه تجريدةٌ من العساكر المصريّة خوفًا من طارق يطرُق البلاد. والذى تجرّد مع قَبْجَق من أمراء مصرهم : الأمير جُبَا أخو سلّار ، وطُرُنْطَاى البغدادىّ، وعلاء الدين أَيْدُغْدى ، و[سيف الدين](٢) بهادُر الحمَوِىّ، و[سيف الدين](٢) بَلَبان الدِّمَشْقىّ، وسابق الدين بُوزنا(٣) الساقى، وركن الدين بِيبَرْس الشجاعىّ(٢)، و[سيف الدين] كُورِى السلاح دار ، و[علاء الدين](٢) آقطوان الأشرفىّ(٤)، و[سيف الدين](٢) بهادُر الجُوكُندار، و[سيف الدين] بَلَبان الشمسىّ، و[علاء الدين](٤) أَيْدُغْدى الزّرّاق، و[سيف الدين](٢) كُهُرْدَاش الزّرّاق، و[سيف الدين](٢) بكْتَمُر أُستادار، و[عِزّ الدين](٢) أَيْدَمُرْ الإسماعيلىّ ، و[فارس الدين](٢) أَقْطاى الجمدار، وجماعة من أمراء العشرات. فلمّا وصلوا إلى حلب رَسَم بإقامة جماعة منهم بالبلاد الشاميّة ، عِدَّتُهم ستة من أمراء الطبلخاناه، وعادت البقيّـة .

وفى يوم الخميس سادس عشر شـوّال حضَر الأمراء للخدمة على العـادة ، وقد قرّر السلطان مع ممـاليكه القبضَ على عِدّة من الأمراء ، وأنّ كل عشرة يَقْبِضون أميرا ممّن عيّنهم، بحيث يكون العشرة عنـد دخول الأمير مُحْتَفَّةً به ، فإذا رُفِـع السِّماط وآستدعى السلطانُ أميرَ جاندار قبَض كلُّ جماعة على مَنْ عُيِّن لهم، فلمّا حضَر الأمراء

(١) هو الصاحب فخر الدين عمـر بن عبد العزيز بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم الخليلى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧١١ هـ . (٢) زيادة عن عقد الجمان . (٣) فى الأصلين هنا وفى عقـد الجمان : « بوزبا » . وما أثبتناه عما تقدّم ذكره فى صفحتى ٣٤، ١١٧ من الجـزء السابع من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن عقد الجمان والمنهل الصافى .

في الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا القصد وجلسوا على السماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة، وعند ما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين، وعدتهم آثنان وعشرون أميرًا فلم يتحرك أحد منهم، فبهت الجميع ولم يفلت منهم سوى جركتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأنه رعف وخرج من غير أن يشعر به أحد، وآختفى عند الأمير قراسنقر، وكان زوج أخته فشفع قرا سنقر فقبل السلطان شفاعته .

وكان الأمراء المقبوض عليهم : الأمير باكير(١) وأيبك البغدادي وقينغار(٢) التقوي وقجماس وصاروجا وبيبرس، وبيدمر وتينوا(٣)، ومنكوبرس، وإشقتمر، والسيواسي و[سنقر] الكمالي الحاجب، والحاج بيليك [المظفري](٤)، والقتمي، وإكبار، وحسن الردادي، وبلاط وتمربغا، وقيران، ونوغاي الحموي وهو غير نوغاي القبجاقي صاحب الواقعة(٥)، وجماعة أخر تتمة الآثنين وعشرين أميرًا . وفي ثالث عشرين شوال آستقر الأمير [سيف الدين](٦) بكتمر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطنة بديار مصر عوضًا عن سلار . وفيه أمر السلطان آثنين وثلاثين أميرًا من مماليكه، منهم : تنكز الحسامي الذي ولي نيابة الشام بعد ذلك، وطغاي(٧)، وكستاي(٨)، وبجليس(٩)، وخاص ترك،

(١) في السلوك : «باكر» . (٢) كذا في أحد الأصلين . وفي الأصلين الآخر : «قينار» . وفي السلوك : «بلبان التقوي» . (٣) هكذا ورد في الأصلين والسلوك (لوحة ٣٢٩ قسم رابع أول) .
(٤) زيادة عن السلوك . (٥) الواقعة التي يشير إليها المؤلف هنا هي أن نوغاي القبجاق المذكور آتفق مع جماعة من المماليك السلطانية للهجوم على المظفر بيبرس الجاشنكير وقتله فلم يظفر بذلك وعزم على الرحيل إلى الملك الناصر بالكرك . (راجع تلك الحادثة في ص ٢٤٨ وما بعدها من الجزء الثامن من هذه الطبعة) . (٦) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك وعقد الجمان .
(٧) هو طغاي بن عبد الله الناصري الأمير سيف الدين . توفي سنة ٧١٨ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٨) هو كستاي بن عبد الله الناصري الأمير سيف الدين . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧١٦ هـ . (٩) في الأصلين : «بجماس» وهو خطأ تصحيحه عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة . وهو بجليس بن عبد الله أمير سلاح الأمير سيف الدين . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٣١ هـ .

وطط قرا(١)، وأقتمر(٢)، وأيدمر الشيخى(٣)، وأيدمر الناق، وبيبرس أمير آخور، وطاجار [المارديني الناصرى](٤) وخضر بن نوكاى، وبهادر قبجق(٥)، والحاج أرقطاى، وأخوه [سيف الدين](٦) أيتمش المحمدى، وأرغون الدوادار الذى صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، وسنقر المرزوقى(٧)، وبلبان الجاشنكير، وأستبغا [بن عبد الله المحمودى الأمير سيف الدين](٨)، وبيبغا المكى(٩)، وأمير على بن قطلوبك، ونوروز أخو جنكلى، وألجاى الحسامى، وطيبغا حاجى، ومغلطاى العزى(١٠) صهر نوغاى، وقرمشى الزينى، وبكتمر قبجق(١١)، وتينوا الصالحى، ومغلطاى البهائى، وسنقر السلاح دار، ومنكلى بغا، وركبوا الجميع بالخلع والشرابيش من المنصورية(١٢) بين القصرين(١٣) وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرميلة(١٤) وصفت المغانى وأرباب الملاهى فى عدة أماكن، ونثرت عليهم الدراهم فكان يوما مشهودا. وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه وعشراوات. وفيه قبض السلطان على برلغى الأشرفى وجماعة أخر. ثم بعد أيام أيضا قبض السلطان على الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى الأستادار، والأمير [بدر الدين](١٥) بكتوت الفتاح أمير جاندار بعد ما حضرا من عند الملك المظفر بيبرس، وخلع عليهما، وذلك بعد الفتك بالمظفر بيبرس حسب

---

(١) فى السلوك: «وخلط قرا». (٢) فى السلوك: «وأركتمر». (٣) فى السلوك: «السايق». (٤) زيادة عن الدرر الكامنة. (٥) فى أحد الأصلين: «وبهادر بجق». (٦) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك والمنهل الصافى. (٧) فى الأصلين: «سنقر الرومى» وتصحيحه عن الدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك. (٨) زيادة عن المنهل الصافى. (٩) فى أحد الأصلين: «يلبغا المكى». وفى السلوك: «بيبغا الملكى». (١٠) كذا فى أحد الأصلين والسلوك. وفى الأصل الآخر: «العربى». (١١) فى أحد الأصلين: «وبكتمر بجق». (١٢) يريد المدرسة المنصورية. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (١٣) شارع المعز لدين الله الآن. (١٤) فى الأصلين: «إلى الرملة» وتصحيحه عن السلوك. وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (١٥) زيادة عن السلوك.

ما ذكرناه في ترجمة المظفر بيبرس، وسكتنا عنه هنا لطول قصّته، ولقصر مدّة حكايته، فإنّه بالأمس ذُكِر فليس لتكراره محلّ، ومن أراد ذلك فلينظُر في ترجمة المظفّر بيبرس. انتهى. وفيه سَفّر الأمراءَ المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندريّة، وكتَب بالإفراج عن المعتقلين بها، وهم: آقوش المنصوريّ قاتل الشجاعيّ، والشيخ على التّاريّ، ومَنْكَلِي التّاري، وشاورشي[1] [قنقر] وهو الذى كان أثار فتنة الشجاعيّ، وكَتْبُغا، وغازِي وموسى أخوا حمدان بن صُلْغَاى، فلمّا حضروا خلَع عليهم وأنعم عليهم بإمريات في الشام. ثم أحضَر شيخَ الإسلام تقِيّ الدين أحمد ابن تَيْمِيّة من سجن الإسكندرية وبالغ في إكرامه، وكان حبَسه المظفّر لأمرٍ وقع بينه وبين علماء دِمَشْق ذكرناه في غير هذا الكتاب، وهو بسبب الاعتقاد وما يُرْمَى به أوباش الحنابلة. وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرين صفر سنة عشر وسبعمائة عزَل السلطان قاضيَ القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي عن قضاء الديار المصرية بقاضي القُضاة جمال الدين أبي داود سليمان آبن مجد الدين أبي حفص عمر الزرعيّ، وعزل قاضيَ القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم السُّرُوجيّ الحنفيّ، فأقام بعد عزله سنة[2] أيام ومات.

ثم كتَب السلطان الملك الناصر بالقبض على الأمراء الذين كان أطلقهم من حبس الإسكندرية وأنعم عليهم بإمريات بالبلاد الشاميّة خوفًا من شرّهم. ثم آستقر السلطان بالأمير بكْتَمُر الحسامي حاجب دِمَشْق في نيابة غَزّة عِوضًا عن بَلَبان البَدْريّ. ثم قبَض السلطان على قطلقطو، والشيخ عليّ وضروط، مماليك سَلّار،

(١) في الأصلين هنا: «شاور» والتصحيح والزيادة عن عقد الجمان والسلوك (لوحة ٣٣٢). وقد تقدّم ذكره في الحاشية رقم ١ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة باسم سيف الدين قنقغ التتاري.
(٢) في تاريخ سلاطين المماليك: «وقد عزل قبل وفاته بثمانية عشر يوما».

وأمّر عوضَهم جماعةً من مماليكه وحواشيه، منهم: بَيْبغَا الأشرفى، و[سيف الدين](١) جغتاى(٢)، وطَيْبُغا الشمسى، وأيدَمُر الدوادار، وبهادُر(٣) النقيب .

وفيها حضَر ملك العرب حُسام الدين مُهَنّا أمير آل فضل فأكرمه السلطان وخلَع عليه، وسأل مُهَنّا السلطان فى أشياء وأجابه، منها: ولاية حَماة للملك المؤيّد إسماعيل ابن الملك الأفضل [علىّ(٤) ابن المظفّر محمود ابن المنصور محمد تقىّ الدين] الأيّوبىّ، فأجابه إلى ذلك ووعده بها بعد أَسَنْدَمُر كُرْجى، ومنها الشفاعة فى أَيْدَمُر الشَّيْخى فعفا عنه وأخرجه إلى قُوص(٥)، ومنها الشفاعةُ فى الأمير بُرُلْغى الأشرفى، وكان فى الأصل مملوكه قد كَسَبه مُهَنّا هذا من التتار ثم أهـداه إلى الملك المنصور قلاوون، فورِثه منه ابنه الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، فعدَّد السلطان الملك الناصر ذنوبه فما زال به مُهَنّا حتى خفّف عنه، وأذِن للناس فى الدخول عليـه ، ووعده بالإفراج عنـه بعد شهر ، فرضِى بذلك وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء على الملك الناصر .

ولمـا فَرَغ السلطان الملك الناصر من أمر المظفّر بيبرس وأصحابه ولم يَبْقَ عنده ممّن يخشاه إلّا سَلّار ، ندبَ إليه السلطان الأميرَ ناصر الدين محمد ابن أمير سـلاح بَكْتَاش الفخرى وكتَب على يده كتابا بحضوره إلى مصر، فاعتذر سَلّار عن الحضور إلى الديار المصرية بوَجَع فى فؤاده، وأنّه يحضُر إذا زال عنه، فتخيّل السلطان من تأخّره وخاف أن يتوجّه إلى التتار؛ فكتَب إلى قَراسُنْقُر نائب الشام وإلى أَسَنْدَمُر نائب حَمـاة بأخْذ الطُّرُق على سَـلّار لئلّا يتوجّه إلى التتار . ثم بعث الملك الناصر بالأميرين: بيبَرس الدوادار وسَنْجَر الجاولى إلى الأمير سلّار، وأكّد عليهما إحضاره

(١) زيادة عن السلوك . (٢) فى الدرر الكامنة «جقطاى» بالقاف والطاء .
(٣) هو بهادر الإبراهيمى . تنقل إلى أن صار نقيب المماليك ، ثم صرفه الناصر سنة ٧١٦ هـ . وأمره على الحاج . (عن الدرر الكامنة) . (٤) زيادة عن السلوك والدرر الكامنة .
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وأن يَضْمنا له عن السلطان أنه يريد إقامته عنده يستشيره فى أمور المملكة ، فقدِما على سَلّار وبلّغاه عن السلطان ما قال، فوعدهما أنه يحضُر، وكتَب الجواب بذلك، فلما رجعا آشتد قَلَقُ السلطان وكَثُر خيالُه منه .

وأمّا سَلّار فإنه تحيّر فى أمره وآستشار أصحابه فاختلفوا عليه، فمنهم : من أشار بتوجُّهه إلى السلطان ، ومنهم من أشار بتوجُّهه إلى قُطْر من الأقطار : إمّا إلى التتار ٥ أو إلى اليمن أو إلى بَرْقة ، فعوّل على المسير إلى اليمن ، ثم رجع عن ذلك وأجمع على الحضورَ إلى السلطان، وخرج من الشُّوبَك وعنده ممّن سافر معه [من مصر] (١) أربعمائة وستون فارسًا ، فسار إلى القاهرة ، فعند ما قَدِم على الملك الناصر قبَض عليه وحبَسه بالبُرج (٢) من قلعة الجبل، وذلك فى سلخ شهر ربيع الأوّل (٣) سنة عشر وسبعمائة . ثم ضيّق السلطان على الأمير بُرْلُغِى بعد رواح الأمير مُهَنّا، وأخرج حريمَه ١٠ من عنده؛ ومنَع ألّا يدخُل إليه أحدٌ بأكل ولا شرب حتى أشْفَى على الموت ويَبِسَت أعضاؤه وخَرِس لسانُه من شدّة الجوع ، ومات ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب .

وأمّا أمرُ سلّار فإنه لما حضَر بين يدى الملك الناصر عاتبه عِتابًا كثيرا وطلَب منه الأموال، وأمَر الأميرَ سَنْجَر الجاولى أن ينزل معه ويتسلّم منه ما يُمْليه من الأموال، فنزل معه إلى داره ففتَح سلّار سَرَبًا تحت الأرض ، فأخرج منه سبائك ١٥ ذهب وفِضّة وجُرُب من [الأَدِيم] (٤) الطائفِى، فى كل جِراب عشرة آلاف دينار ، فحملوا من ذلك السَّرب أكثرَ من [حِمل] (٤) خمسين بغلًا من الذهب والفِضة، ثم طلع سلّار إلى الطارِمة (٥) التى كان يَحكُمُ عليها فحفروا تحتها ، فأخرجوا سبعًا وعشرين خابيةً مملوءةً

(١) زيادة عن السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) فى السلوك : « شهر ربيع الآخر » . (٤) زيادة عن عقد الجمان . ٢٠
(٥) تقدم فى الحاشية رقم ٤ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أن الطارمة بيت من خشب وهو دخيل .

ذهبًا. ثم أخرج من الجواهر[١] شيئًا كثيرًا، منها : حجر بهرمان زِنَتُه أربعون مثقالًا، وأخرجَ ألفى حِياصَـة ذهب مُجَوْهرة بالفصوص، وألفى قِلادةٍ من الذهب، كلّ قَلادة تُساوى مائةَ دينار، وألفى كَلْفَتاة زَرْكش وشيئًا كثيرا؛ يأتى ذكره أيضا بعد أن نذكر وفاته . منها : أنهم وجدوا له لجُمًا مفضّضةً فنكّتُوا الفِضّة عن السيور ووزنوها ، فجاء وزنُها عشرة قناطير بالشامى . ثم إنّ السلطان طلَبـه وأَمَر أن يُبْنَى عليـه أربعُ حِيطان فى مجلسه، وأمَر ألّا يُطْعَم ولا يُسْقَى ؛ وقيل : إنه لمـا قبَض عليه وحبَسه بقلعة الجبل أحضر إليه طعاما فأبَى سلّار أن يأكل وأظهر الغضب، فطُولِـع السلطان بذلك، فأمر بألّا يُرسل إليـه طعامٌ بعـد هذا، فبَقِى سبعةَ أيام لا يُطعَم ولا يُسقَى وهو يستغيث الجوع، فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباقٍ مُغَطّاة بسُفَر الطعام، فلما أحضروها بين يديه فرِح فرحًا عظيما وظنّ أنّ فيها أطعمةً يأكل منها، فكشفوها فإذا فى طبقٍ ذهبٌ، وفى الآخر فضّة، وفى الآخر لؤلؤٌ وجواهر، فعَلِم سلّار أنه ما أرسل إليه هذه الأطباق إلا لِيُقابِله على ماكان فعَـله معه ، فقال سلّار : الحمـد لله الذى جعلنى من أهل المقابلة فى الدنيا ! وبَقِى على هــذه الحالة آثنى عشر يومًا ومات، فأعلموا الملك الناصر بموته فجاءوا إليه، فوجدوه قـد أكل ساق خُفِّه، وقد أخذ السَّرْمُوجَة[٢] وحطّها فى فِيه وقد عضّ عليها بأسنانه وهو ميّت؛ وقيل : إنهم دخلوا عليه قبل موته وقالوا : السلطان قد عفا عنك، فقام من الفَرَح ومَشَى خطواتٍ ثم خَرّ ميّتا، وذلك فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة ؛ وقيل : فى العشرين من جُمادى الأولى من السنة المذكورة. فأخذه الأميرُ عَلَم الدين سَنْجَر الجاولى بإذن السلطان وتولّى غُسلَه وتجهيزَه، ودفَنه

(١) عبارة عقد الجمان : « مائة حجر من الجواهر وفيها حجر بهرمان ... الخ » .

(٢) فى كتاب الألفاظ الفارسية المعربة «سرموزة» . وهى نوع من الأحذية ، مركب من «سر» أى فوق ، ومن « موزة » أى الخف ، والسرموجة والسرموزة والسرموز لغات فيه .

بتربته التي أنشأها بجانب مدرسته على الكَبْش خارج القاهرة بالقُرب من جامع[1] ابن طولون، لصداقة كانت بين الجاولي وسلّار قديما وحديثا . وكان سلّار أسمر اللون أسِيلَ الخَدّ لطيفَ القَدّ صغير اللحية تركيّ الجنس، وكان أصله من مماليك الملك الصالح عليّ بن قلاوون الذي مات في حياة والده قلاوون؛ وكان سلّار أميرا جليلا شجاعا مقداما عاقلا سَيُوسًا، وفيه كرمٌ وحشمةٌ ورياسة، وكانت داره بين القصرين بالقاهرة[2] . وقيل : إنّ سلار لما حج المرة الثانية فرّق في أهل الحرمين أموالا كثيرة وغلالا وثيابا، تخرج عن حدّ الوصف حتى إنه لم يدَع بالحرمين فقيرا، وبعد هذا مات، وأكبر شهواته رغيف خُبز، وكان في شونته يوم مات من الغلال ما يزيد على أربعمائة ألف إردب . وكان سلّار ظريفا لِبِّيسًا كبير الأمراء في عصره،

(١) تربة سنجر التي أنشأها بجوار مدرسته، ذكرها المقريزي في خططه باسم المدرسة الجاولية (ص ٣٩٨ ج ٢) فقال : إنها بجوار الكبش فيما بين القاهرة ومصر (مصر القديمة) . أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ٧٢٣ هـ . ولما تكلم على الخوانك ذكر هذه المدرسة كذلك باسم الخانقاه الجاولية (ص ٤٢١ ج ٢) فقال : إن هذه الخانقاه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولي في سنة ٧٠٣ هـ، قال : وقد تقدّم ذكرها في المدارس .

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم باسم الجاولية أو جامع الجاولي بشارع مراسينا بقرب جامع ابن طولون بالقاهرة، على أن الصواب أنها أنشئت في سنة ٧٠٣ هـ، كما هو مذكور في اللوحتين المثبتتين : إحداهما بأعلى باب المدرسة، والثانية على باب تربة الأمير سلار .

ومن ينظر من الوجهة الفنية إلى الوجهة البحرية الشرقية لهذه المدرسة والمئذنة والقبتين المجاورتين لها اللتين تعلوان تربتي الأميرين : سلار وسنجر يرى مجموعة فنية فريدة من نوعها تلفت الأنظار برونقها وحسن شكلها .

(٢) دار سلار ببين القصرين بالقاهرة، لما تكلم المقريزي في خططه على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال : ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى بيت أمير سلاح المعروف بقصر أمير سلاح، وإلى دار الأمير سلار نائب السلطنة، وإلى دار الطواشي سابق الدين مثقال، ومدرسته التي يقال لها المدرسة السابقية . وبالبحث تبين لي أن الزقاق المسلوك فيه إلى دار الأمير سلار هو الذي يعرف اليوم بدرب قرمز . ومن أوله على اليمين بيت أمير سلاح الذي يعرف الآن بقصر بشتاك، وفي آخره المدرسة السابقية، وكلاهما قائم الى اليوم .

وأما دار الأمير سلار فقد اندثرت، وكانت واقعة على يسار الداخل في درب قرمز في المنطقة التي تحدّ الآن من الجنوب بدرب قرمز، وكان فيه الباب، ومن الشرق بعطفة قرمز، ومن الشمال والغرب شارع التمبكشية بقسم الجمالية بالقاهرة .

اقترح أشياء من الملابس كثيرة مثل السَّلّارِى وغيره، ولم يُعرف لُبْس السلّارِىّ قبله، وكان شَهِد وقعة شَقْحَب[١] مع الملك النـاصر وأَبْلَى فى ذلك اليوم بلاءً حسنا وثخنت جراحاتُه[٢]، وله اليدُ البيضاءُ فى قتال التتار . وتولّى نيابة السلطنة بديار مصر، فٱستقلّ فيها بتدبير الدولة الناصرية نحو عشر سنين . ومن جملة صـدقاته أنه بعث إلى مكة فى سنة ٱثنتين وسبعمائة فى البحر المـالح عشرة آلاف إردب قمح ففرّقت فى أهل مكة، وكذا فعل بالمدينة . وكان فارسًا، كان إذا لَعِب بالكُرة لا يُرَى فى ثيابه عَرَق، وكذا فى لعب الرمح مع الإتقان فيهما .

وأمّا ما خلّفه من الأموال فقد ذكرنا منه شيئا ونذكر منه أيضا ما نقله بعض المؤرّخين . قال الجَزَرِىّ[٣] : وُجِد لسلّار بعد موته ثمانمائة ألف ألف دينار، وذلك غير الجوهر والحُلِىّ والخيل والسلاح . قال الحافظ أبو عبد الله الذّهبىّ : هذا كالمستحيل، وحَسِبَ زنةَ الدينـار وجُمَلَه بالقنطار فقال : يكون ذلك حِمْلَ خمسة آلاف بَغْل، وما سَمِعنا عن أحد من كبار السلاطين أنه مَلَك هـذا القدر، ولا سيما ذلك خارج عن الجوهر وغيره . انتهى كلام الذهبىّ .

قلت : وهو معذور فى الجَزَرِىّ، فإنه جازف وأمعن .

وقال ٱبن دُقْمـاق[٤] فى تاريخه[٥] : وكان يدخل إلى سـلّار فى كل يوم من أُجرة أملاكه ألفُ دينار . وحكَى الشيخ محمد بن شاكر الكُتُبىّ[٦] فيما رآه بخط الإمام العالم

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٢) كذا فى الأصلين «يريد : أثخنته جراحاته» . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقاق صارم الدين . توفى سنة ٨٠٩ ﻫ (عن المنهل الصافى).

(٥) يريد بتاريخه الجوهر الثمين، فى سير الملوك والسلاطين . وتوجد منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية، إحداهما مخطوطة والأخرى مأخوذة بالتصوير الشمسى تحت رقمى (١٥٢٢ و ١٥٨٧ تاريخ).

(٦) هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبـد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر صـلاح الدين المؤرخ الكتبى الدارانى الدمشقى . وله من التواريخ القيمة كتاب عيون التواريخ، و يوجد منه خمسة مجلدات =

العلّامة علَم الدين البِرْزالىّ[1]، قال : رَفَع إلىّ المولى جمالُ الدين ابن الفُوَيْرة[2] ورقةً فيها قَبْضُ أموال سلّار وقت الحَوْطة عليه في أيام متفرّقة، أوّلُها يوم الأحد: ياقوت أحمر وبَهْرَمان[3] رطلان. بَلَخْش[4] رطلان ونصف. زُمُرُّد رَيْحانِيّ[5] وذُبابِيّ[6] تسعة عشر رطلا. صناديق ضمنُها فصوص [وجواهر][7] ستة . ما بين زُمُرُّد وعين الهِـرّ[8] ثلثمائة قطعة كِبار . لؤلؤ مدوّر من مِثقال إلى درهم ألف ومائة[9] وخمسون حبّة . ذهب عَيْن مائتا ألف دينار وأربعة وأربعون ألف دينار . ودراهم أربعمائة ألف وأحد وسبعون ألف درهم . يوم الاثنين : فصوص مختلفة رطلان . ذهب عَيْن خمسة وخمسون ألف دينار ، دراهم ألف ألف درهم . مصاغ وعُقود ذهب

= مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٩٤٩) وستة عشر مجلدا من نسخة أخرى ، بعضها مخطوط والبعض الآخر مأخوذ بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٤٩٧ تاريخ) وله أيضا كتاب فوات الوفيات وهو ذيل على كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ويوجد منه ثماني نسخ بدار الكتب المصرية وكلّها مطبوعة . توفى سنة ٧٦٤ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) هو يحيى بن محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد جمال الدين (وفي الدرر الكامنة كمال الدين) . توفى سنة ٧٤٢ هـ (عن المنهل الصافي والدرر الكامنة) . (٣) البهرمان : نوع من الياقوت الأحمر ، ولونه كلون العصفر الشديد الحمرة الناصع في القوة الذي لا يشوب حمرته شائبة ويسمى الرماني ، لمشابهته حب الرمان الرائق الحب ، وهو أعلى أصناف الياقوت وأفضلها وأغلاها ثمنا . (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٩٧) . (٤) البلخش ، ويسمى : اللعل (من الأحجار الكريمة) ومعدن البلخش يؤخذ من نواحي بلخشان والعجم تقول : بذخشان بذال معجمة وهي متاخمة بلاد الترك . (عن شفاء الغليل وصبح الأعشى ج ٢ ص ٩٩ ومعجم البلدان لياقوت) . (٥) زمرد ريحاني ، هو مفتوح اللون ، شبيه بلون ورق الريحان . (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ١٠٤) . (٦) زمرد ذبابي ، وهو شديد الخضرة ، لا يشوب خضرته شيء آخر من الألوان من خضرة ولا سواد ولا غيرهما ، حسن الصبغ جيد المائية شديد الشعاع . ويسمى ذبابيا لمشابهة لونه في الخضرة لون كبار الذباب الأخضر الربيعي ، وقد ذكر صاحب صبح الأعشى بعض خواصه ومنافعه (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ١٠٤) . (٧) زيادة عن السلوك وعقد الجمان . (٨) عين الهرّ ، هو في معنى الياقوت إلا أن الأعراض المقتصرة به أقعدته عن الياقوتية ، وتخرجه الرياح والسيول كما تخرج الياقوت . والغالب على لونه البياض بإشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة . وقد ذكر صاحب صبح الأعشى سبب تسميته بعين الهر . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١) . (٩) في المنهل الصافي : « ألف وخمسمائة وخمسون » .

مِصْرِىّ أربع قناطير. فِضّيّات طاسات وأطباق وطشوت ستّ قناطير. يوم الثلاثاء: ذهب عَيْن خمسة وأربعون ألف دينار، دراهم ثلثمائة ألف درهم وثلاثون ألف درهم. قطزيّات[1] وأهِلّة وطلعات صناجق فِضّة ثلاثة قناطير. يوم الأربعاء: ذهب عَيْن ألف ألف دينار، دراهم ثلثمائة ألف درهم. أَقْبِيَة بَفْرو قاقُم[2] ثلثمائة قَبَاء. أقبِيَة حرير عَمَل الدار[3] ملوّنة [بفَرْو][4] سِنْجاب[5] أربعمائة قَبَاء، سُرُوج[6] ذهب مائة سرج. ووُجِد له عند صِهْره أمير موسى ثمانية صناديق لم يُعلم ما فيها، حُملت إلى الدور السلطانية. وحُمِل أيضا من[7] عند سلّار إلى الخزانة تفاصيل طَرْدوحش[8]، وعَمَل الدار ألف تفصيلة. ووُجِد له خِيامُ[9] السَّفَر ستّ عشرة نَوْبة كاملة. ووَصل معه من الشَّوبَك ذهب مصرىّ خمسون ألف دينار، ودراهم أربعمائة ألف درهم وسبعون ألف درهم، وخِلَع ملوّنة ثلثمائة خِلْعة وخَرْكاه[10] كسوتها أطلس أحمر

(١) قطزيات ... وطلعات، هكذا فى الأصلين والسلوك ولم نقف على معنى هـ.

(٢) القاقم: دويبة تشبه السنجاب، إلا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق، ويشبه جلده جلد الفنك، وهو أعز قيمة من السنجاب ومنه يتخذ الفراء (عن حياة الحيوان للدميرى وصبح الأعشى ج ٢ ص ٤٩). (٣) يراد بها دار الطراز التى كانت بالإسكندرية وبمصر وبدمشق (عن خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٢٧) (٤) زيادة عن ابن إياس. (٥) السنجاب: حيوان على حد اليربوع أكبر من الفأر وشعره فى غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون. (عن حياة الحيوان للدميرى وصبح الأعشى ج ٢ ص ٠٠) (٦) عبارة عقد الجمان وابن إياس: «سروج مزركش مذهب مصرى مائة سرج». (٧) عبارة ابن إياس: «ووجد له من الشقق الحرير الطرد وحش وغيره ألف شقة». (٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٩) فى الأصلين: «خام». وما أثبتنا عن عقد الجمان وابن إياس.

(١٠) خركاه: كانت فى أول الأمر تطلق بالعموم على المحل الواسع؛ وبالأخص على الخيمة الكبيرة التى يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان مسكنا لهم. وكان التركمان يصنعونها من اللبد ويسمونها: «قره أو» أى البيت الأسود. ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة). وفى صبح الأعشى (ج ٢ ص ١٣١): الخركاه: بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه. تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد.

معدنىّ مبطّن بأزرق مَرْوَزِىّ [وستر] (١) بابها زَرْكَش (٢) . ووُجِد له خيلٌ ثلثمائة فرس، ومائةٌ وعشرون قِطار بِغال، ومائةٌ وعشرون قِطار جمال . هذا خارج عمّا وُجِد له من الأغنام والأبقار والجواميس والأملاك والمماليك والجوارى والعَبيد . ودلّ مملوكُه على مكانٍ مبنىّ فى داره فوجدوا حائطين مبنيين بينهما أكياسٌ ما عُلِم عِدّتُها، وفُتِح مكانٌ آخر فيه فَسْقيّة ملآنة ذهبا منسبكا بغير أكياس .

قلت : وممّا زاد سلّار من العَظَمة أنّه لمّا ولى النيابة فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون، وصار إليه و إلى بيبَرْس الجاشْنَكير تدبيرُ المملكة حَضَر إلى الديار المصرية الملك العادل زَيْن الدين كَتْبُغَا الذى كان سُلطان الديار المصرية وعُزِل بحُسام الدين لاجين، ثم آستقرّ نائبَ صَرْخد ثم نائبَ حَمَاة، فقَدِم كَتْبُغَا إلى القاهرة وقبّل الأرض بين يدى الملكِ الناصر محمد بن قلاوون، ثمّ خرَج من عنده وأتى سلّار هذا ليُسَلِّم عليه، فوجَد سلّار راكبا وهو يَسير فى حوش داره، فنَزَل كَتْبُغَا عن فرَسه وسلّم على سلّار، وسلّار على فرسه لم يَنْزِل عنه، وتحادَثا حتى آنتهى كلامُ كَتْبُغَا، وعاد إلى حيث نزل بالقاهرة، فهذا شىءٌ لم يُسْمَع بمثله ! انتهى .

و بعد موت سلّار قَدِم على السلطان البريدُ بموت الأمير قَبْجَق المنصورىّ نائب حَلَب، وكان الملك الناصر عَزَل أَسَنْدَمُر كُرْجى عن نيابة حَمَاة وولّى نيابة حَمَاة للملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل، فسار إليه المؤيّد من دِمَشْق فمنعه أَسَنْدَمُر، فأقام المؤيّد بين حماة ومصر ينتظر مرسوم السلطان ، فآتّفق موتُ قَبْجَق نائب حلب، فسار أَسَنْدَمُر من حَمَاة إلى حلب وكَتَب يسأل السلطان فى نيابة حلب ، فأعطاها له، وأسرّ ذلك فى نفسه، لكونه أخذ نيابَتها باليد، ثم عَزَل السلطانُ بكْتَمُر

(١) زيادة عن السلوك . (٢) الزركش : الحرير المنسوج بالفضة . والأصح بالذهب، لأنه مركب من : «زر» أى ذهب ومن «كش» أى «دو» . (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) .

الحسامى الحاجب عن نيـابة غَزّة وأحضره إلى القاهرة، وولّى عِوضَــه على نيابة غَزّة الأمير قُطْلُقتَمُر[1]، وخلَع على بَكْتَمُر الحاجب بالوزارة بالديار المصرية عِوَضًا عن فخر الدين [عمر][2] بن الخليلىّ . ثم قَدِم البريدُ بعد مدة — لكن فى السنة — بموت الأمير الحاج بهادُر الحلبىّ نائب طرابُلُس، فكتَب السلطان بنَقل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم من نيـابة صَرْخَد إلى نيابة طرابُلُس عِوضًا عن الحـاج بهادُر المذكور فسار إليها، وفَرِح السلطان بموت الحاج بهادُر فرحًا عظيما، فإنّه كان يَخافه ويَخْشى شَرَّه. ثم ٱلتفت السلطان بعد موت قَبْجَق والحاج بهادُر المذكور إلى أَسَنْدَمُر كُرْجِى، وأخرج تجريدة من الديار المصرية، وفيها من الأمراء كَرَاى المنصورىّ وهو مقدّم العسكر، وسُنْقُر الكمالىّ حاجب الحجّاب، وأَيْبَك الرُّومِىّ و بَيْنَجار و جُكُكُن و بهادُر آص فى عدّة من مُضافيهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات ومُقَدَّمِي الحَلْقة[3]، وأظهر أنّهم توجهوا لَغَزو سِيس، وكتَب لأَسَنْدَمُر كرجى بتجهيز آلات الحِصار على العـادة ، والاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل إليــه العسكر من مصر . وكتَب الملك الناصر إلى المؤيّد عِماد الدين إسماعيل صاحب حَمَاة بالمسير مع العسكر المصرىّ . ثم خرج الأمير كَرَاى من القاهرة بالعساكر فى مستهلّ ذى القعدة سنة عشر وسبعمائة .

و بعد خروج هــذا العسكر من مصر توحّش خاطرُ الأمير بَكْتَمُر الجُوكَنْدَار نائب السلطنة من الملك الناصر وخاف على نفسه، وٱتّفق مع الأمير بَخْاص المنصورىّ على إقامة الأمير مظفّر الدين موسى ٱبن الملك الصالح علىّ بن قلاوون فى السلطنة، والاستعانة بالممـاليك المظفّرية، وبَعث إليهــم فى ذلك فوافقوه . ثم شَرَع النـائب

(١) كذا فى الأصلين والسلوك والدرر الكامنة . وفى تاريخ ســلاطين المماليك : « قطلوتمر صهر الجـ ى » . وهو قطلقتمر صهر الجالق ولى نيابة عزة قبل الجاولى ومات سنة بضع عشرة وسبعمائة (عن الدرر الكامنة) . (٢) زيادة عن السلوك . (٣) فى أحد الأصلين : «ومقدمى الألوف» .

بَكْتَمُر الجُوكُندار في آستمالة الأمراء ومواعدة المماليك المظفّريّة الذين بخدمة الأمراء، على أنّ كل طائفة تقبض على الأمير الذي هي في خدمته في يوم عيّنه لهم، ثم يسوق الجميعَ إلى قُبّـة النَّصْر(1) خارج القاهرة ، ويكون الأمير موسى المذكور قد سبقهم هنـاك ، فدبّروا ذلك حتّى آنتظم الأمر ولم يبقَ إلّا وقوعُه ، فَنَمّ عليهـم إلى الملك الناصر بيبرْس الجَمَدار أحد المماليك المظفّريّة، وهو ممّن آتّفق معهم بَكْتَمُر الجوكُندار، أراد بذلك أن يتّخذ يدًا عنـد السلطان الملك النـاصر بهذا الخبر، فعرّف خُشْدَاشَه قَرَاتَمُر الخاصّكي بمـا عزَم عليه فوافقه. وكان بَكْتَمُر الجوكُندار قد سيّر يُعرِّف الأمير كَرَاي المنصـوري بذلك ، لأنّه كان خُشْدَاشَه ، وأرسـل كذلك إلى قُطْلُوبك المنصوري نائب صَفَد ثم إلى قُطْلُقْتَمُر نائب غزّة، فأمّا قُطْلُوبك وقُطْلُقْتَمُر فوافقاه، وأمّا كَرَاي فأرسل نهاه وحذّره من ذلك، فلم يَلْتفت بَكْتَمُر، وتمّ على ما هو عليه. فلمّا بلغ السلطانَ هذا الخبرُ وكان في اللّيل لم يتمهّل، وطلب الأمير موسى إلى عنده وكان يسكن بالقاهرة، فلما نزَل إليه الطلب هرب، ثم آستدعى الأميرَ بَكْتَمُر الجوكُندار النائب، وبعث أيضًا في طلب بَتْخَاص، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخَل إليه بَكْتَمُر أجلسه وأخذ يُحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بَتْخاص، فلما رآه بَكْتَمُر علِم أنه قد هلَك ، فقُيِّـد بَتْخاص وسُجِن وأقام السلطان ينتظر الأمير موسى ، فعاد إليه الجاولي ونائبُ الكَرَك وأخبراه بفراره فآشـتدّ غضبُه عليهما ، وما طلَع النهـار حتّى أحضر السلطانُ الأمراءَ يعرّفهم بما قد وقَع، ولم يذكر آسم بكتمر النائب، وألزم السلطانُ الأميرَ كَنْدُغْدِي البهادُري والي القاهرة بالنـداء على الأمير موسى ، ومَن أحضره من الجُنْـد فله إمْرَتُه، وإن كان من العـامّة فله ألفُ دينار، فنزل ومعه

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الأمير فخر الدين إياز[1] شادّ الدواوين وأيْدُغْدِى شُـقَيْر، وألزم السلطانُ سائرَ الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفيّة[2] من القلعة حتى يظهر خبرُ الأمير موسى . ثم قبَض السلطان على حواشي الأمير موسى وجماعته وعاقَب كثيرًا منهم، فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة . قُبض على الأمير موسى المذكور من بيت أُسْتَادَار[3] الفارِقانِي من حارة[4] الوزيريّة بالقاهرة، وحُمِل إلى القلعة فسُجِن بها ، ونزل الأمراء إلى دورهم ، وخُلِّيَ عن الأمير بَكْتَمُر النائب أيضًا ونزل إلى داره ، ورسَم السلطان بتسمير أُسْتَادار الفارِقانِي؛ ثم عفا عنـه وسار إلى داره ، وتَتبّع السلطانُ المماليك المظفّريّة، وفيهم : بيبرس [الجمدار] الذى نَمّ عليهم وعُمِلوا فى الحديد ، وأُنْزِلوا لِيُسَمَّروا تحت القلعة ، وقد حضَر نساؤهم وأولادهم ، وجاء الناس من كلّ موضع وكثُرَ البكاء والصُّراخُ عليهم — رحمـةً لهم — والسلطان ينظُر فأخذَتْه الرحمةُ عليهم فعفا عنهم، فتُرِكوا ولم يُقْتَل أحدٌ منهم، فكَثُر الدعاء للسلطان والثناءُ عليه .

وأمّا أمرُ أَسَـنْدَمُرْكُرْجِى فإنّ الأمير كَرَاى لمـا وصَل بالعساكر المصرية إلى حِمْص وأقام بها على ما قرّره السلطانُ معه حتى وصَل إليه الأمير مَنْكُوتَمُر الطبَّاخى؛ وكان السلطان كتَب معـه ملطّفات إلى أمراء حلب بقَبْض نائبها أَسَنْدَمُرْكُرْجِى

(١) ويقال إياس بالسين بدل الزاى . توفى سنة ٧٥٠ هـ (عن الدرر الكامنة) .
(٢) القاعة الأشرفية بالقلعة : هذه القاعة ذكرها المقريزى فى خططه باسم الأشرفية (ص ٢١١ ج ٢) فقال : إن القصر المعروف بالأشرفية أنشأه الملك الأشرف خليـل بن قلاوون سـنة ٦٩٢ هـ بالقلعة . ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على الإيوان بقلعة الجبل (ص ٢٠٦ ج ٢) أن هذا القصر هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعاد بناءه وزاد فيه وعرف بالإيوان أو دار العدل . وقد علقنا على هذا الإيوان فى موضعه من هذا الجزء، وقلنا إن مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلعة القاهرة؛ فيكون هذا الجامع أيضا مكانه القاعة الأشرفية . (٣) بيت أستادار الفارقانى من حارة الوزيرية؛ يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على المدرسة الفارقانية التى بحارة الوزيرية (ص ٣٦٩ ج ٢) أن البيت المذكور كان بدرب سعادة بالقاهرة بجوار المدرسة الفارقانية التى تعرف اليوم باسم جامع محمدأغا أو جامع الحبشلى . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

فى الباطن، وكتب فى الظاهر لكَرَاى وأسَنْدَمُرْ كُرْجى بمـا أراده من عمل المصالح، فقَضَى كَرَاى شغله من حِمْص وركب وتهيأ من حِمْص، وجَدّ فى السير جريدةً حتى وصَل إلى حَلَب فى يوم ونصف، فوقف بمَنْ معه تحت قلعة حَلَب عند ثُلُث الليل الآخر، وصاح : « يا لعلى »، وهى الإشارة التى رتّبها بينه وبين نائب قلعة حلب، فنزَل نائب القلعة عند ذلك بجميع رجالها وقد آستعدُّوا للحرب، وزحف الأمير كَرَاى . ٥ على دار النيابة ولَحِق به أمراءُ حلب وعسكرُها، فسلَّم الأمير أَسَنْدَمُرْ كُرْجى نفسَه بغير قتال، فأُخذ وقُيِّـد وسُجِن بقلعتها وأُحيط على موجوده، وسار مَنْكُوتَمُر الطبّاخى على البريد بذلك إلى السلطان ، ثم حُمِل أَسَنْدَمُرْ كُرْجى إلى السلطان صحبة الأمير بَيْنَجار وأَيْبَك الرُّومىّ. فخاف عند ذلك الأمير قَرا سُنْقُر نائب الشام على نفسه، وسأل أن يَنتقِل من نيابة دِمَشْق إلى نيابة حلب ليبعُدَ عن الشرّ، فأُجيب إلى ذلك، وكُتِب ١٠ بتقليده وجُهِّز إليـه فى آخر ذى الحجة من سـنة عشر وسبعمائة على يد الأمير أَرْغُون الدَّوادار النّـاصرىّ، وأسَرّ له السلطان بالقَبْض عليـه إن أمكنه ذلك . وقَـدِم أَسَنْدَمُرْ كُرْجى إلى القاهرة وآعْتُقِل بالقلعة ، وبَعث يسأل السلطان عن ذنبه فأعاد جوابه : مالك ذنب، إلا أنك قلتَ لى لمـا ودّعْتُك عند سفرك : أُوصيك يا خَوَنْد : لا تُبْقِ فى دولتك كَبْشًا كبيرًا وأنشئْ مماليكَك! ولم يبقَ عنـدى كَبْشٌ كبير غيرك . ١٥ ثمّ قَبض السلطان على طُوغان نائب البِيرَة، وحُمِل إلى السلطان فحُبِس أياما ثم أطلقه وولّاه شَدّ الدواوين [بدِمَشْق][1] .

وفى مستهلّ سـنة إحدى عشرة وسبعمائة وصـل الأمير أَرْغُون الدَّوادار إلى الشـام [لتسفير قراسـنقر المنصورى منها إلى نيـابة حلب][2] فآحترَس منه الأمير قَرَاسُـنْقُر على نفسه ، وبعث إليه عِدّةً من مماليكه يتَـلَقّونه ويمنعون ٢٠

(١) زيادة عن السلوك . (٢) زيادة عن عقد الجمان .

أحدًا ممن جاء معه أن ينفرد مخـافة أن يكون معــه ملطّفات إلى أمراء دِمشق[١] .
ثم ركب قَرَاسُـنقُر إليه ولَقِيه بمَيْدان الحَصَى خارج دِمَشْـق ، وأنزله عنـده
بدار السعادة[٢] ووكّل بخدمته من ثِقَاته جماعةً . فلما كان من الغد أخرج له أرْغُون
تقليدَه فقبّله وقَبّل الأرض على العادة ، وأخذ فى التجهيز ولم يَدَعْ قَرَاسُنْقُر أرْغُون أن
٥ ينفرِد عنــه ، بحيث إنه أراد زيارة أماكن[٣] بدِمَشْق فركب معــه قَرَاسُنْقُر بنفسه ،
حتى قضى أرْغُون أرَبَه وعاد ، وتَمّ كذلك إلى أن سافر . فلما أراد قَرَاسُنْقُر السفر
بعثَ إلى الأمراء ألا يركب أحدٌ منهم لوَدَاعه ، وألا يخرُج من بيتــه ، واستعدّ
وقدّم أثقاله أوّلًا فى الليل ، فلما أصبح رَكِب يوم الرابع من المحرّم بمماليكه ، وعِدّتُهم
ستمائة فارس ، ورَكِب أرْغُون الدوادار بجانبه وبَهَادُر آص فى جماعة قليلة ، وسار
١٠ معه أرْغُون حتى أوصــله إلى حلب ثم عاد . وقلّد الأمير كَرَاى المنصورىّ نيـابة
الشام عِوَضًا عن قَرَاسُنْقُر ، وأنعم كَرَاى على أرْغُون الدّوادار بألف دينار سوى الخيل
والخِلَع وغير ذلك .

ثم إنّ الملك الناصر عَزَل الأمير بَكْتَمُر الحسامى عن الوزارة وولاه حُجوبيّة الحُجّاب
بالديار المصرية عِوَضًا عن سُنْقُر الكمالىّ . ولا زال السلطان يتربّص فى أمر بَكْتَمُر
١٥ الجُوكَنْدار النائب حتى قبَض عليه بحيلة دبّرها عليه فى يوم الجمعة سابع عشر جُمادى
الأولى من سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وقبَض معه على عِدّة من الأمراء ، منهم :

---

(١) عبارة السلوك : « مخافة أن يكون معه من الملطفات للأمراء ما فيه ضرره » .

(٢) دار السعادة ، اسم يطلق عند الجراكسة والعثمانيين على دار الحكم ، ولذلك أطلق على مدينة القسطنطينية وهى اسطنبول العاصمة القديمة للدولة التركية بأوربا فعرفت بدار السعادة ، لأنهـا كانت مقرا
٢٠ للحكم العثمانى ، وتطلق دار السعادة أيضا على دار الحكومة التى يقيم فيها الوالى أو الحاكم لإدارة شـؤون الولاية أو المقاطعة ؛ وهذا هو المقصود هنا .

(٣) فى الأصلين : « أراد زيارة الأمير ماكر بدمشق » وما أثبتناه عن السلوك .

صهرُ الجُوكَندار الكتمُرُ[1] الجَمدار وأيْدُغْدى العثمانى[2]، ومَنْكُوتَمُر الطبّاخىّ وبدر الدين بُكْتُمُش[3] الساقى وأَيْدَمُر الشَّمسى[4] وأيدمر الشيخى، وسُجِنوا الجميع إلّا الطباخى فإنه قُتِل من وقته.

والحيلةُ التى دبّرها السلطان على قبض بَكْتَمُر الجُوكُندار أنه نزل السلطان إلى المَطْعَم[5] وبَكْتَمُر بإزائه، فخرج السلطان من البُرْج[6] ومال إلى بَكْتَمُر وقال ياعمى: ما بقِى فى قلبى من أحد إلّا فلان وفلان وذكر له أميرين، فقال له بَكْتَمُر: ياخَوَنْد، ماتطلعُ من المَطْعَم إلا وتجدُنى قد أمسكتُهما، وكان ذلك يوم الثلاثاء، فقال له السلطان: لا، ياعمى إلا دَعْهما إلى يوم الجمعة، تُمسكهما فى الصلاة، فقال له: السمعَ والطاعةَ. ثم إنّ السلطان جهّز لبَكْتَمُر تشريفًا هائلا ومركوبا معظّما، فلما كان يومُ الجمعة قال له فى الصلاة: والله ياعمى مالى وجه أراهما! وأستحِى منهما، ولكن أمسكهما إذا دخلتُ أنا إلى الدار، وتوجّهْ بهما إلى المكان الفلانى تجد هناك مَنْكَلى بُغَا وبَخَماس فسلِّمهما إليهما، ورُحْ أنت، فأمسكهما بَكْتَمُر الجُوكُندار وتوجّه بهما إلى المكان المذكور له، فوجد الأميرين: بَخَماس ومَنْكَلى بُغا هناك، فقاما إليه وقالا له: عليك السمع والطاعة لمولانا السلطان وأخذا سيفَه، فقال لهما:

---

(١) عبارة تاريخ سلاطين المماليك: «قبض بكتمر الجوكندار نائب السلطنة وأصهاره وهم ألكتمر وأيدغدى العثمانى وهما أمراء بطبلخاناه وقبض معهم منكوتمر الطباخى ... الخ». (٢) فى عقد الجمان: «أيدغدى المانى». (٣) فى الأصلين: «تلمش الساقى». وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وعقد الجمان. (٤) فى عقد الجمان وتاريخ سلاطين المماليك: «أيدمر الصفدى». (٥) المقصود بالمطعم هنا هو مطعم الطيور المخصصة للصيد، وكان السلاطين ينزلون إليه، وتطلق البازدارية طيورا أعدّوها لذلك ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لأصطيادها، وكان هذا نوعا من أنواع التسلية والرياضة السلطانية. ويستفاد مما ورد فى كتاب حوادث الدهور لابن تغرى بردى (ص ٢٨٠)، ومما ورد فى تاريخ مصر لابن إياس (ص ١٧٦ ج ٢): أن هذا المطعم كان واقعا فى الشمال الشرقى لخانقاه السلطان برقوق المعروفة بتربة برقوق فى المنطقة التى بها اليوم جبانة العباسية التى تسميها العامة جبانة الغفير بالقاهرة. (٦) كذا فى المنهل الصافى. وفى الأصلين «السرح».

ياخُشْداشيتى ما هو هكذا الساعة كما فارقت السلطان ، وقال لى : أمسك هؤلاء ، فقالا : ما القصـد إلا أنت ، فأمسكاه وأطلقا الأميرين ، وكان ذلك آخر العهـد ببَكْتَمُر الجُوكُنْدار كما يأتى ذكره . انتهى .

ثم أرسل السلطان آستدعى الأمير بيبَرْس الدَّوَادار المنصورى المؤرِّخ وولّاه نيابة السلطنة بديار مصر عوضًا عن بَكْتَمُر الجُوكُنْدار ، ثم أرسل السلطان قبَض أيضا على الأمير كَرَاى المنصورى نائب الشام بدار السعادة فى يوم الخيس ثانى عشرين جمادى الأولى ، وحُمل مُقَيَّدا إلى الكَرَك فحُبِس بها . وسبب القبْض عليه كونه كان خُشْدَاش بَكْتَمُر الجُوكُنْدار ورفيقَه ، ثم قبَض السلطان على الأمير قُطْلُو بَك نائب صَفَد بها ، وكان أيضًا ممن وافق بَكْتَمُر على الوثوب مع الأمير موسى حسب ما تقدّم ذكرُه . ثم خلَع السلطان على الأمير آقوش الأشرفى نائب الكَرَك بآستقراره فى نيابة دِمَشْق عِوضًا عن كَرَاى المنصورى ، وآستقر بالأمير بهادُرآص فى نيابة صَفَد عِوضًا عن قُطْلُو بَك ، ثم نَقل السلطانُ بَكْتَمُر الجُوكُنْدار النائب وأَسَنْدَمُر كُرْجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكَرَك ، فبقِىَ بسجن الكَرَك جماعةٌ من أكابر الأمراء مثل : بَكْتَمُر الجُوكُنْدار وكَرَاى المنصورى وأَسَنْدَمُر كُرْجى وقُطْلُو بَك المنصورى نائب صَفَد و بيبَرْس العَلائى فى آخرين . ثم عزَل السلطان مملوكه أَيْتَمُش المحمّدى عن نيـابة الكَرَك ، وآسـتقر فى نيابتها بَيْبُغَا الأشرفى ، وكان السلطان قد آستناب أَيْتَمُش هذا على الكَرَك لما خرج منها [إلى دِمَشْق] (١) .

وأما قَرَاسُنْقُر فإنه أخذ فى التدبير لنفسه خوفا من القبض عليـه كما قُبِض على غيره ، وآصطنع العُرْبانَ وهاداهم ، وصحِب سليمان بن مُهَنّا وآخاه ، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى حتى صار الجميع من أنصاره ، وقَدِم عليـه الأمير مُهَنّا إلى حلب وأقام

(١) زيادة عن السلوك .

عنده أياما وأفضى إليه قراسنقر بسرّه، وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنّا، وأنه لم يوافق على ذلك، ثم بعث قراسنقر يسأل السلطان فى الإذن له فى الحجّ فجهز قراسنقر حاله، وخرج من حلب فى نصف شوّال ومعه أربعمائة مملوك، وآستناب بحلب الأمير قرطاى وترك عنده عدّة من مماليكه لحفظ حواصله، فكتب السلطان لقرطاى بالاحتراس، وألا يمكّن قراسنقر من حلب إذا عاد، ويحتج عليه بإحضار مرسوم السلطان بتمكينه من ذلك. ثم كتب إلى نائب غزّة ونائب الشام ونائب الكرك وإلى بنى عقبة[1] بأخذ الطريق على قراسنقر، فقدم البريد أنه سلك البريّة إلى صرخد وإلى زيزاء[2]، ثم كثر خوفه من السلطان فعاد من غير الطريق التى سلكها، ففات أهل الكرك القبض عليه فكتبوا بالخبر إلى السلطان فشقّ عليه؛ ثم وصل قراسنقر إلى ظاهر حلب فبلغه ما كتب السلطان إلى قرطاى فعظم خوفه وكتب إلى مهنّا، فكتب مهنّا إلى قرطاى أن يخرج حواصل قراسنقر وإلّا هجم مدينة حلب وأخذ ماله قهرا، فخاف قرطاى من ذلك، وجهز كتابه إلى السلطان فى طىّ كتابه، وبعث بشىء من حواصل قراسنقر إلى السلطان مع آبن قراسنقر الأمير عز الدين فرج، فأنعم عليه الملك الناصر بإمرة عشرة، وأقام بالقاهرة مع أخيه أمير على بن قراسنقر. ثم إن سليمان بن مهنّا قدم على قراسنقر، فأخذه ومضى وأنزله فى بيت أمّه فآستجار قراسنقر بها فأجارته، ثم أتاه مهنّا وقام له بما يليق به. ثم بعث مهنّا يعرّف السلطان بما وقع لقراسنقر وأنه آستجار بأمّ سليمان فأجارته، وطلب من

(١) ورد فى صبح الأعشى (ج ٤ ص ٢٤٢) فى كلامه على عرب الكرك: «وعرب الكرك فيما ذكره فى مسالك الأبصار بنو عقبة، وعقبة من جذام. وكان آخر أمرائهم شطى بن عقبة، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السماكين، وألحقه بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا، وأقطعه الإقطاعات الجليلة، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحباء، وعمر له ولأهله البيت والخباء». (٢) فى الأصلين: «وإلى وزيره». وهو تحريف. وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

السلطان العفو عنه، فأجاب السلطان سؤاله، وبعث إليه أن يُخَيِّر قَرَاسُنْقُر فى بلد من البلاد حتى يُوَلِّيَه إياها، فلما سافر قاصِــدُ مُهَنَّا وهو آبن مهنا لكنه غير سليمان جهّز السلطان تجريدةً هائلةً فيها عِدّةٌ كثيرة من الأمراء وغيرهم إلى جهة مُهَنّا، فآستعدّ مُهَنَّا وكَتَب قَرَاسُــنْقُر إلى الأفرم نائب طرابُلُس يستدعيه إليه، فأجابه ووعَده بالحضور إليــه . ثم بَعَث قَرَاسُنْقُر ومُهَنَّا إلى السلطان وخدعاه وطلَب قَرَاسُــنْقُر صَرْخَد ، فآنخدع السلطان وكَتَب له تقليدًا بصَرْخَد، وتوجّه إليــه بالتقليد أَيْتَمُش المحمَّدى، فقبّل قَرَاسُنْقُر الأرض، وآحتج حتّى يصل إليه ماله بحلب ثم يتوجّه إلى صَرْخَد ، فقدِمت أموال قَرَاسُنْقُر من حلب، فــا هو إلا أن وصَل إليه مالُه، و إذا بالأفرم قــد قَدِم عليــه من الغد ومعه خمســة أمراء من أمراء طبلخاناه وستّ عشراوات فى جماعة من التُّرْكمان فسُرّ قَرَاسُنْقُر بهم، ثم آستدعَوْا أَيْتَمُش وعدّدوا[1] عليه مَنْ قتــله السلطان من الأمراء،وأنهم خافوا على أنفسهم وعزموا على الدخول فى بلاد التتار، ورَكبوا بأجمعهم، وعاد أَيْتَمُش إلى الأمراء المجرّدين بحمص وعرّفهم الخبر، فرجعوا عائدين إلى مصر بغير طائل . وقَــدِم الخبر على السلطان بخروج قَرَاسُــنْقُر والأفرم إلى بلاد التّتَــار فى أوّل ســنة آثنتى عشرة وسبعمائة، وقيل إنّ الأفرم لمــا خرج هو وقَرَاسُنْقُر إلى بلاد التتار بَكَى الأفرم، وأنشد :

سَيَذْكُرنى قومى إذا جَدّ جِدُّهم[2] * وفى الليلة الظلماء يُفْتَقَدُ البَدْر

فقال له قَرَاسُنْقُر : آمِش بلا فُشَار[3]، تبكى عليهم ولا يبكون عليك ! فقال الأفرم : والله ما بى إلا فراق آبنى موسى، فقال قَرَاسُنْقُر : أىّ بغاية[4] بصَقَت فى رَحِمها جاء

(١) فى الأصلين : « وعدّدا عليه » . وما أثبتناه عن السلوك . (٢) فى أحد الأصلين : « إذا جدّ سيرهم » . (٣) الفشار كغراب : الذى تستعمله العامة بمعنى الهذيان، وكذا التفشير. ليس من كلام العرب، و إنما هو من آستعمال العامة (عن شرح القاموس) . (٤) يريد : البغىّ .

منه موسى وإبراهيم وعدّد أسماء كثيرة، وتوجّها . انتهى . ثم إن السلطان أفرج عن الأمير أيدمُر الخَطِيرِى وأنعم عليه بخُبْز الأمير علم الدين سَنْجَر الجاولى .

وفى أوّل سنة آثنتى عشرة وسبعمائة كَمُلَت عمارة الجامع الجديد الناصرىّ[1] بمصر القديمة على النيل ووَقف عليه عِدّة أوقاف كثيرة . وأما قَرَاسنقر والأفرم فإنهما سارا بمَنْ معهما إلى بلاد التّتار، فخرج خَرْبَنْدَا مَلِكُ التّتار وتلقاهم وترجّل لهم وترجّلوا له وبالغ فى إكرامهم وسار بهم إلى مخيّمه وأجلسهم معه على التّخْت، وضَرَب لكلّ منهم خَرْكاه ورتّب لهم الرواتب السنيّة، ثم آستدعاهم بعد يومين وآختلى بقَرَاسنقر فحسّن له قَرَاسنقر عُبورَ الشام وضَمِن له تسليمَ البلاد بغير قتال . ثم آختلى بالأفرم فحسّن له أيضا أخذَ الشام إلّا أنه خَيَّله من قوّة السلطان وكَثْرة عساكره . ثم إن خَرْبَنْدَا أقطع قَرَاسُنْقُر مَرَاغَة[2] وأقطع الأفرمَ هَمَذَان[3]، وآستمرّوا هناك إلى ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ولمّا حضر مَنْ تجرّد من الأمراء إلى الديار المصرية حضر معهم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكَرَك الذى ولى نيابةَ الشام بعد كَرَاى المنصورىّ، فقبَض السلطان عليه وعلى الأمير بِيبَرْس الدّوادار نائب السلطان صاحب التاريخ،

(١) الجامع الجديد الناصرى، ذكره المقريزى فى خططه (ص ٣٠٤ ج ٢) فقال: إن هذا الجامع بشاطئ النيل من ساحل مصر الجديد، عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان الشروع فيه يوم التاسع من المحرّم سنة ٧١١ هـ، وآنتهت عمارته فى تاسع صفر سنة ٧١٢ هـ . ويستفاد من وصفه أنه كان من أكبر الجوامع، فقال: إن طوله من قبلى إلى بحرى ١٢٠ ذراعا وعرضه من شرقيه إلى غربيه ١٠٠ ذراع . وله أربعة أبواب، وفيه ١٢٧ عمودا، وهو يشرف من قبليه (شرقيه) على بستان العالمة، ومن بحريه (غربيه) على بحر النيل، وما برح هذا الجامع من أحسن متنزهات مصر إلى أن خرب ما حوله وفيه بقية، وهو عامر .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قد آندثر، وأنه كان واقعا على سيالة جزيرة الروضة قبلى سواقى مجرى الماء القائمة على رأس حائط العيون التى عند فم الخليج فى المنطقة التى يخترقها الآن شارع وحارة وعطفة السكر والليمون بمصر القديمة بالقاهرة . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وعلى سُـنْقُر الكمالىّ ، ولاچـين الجاشْنَكِير و بَيْنَجار وألْدُكُز الأشرفىّ[١] ، ومُغْلَطاى المسعودىّ وسُجِنوا بالقلعـة فى شهر ربيع الأوّل سـنة آثنتى عشرة وسبعمائة ، وذلك لميلهم إلى قَرَاسُـنْقُر والأفرم . ثم خلع السلطان على تَنْكِز الحسامى الناصرى بنيابة دِمَشْق دفعة واحدة عِوَضا عن آقوش نائب الكرك؛ وتَنْكِز هذا هو أوّل من رقّاه من ممـاليكه إلى الرُّتب السنيّة . ثم آستقرّ بسُودِى الجَمَدار فى نيابة حلب، وآستقرّ تَمُـر[٢] الساقى المنصورىّ فى نيابة طرابُلُس .

ثم إنّ السلطان عزلَ مُهَنّا بأخيـه فَضْل ورسَم بأنّ مُهَنّا لا يُقيم بالبـلاد . ثم قَبض السلطان على الأمير بيبَرْس المجنون و بيبَرْس العَلَمِىّ وسنجر البرْوانى وطُوغان المنصورىّ و بيبَرْس التاجى، وقُيِّدوا وحُملوا من دِمَشْق إلى الكَرَك فى سادس ربيع[٣] الآخر من السنة . ثم أمَّر السلطان فى يوم واحد ستّةَ وأربعين أميرًا، منهم طبلخاناه تسعة وعشرون وعشروات سبعة عشر وشقُّوا القاهرة بالشرابيش والخِلَع . ثم فى يوم الآثنين أوّل جُمَادَى الأُولى خلَع السلطان على مملوكه أَرْغُون الدَّوَادار بنيابة السلطنة بالديار المصريّة عِوضًـا عن بيبَرْس الدَّوادار بحُكْم القبْض عليه . ثم خَلَع السلطان على بَلَبَان طُرْنَا أمير جانْدَار بنيابة صَفَد عِوضًا عن بهادُر آص، وأن يرجع بهادُر آص إلى دِمَشْق أميرًا على عادته أوّلًا . ثم رَكب السلطان إلى الصيد ببرالجيزة وأمَّر جماعةً من ممـاليكه ، وهم : طُقْتَمُر[٤] الدِّمَشْقِى ، وقُطْلوبُغا الفخرىّ المعروف بالفول المقشَّر، وطَشْتَمُر البَدْرِىّ المعروف بحمّص أخضر. ثم ورد على السلطان الخبرُ بحركة خَرْبَنْدَا مَلِك التتار، فكتَب السلطان إلى الشام بتجهيز الإقامات، وعرَض السلطان العساكر

(١) فى تاريخ سـلاطين المماليك : « الدكز المنصورى » . (٢) فى أحد الأصـلين « بكتمر الساقى » وهو تحريف . (٣) فى السلوك : « فى رابع ربيع الأوّل » .
(٤) فى الأصلين : « طشتمر » وهو تحريف . وما أثبتناه عن السلوك والدرر الكامنة .

وأنفق فيهم الأموال، وآبتدأ بالعرض فى خامس عشر(١) شهر ربيع الآخر، وكمل فى أوّل جمادى(٢) الأولى، فكان يعرِض فى كلّ يوم أميرين من مقدّمى الألوف، وكان يتولّى العَرْض هو بنفسه ويخرجان الأميران بمَنْ أُضيف إليهما من الأمراء ومقدّمى الحلقة والأجناد، ويرحّلون شيئا بعد شئ من أوّل شهر رمضان إلى ثامن عشرينه حتى لم يبق بمصر أحدٌ من العسكر. ثم خرج السلطان فى ثانى شوّال ونزل مسجد التِّبن(٣) خارج القاهرة ورحل منه فى يوم الثلاثاء(٤) ثالث من شوّال، ورتّب بالقلعة نائب الغَيْبة الأمير [سيف الدين](٥) أَيْتَمُش المحمّدى الناصرى. فلمّا كان ثامن شوّال قَدِم البريدُ برحيل التتار ليلة سادس عشرين رمضان من الرَّحْبة وعَوْدهم إلى بلادهم بعد ما أقاموا عليها من أوّل شهر رمضان. فلمّا بلغ السلطانَ ذلك فرّق العساكر فى قاقُون(٦) وعَسْقَلان(٧)، وعزم على الحجّ ودخل دِمَشْق فى تاسع عشر شوّال، وخرج منها فى ثانى ذى القعدة إلى الكَرَك، وأقام بدمشق أَرْغُون النائب والوزير أمينُ المُلك آبن الغَنّام(٨) يجمع المال. وتوجّه السلطان من الكَرَك إلى الحجاز فى أربعين أميرًا فحجّ وعاد إلى دِمَشق فى يوم الثلاثاء حادى عشر المحرّم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وكان لدخوله دِمَشْق يومٌ مشهود، وعَبَر دِمَشْق على ناقة وعليه بُشْت من ملابس العرب بلثام وبيده حَرْبةٌ، فأقام بدَمَشْق خمسة عشر يومًا وعاد إلى مصر، فدخلها يوم ثانى عشر صفر.

(١) فى الأصلين: «آبتدأ العرض فى خامس عشرين شهر ربيع الآخر». وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك. (٢) فى السلوك: «وكمل فى يوم الخميس مستهل رجب».

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٤) فى التوفيقات الإلهامية أن أول شوّال سنة ٧١٢ هـ كان يوم الثلاثاء. (٥) زيادة عن السلوك.

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٨) هو الوزير الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله آبن تاج الرياسة بن الغنام. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٤١ هـ.

ثم عَمِل السلطان فى هـذه السنة (أعنى سـنه ثلاث عشرة وسبعمائة) الرَّوْك بدِمَشْق، ونَدَب إليـه الأميرَ علم الدين سَنْجَر الجاولى نائب غَزّة. ثم إنّ السلطان تجهّز إلى بلاد الصعيد ونزل من قلعة الجبل فى ثانى عشرين شهر رجب من السنة ونَزَل تحت الأهرام بالجيزة[1]، وأظهر أنّه يريد الصيد، والقصدُ السفر للصعيد وأخذُ العُرْبان لكثرة فسادهم، وبعث عِدّة من الأمراء حتّى أمسكوا طريق السُّـوَيْس وطريق الواحات فَضَبط البرَّيْن على العُرْبان، ثم رحَل من منزلة الأهرام إلى جهة الصعيد وفعَـل بالعُرْبان أفعالا عظيمة من القتـل والأَسْر، ثم عاد إلى الديار المصريّة فدخلَها فى يوم السبت عاشر شهر رمضان. وكان ممّن قَبَض عليه السلطان مِقْداد بن شَمّاس[2]، وكان قد عظُم مالُه، حتّى كان عِدّةُ جواريه أربعمائة جارية، وعِدّةُ أولاده ثمـانين. وكان السلطان قد ٱبتدأ فى أوّل هـذه السنة بعمارة القَصْر الأَبْلَق[3] على الإسطبل[4] السلطانى فَفَرَغ فى سابع عشر شهر رجب، وقصد السلطان أن يُحاكِىَ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٢) فى الدرر الكامنة: «مقدام بن شماس» بالميم بدل الدال. (٣) القصر الأبلق، ذكره المقريزى فى خططه (٢٠٩ ج ٢) فقال: إن هـذا القصر يشرف على الإسطبل السلطانى، أنشأه الملك الناصر محمـد بن قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣ هـ وانتهت عمارته سنة ٧١٤ هـ وأنشأ بجواره جنينة.

وبالبحث تبين لى أن هذا القصر قد اندثر، وكان دائما فى الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة إلى الساحة التى بها جامع محمد على باشا. وهذا المكان يشغله الآن السجن الحربى للجيش ومساكن السجانين ويتبعه حديقة، وهذه الأماكن تشرف الآن من فوق السور المرتفع الذى يفصل بينها وبين ورش الجيش المصرى على تلك الورش التى هى فى مكان الإسطبل الآتى ذكره فى الحاشية التالية.

(٤) الإسـطبل السلطانى، يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على صـفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢)، وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإسطبل مكانه اليوم مجموعة المبانى التى بها مخازن وورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العرب الذى كان يسمى قديما [illegible] الإسطبل، فى المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا قيوصجى إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلية [illegible]، هـذا مع العلم بأن المكان الحالى للاسطبل المذكور ليس فى منسوب أرض قلعة الجبل، بل هو فى [illegible] وطى مما عليه القلعة، ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة.

به قَصْرَ الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِى الذى بظاهر دِمَشْق ، وآستدعى له صُنَّاع دِمَشْق وصُنَّاع مصر حتى كمل وأنشأ بجانبه جنينة ، وقد ذهبت تلك الجنينة كما ذهب غيرُها من المحاسن . ثمّ إنّ السلطان رَسَم بهدْم مناظر اللُّوق بالمَيْدان الظاهرى [(١)] ، وعَمِله بستانًا وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات ، وآستدعى خَوَلَةَ الشام والمُطَعِّمين فباشروه حتّى صار من أعظم البساتين ، وعرف أهلُ جزيرة الفِيل [(٢)] من ذلك اليوم التطعيمَ للشجر .

(١) الميدان الظاهرى ، هذا الميدان سبق التعليق عليه بآسم «الميدان بالبورجى» فى الحاشية رقم ٦ ص ١٩١ من الجزء السابع من هـذه الطبعة . وقد رأيت أن أعيد ذكره هنا لاستيفاء موضوعه وتعديل حدوده . تكلم المقريزى على الميدان الظاهرى (ص ١٩٨ ج ٢) فقال : إنه كان بطرف اللوق يشرف على النيل الأعظم وموضعه الآن تجاه قنطرة قدادار من الجهة الغربيـة . أنشأه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما آنحسر ماء النيل و بعد عن ميدان أستاذه الملك الصالح نجم الدين أيوب وما زال يلعب فيه بالكرة هو ومن بعده من ملوك مصر إلى أن كانت سنة ٧١٤ هـ فنزل الملك الناصر محمد بن قلاوون إليه وخرب مناظره وعمله بستانا بسبب بعد البحر عنه ، ثم أنعم به على الأمير قوصون الساقى ، فعمر تجاهه الزريبة التى عرفت بزريبة قوصون على النيل ، و بنى الناس الدور الكثيرة هناك ، ثم خرب هذا البستان بعد قوصون وحكرت أرضه وبنى الناس فوقها الدور التى على يسرة من صعد القنطرة من جهة باب اللوق يريد زريبة قوصون .

أقول : و بالبحث تبين لى أن الميدان الظاهرى كان واقعا فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع الحوياتى وشارع القاضى الفاضل ، ومن الشمال شارع قصر النيل وشارع الأنتيكخانة المصرية ، ومن الغرب شارع ماريت باشا ، ومن الجنوب شارع البستان بالقاهرة .

ولمناسبة ذكر ميدان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى الكلام على الميدان الظاهرى ، ولأن مؤلف هـذا الكتاب لم يذكر الميدان الصالحى ضمن أعمال الملك المذكور فقد رأيت لفائدة القرّاء والباحثين أن أذكره هنا :

ذكر المقريزى الميدان الصالحى (ص ١٩٨ ج ٢) فقال : إنه كان بأراضى اللوق من بر الخليج الغربى . وموضعه الآن من جامع الطباخ بباب اللوق الى قنطرة قدادار التى على الخليج الناصرى . ومن جملته الطريق المسلوكة من باب اللوق الى القنطرة المذكورة ، وكان أوّلا بستانا يعرف ببستان الشريف آبن ثعلب ، فاشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سـنة ٦٤٣ هـ ، وجعله ميدانا وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل ، وصار يركب إليه و يلعب فيه بالكرة إلى أن آنحسر ماء النيل من تجاهه و بعد عنه ، ولما خرب هذا الميدان حكرت أرضه و بنى عليها المساكن .

و بالبحث تبين لى أن هذا الميدان الصالحى كان واقعا فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع عماد الدين ، ومن الشمال شارع قصر النيل ، ومن الغرب شارع القاضى الفاضل وشارع الحوياتى الذى يفصل بينه وبين موقع الميدان الظاهرى ، ومن الجنوب شارع لبستان وميدان الفلكى وشارع الخديوى إسماعيل حتى تلاقى بشارع عماد الدين .

(٢) راجع حاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثم فى سنة أربع عشرة وسبعمائة كتب السلطان لنائب [حلب و](١) حماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدًا منهم لا يكاتب السلطان ، وإنما يكاتب الأمير تنكز نائب الشام، ويكون تنكز هو المكاتب للسلطان فى أمرهم، فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير [سيف الدين](١) بلبان طرنا نائب صفد ينكر ذلك ؛ فكاتب فيه تنكز حتى عزل ، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى ، وحمل بلبان طرنا مقيدًا إلى مصر . ثم إن السلطان اهتم بعمارة الجسور بأرض مصر وترعها ، وندب الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى الشرقية(٢) ، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير

(١) الزيادة عن السلوك . (٢) الشرقية ، كانت مصر من عهد الفتح العربى إلى أوائل عهد الدولة الفاطمية مقسمة من جهة الإدارة إلى ثمانين كورة صغيرة أى إلى ثمانين قسما، وكانت الكورة تعادل فى مساحتها المركز بالمديرية فى وقتنا الحاضر .

ويستفاد مما ورد فى كتاب الديورة والكنائس لأبى صالح الأرمنى أن هذا التقسيم قد ألغى فى عهد الدولة الفاطمية واستبدل به تقسيم آخر أكبر، نقله أبو صالح عن قائمة محررة فى سنة ٤٦٩ هـ = ١٠٧٦ م، ومنها يتبين أن مصر كانت مقسمة فى ذلك العهد إلى ٢٢ إقليما أى كورة كبيرة ، منها ١٣ كورة بالوجه البحرى ، وهى : الشرقية . المرتاحية . الدقهلية . الأبوانية . جزيرة قوسنيا . الغربية . السمنودية . المنوفية . فوّة والمزاحمتين . النستراوية . جزيرة بنى نصر . البحيرة . حوف رمسيس . وتسع كور بالوجه القبلى، وهى : الجيزية . الإطفيحية . البوصيرية . الفيومية . البهنساوية . الأشمونين . السيوطية . الإخميمية . القوصية ، وهذا بخلاف ثغور الإسكندرية ورشيد ودمياط . وفى سنة ٧١٥ هـ = ١٣١٥ م أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بفك زمام القطر المصرى باسم الروك الناصرى ، فغيرت كلمة كورة باسم الأعمال أى النواحى . وفى سنة ٩٣٣ هـ = ١٥٢٧ م أى فى أوائل الحكم العثمانى فك زمام القطر المصرى ، وغيرت كلمة أعمال باسم ولاية . وفى سنة ١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م غيرت كلمة ولاية باسم المأمورية . وفى أوائل سنة ١٢٤٩ هـ = ١٨٣٣ م أصدر محمد على باشا الكبير أمرا عاليا بتغيير كلمة مأمورية باسم مديرية، وهو الاسم المعتمد فى التقسيم الإدارى إلى اليوم .

بعد هذا البيان أقول : إن إقليم الشرقية تكون باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما إلى عدة كور صغيرة ، كل كورة قائمة بذاتها فضم بعضها إلى بعض ، وسميت الشرقية لوقوعها فى الجهة الشرقية من الوجه البحرى . وفى سنة ١٣١٥ م أطلق عليها اسم الأعمال الشرقية . وفى سنة ١٥٢٧ م أطلق عليها اسم ولاية الشرقية . وفى سنة ١٨٢٦ م قسمت الشرقية إلى مأموريات ، وكانت كل مأمورية قائمة بذاتها . وفى سنة ١٨٣٣ م ضمت هذه المأموريات بعضها الى بعض فأصبحت إقليما واحدا باسم مديرية الشرقية ، وقاعدتها الآن مدينة الزقازيق .

إلى البَهْنَساوِيّة[4] والأمير حُسين[3] آبن جَنْدَر[2] إلى أسيوط ومنفلوط[1]، والأمير سيف الدين آقول الحاجب[5] إلى الغربية[6]، والأمير سيف الدين قُلّى أمير سلاح

---

(١) البهنساوية ؛ كانت فى عهد الفراعنة قسما من أقسام مصر بالوجه القبلى يسمى « بامازيت » . وسمى فى عهد الرومان بآسم «أوكسيرنشيت» . وفى عهد العرب بإسم « كورة البهنسا » . وفى أيام الدولة الفاطمية سميت « البهنساوية » نسبة الى مدينة البهنسا التى كانت قاعدة لها ، ثم أضيفت إليها عدة كور أخرى ٥
فأصبحت إقليما كبيرا بعد أن كانت كورة صغيرة ، فكانت البهنساوية تمتد على النيل بطول ١٤٠ كيلومترا من أراضى ناحية إطواب التى بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف شمالا إلى ناحية قلوصنا بمركز سمالوط بمديرية المنيا جنوبا ، وما يقابل هـذا الامتداد إلى الجبل الغربى ، ثم عرفت بالأعمال البهنساوية ، ثم ولاية البهنساوية . وفى سنة ١٨٣٠ م أطلق عليها اسم مأمورية الأقاليم الوسطى ، وجعلت مدينة المنيا قاعدة لهذه
المأمورية ، وبذلك آختفى آسم البهنساوية من الأقسام الإدارية بمصر ، وأصبحت البهنسا قرية من قرى ١٠
مركز بنى مزار بمديرية المنيا بمصر. (٢) كذا فى الأصلين هنا والمنهل الصافى . وفى الدرر الكامنة : « الحسين بن أبى بكر بن جندربك شرف الدين الرومى » . وسيذكر المؤلف فى سنة ٧٢٩هـ وهى سنة وفاته أنه : « شرف الدين حسين بن أبى بكر بن أسعد بن جندربك الرومى » . وفى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣٠٧) : « الحسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندربك شرف الدين الرومى » . (٣) أسيوط ، المقصود
هنا إقليم أسيوط الذى كان يسمى قديما السيوطية ، وهو من أقدم الأقسام الإدارية بالوجه القبلى بمصر . ١٥
كان يسمى فى عهد الفراعنة « يوتف خنت » . وفى عهد الرومان « ليكو بوليتس » . وفى عهد العرب « كورة أسيوط » . وفى أيام الدولة الفاطمية سميت السيوطية نسبة الى مُدينة أسيوط قاعدتها ، وأضيف إليها كور أخرى مجاورة لها فأصبحت أكبر مما كانت ، ثم عرفت بالأعمال السيوطية . وفى سنة ١٧٢١ م عمل تعديل فى تقسيم ولايات الوجه القبلى ترتب عليه إلغاء ولاية أسيوط وإنشاء ولاية جديدة بآسم ولاية
جرجا ، وجعلت قاعدتها مدينة جرجا ، وبذلك أصبحت مدينة أسيوط من توابع ولاية جرجا . ٢٠
وفى سنة ١٨٢٦ م صدر أمر عال بجعل أسيوط مأمورية قائمة بذاتها كما كانت . وفى سنة ١٨٣١ م صدر أمر آخر بضم مأموريتى الأشمونين ومنفلوط إلى مأمورية أسيوط وجعل الثلاث مأمورية واحدة بآسم مأمورية أسيوط . وفى سنة ١٨٣٣ م أطلق عليها آسم مديرية أسيوط وقاعدتها مدينة أسيوط .
(٤) منفلوط ، المقصود هنا إقليم منفلوط الذى كان يسمى المنفلوطية ، وهى من الأعمال التى آستجدّت
فى الروك الناصرى سنة ١٣١٥ م بالوجه القبلى بمصر ، وذلك بفصل قراها من الأشمونين ومن السيوطية ٢٥
بآسم الأعمال المنفلوطية ، ثم أطلق عليها ولاية المنفلوطية . وفى سنة ١٨٢٦ م سميت مأمورية منفلوط . وفى سنة ١٨٣١ صدر أمر عال بضم مأمورية منفلوط إلى مأمورية أسيوط ، وبذلك ألغيت مأمورية منفلوط وأصبحت من وقتها قسما من أقسام مديرية أسيوط بآسم قسم منفلوط . ومن أول سنة ١٨٩٠ م سمى مركز منفلوط ، وقاعدته مدينة منفلوط . (٥) فى الأصلين : « آنوك الحاجب » .
وتصحيحه عن عقد الجمان والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك . (٦) الغربية ، هى من أقاليم ٣٠
الوجه البحرى بمصر ، تكونت بهذا الاسم فى عهد الدولة الفاطمية ؛ وكانت قبل ذلك مقسمة إلى عدة كور =

إلى الطَّحَاويّة[1] وبلاد الأُشْمُونين[2]، والأمير جَنْكَلِي بن البابا إلى القليوبية[3]، والأمير بهادُر المعزّى[4] إلى إخميم[5]، والأمير بهاء الدين أَصْلَمَ[6] إلى قُوص[7].

= صغيرة ضم بعضها إلى بعض، وأطلق عليها اسم الغربية لوقوعها غرب فرع النيل الشرقى. وفى سنة ١٣١٥م سميت الأعمال الغربية. وفى سنة ١٥٢٧م سميت ولاية الغربية. وفى سنة ١٨٢٦م قسمت إلى خمس مأموريات كل مأمورية منها قائمة بذاتها. وفى سنة ١٨٣٣م ضمت هذه المأموريات بعضها الى بعض، وجعلت إقليما واحدا بأسم مديرية الغربيـة، وقاعدتها الآن مدينة طنطا. (١) الطحاوية، هى من الأقسام الإدارية التى استحدثت بالوجه القبلى بمصر فى عهد الرومان بأسم قسم «طوحو». وسميت فى عهد العرب «كورة طحا» نسبة إلى بلدة طحا التى كانت قاعدة لها. وفى عهد الدولة الفاطمية ألغيت هـذه الكورة وأضيف النصف البحرى من قراها إلى البهنساوية، والنصف القبلى إلى الأشمونين، وبذلك ألغيت الطحاوية من الأقسام الإدارية بمصر. وأصبحت بلدة طحا الأعمدة التى كانت قاعدة لها قرية من قرى مركز سمالوط بمديرية المنيا بمصر. (٢) الأشمونين، كانت فى عهد الفراعنة قسما من أقسام مصر بالوجه القبلى يسمى «أونو». وفى عهـد الرومان «هرمو بوليس» وفى عهـد العرب «كورة الأشمونين» وهو آسم قاعدتها. وفى أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كورتان أخريان فأصبحت إقليما كبيرا، عرف بأعمال الأشمونين، ثم ولاية الأشمونين، ثم مأمورية الأشمونين. وفى سنة ١٨٣١م صدر أمر عال بضم هذه المأمورية إلى مأمورية أسيوط، وبذلك آختفى آسم الأشمونين من الأقسام الإدارية بمصر، وأصبحت بلدة الأشمونين قرية من قرى مركز ملوى بمديرية أسيوط بمصر.

(٣) القليوبية، هى من أقاليم الوجه البحرى بمصر، استحدثت فى سـنة ٧١٥ هـ = ١٣١٥م بمرسوم من الملك محمـد بن قلاوون لما أمر بعمل الروك الناصرى، وكانت نواحيها قبل ذلك تابعة لإقليم الشرقية، ثم فصلت عنه بأسم الأعمال القليوبية نسبة إلى مدينة قليوب التى كانت قاعدة لها. وفى سنة ١٥٢٧م أطلق عليها آسم ولاية القليوبيـة، ثم مأمورية القليوبية فى سـنة ١٨٢٦. وفى سنة ١٨٣٣م صدر أمر عال بتسمية المأموريات بأسم مديريات فسميت مديرية القليوبية وقاعدتها الآن مدينة بنها.

(٤) فى الأصلين «القارى» وما أثبتناه عن السلوك. (٥) إخميم، المقصود هنا إقليم إخميم الذى كان يسمى الإخميمية، وهو من أقدم الأقسام الإدارية بالوجه القبلى بمصر. كان يسمى فى عهد الفراعنة «خمينو». وفى عهـد الرومان «بانو بوليتس». وفى عهـد العرب «كورة إخميم». وفى عهـد الدولة الفاطمية أضيف إليها الكور المجاورة فصارت إقليما بأسم الإخميمية نسـبة إلى مدينة إخميم قاعدته. وفى سـنة ١٣١٥م أطلق عليها آسم الأعمال الإخميمية. وفى سنة ١٥٢٧م ألغيت الإخميمية وأنشئ بدلا عنها ولاية جديدة بأسم ولاية جرجا، وبذلك آختفى آسم الإخميمية من أسماء الأقاليم وأصبحت من وقتها قسما من أقسام ولاية جرجا، ثم قسما من مديرية جرجا بآسم قسم إخميم. ومن أول سنة ١٨٩٠م سمى مركز إخميم وقاعدته مدينة إخميم. (٦) فى الأصلين: «بهادر أصلم». وتصحيحه عن المنهل الصافى والسلوك وتاريخ سـلاطين المماليك. (٧) قوص، المقصود هنا إقليم قوص الذى كان يسمى القوصية، وهو من الأقاليم التى آستجدّت فى عهـد الدولة الفاطمية بأسم القوصية نسبة إلى مدينة قوص التى كانت قاعدة له، وكان هذا الإقليم قبل ذلك مقسما إلى عدة كور، كل كورة منها قائمة بذاتها، فضم =

ثم إن السلطان قبض على الأمير [علاء الدين][1] أيدغدى شقير وعلى الأمير بكتمر الحسامى الحاجب صاحب الدار[2] خارج باب النصر فى أول شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعمائة فقتل أيدغدى شقير من يومه، لأنه اتهم أنه يريد الفتك بالسلطان، وأخذ من بكتمر الحاجب مائة ألف دينار وسجن . ثم قبض السلطان على الأمير طغاى، وعلى الأمير تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير [سيف الدين][3] بهادرآص وحمل إلى الكرك من دمشق، واستقر الأمير كستاى الناصرى نائب طرابلس عوضا عن تمر الساقى . ثم أفرج السلطان عن الأمير بخاص المنصورى أحد البرجية من الحبس، وأخرج الأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى إلى دمشق منفيا . ثم فى ثامن عشر شهر رجب أفرج السلطان عن الأمير آقوش الأشرفى نائب الكرك، وخلع عليه وأنعم عليه بإقطاع الأمير حسام الدين لاچين الأستادار بعد موته .

= بعضها إلى بعض، وأطلق عليها اسم القوصية . وفى سنة ١٣١٥ م أطلق عليها اسم الأعمال القوصية . وفى سنة ١٥٢٧ م ألغيت القوصية وأنشئ بدلا عنها ولاية جديدة باسم ولاية جرجا، وبذلك اختفى اسم القوصية من أسماء الأقاليم المصرية، وأصبحت قسما من أقسام ولاية جرجا، ثم قسما من أقسام مديرية قنا باسم قسم قوص . ومن أول سنة ١٨٩٠ م سمى مركز قوص وقاعدته مدينة قوص .

(١) زيادة عن السلوك . (٢) دار بكتمر الحسامى، ذكرها المقريزى فى خططه باسم دار الحاجب (ص ٦٤ ج ٢) فقال : إن هذه الدار خارج باب النصر تجاه مصلى الأموات، أنشأها الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى، ولما مات سنة ٧١٤ هـ اشترى هذه الدار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب فعرفت به . ولما تكلم المقريزى على مصلى العيد (ص ٤٥١ –) قال : إنه خارج باب النصر، وقد اتخذ فى جانب منه موضع مصلى الأموات ، وبما أن مصلى عيد كان واقعا خارج باب النصر . ومكانه اليوم المقابر الواقعة على يمين الخارج من باب النصر على رأس شارع نجم الدين، فتكون دار بكتمر الحاجب واقعة تجاهه . ومكانها اليوم المقابر الواقعة على رأس شارع نجم الدين من جهة اليسار، ومن هذا يتضح أنها هى ومصلى العيد والأموات قد اندثرت كلها .

(٣) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك .

وفى العشر الأخير من شعبان من سنة خمسَ عشرةَ وسبْعمائة وقع الشروع فى عمل الرَّوْك[1] بأرض مصر، وسبب ذلك أنّ أصحاب بيبَرْس الجاشْنكير وسَلّار وجماعة من البُرجية، كان خبْزُ الواحد منهم ما بين ألف مِثقال فى السنة إلى ثلثمائة[2] مثقال، فأخذ السلطان أخبازهم وخَشِى الفتنة، وقرّر مع فخر الدين [محمد بن فضل الله][3] ناظر الجيش رَوْك البلاد، وأخرج الأمراء إلى الأعمال، فتعيّن الأمير بدر الدين جَنْكَلى بن البابا إلى الغربية[4] ومعه آقولُ[5] الحاجب والكاتب مكين الدين إبراهيم بن قَرْوِينَة . وتعيّن للشرقية الأمير أيْدَمُر الخَطيرى ومعه أيْتَمُش المحمدى والكاتب أمين الدين قُرْموط، وتعيّن للمَنُوفية[6]

(١) الروك الناصرى، الروك كلمة قبطية قد أصطلح على أستعمالها للقيام بعملية قياس الأرض وحصرها فى سجلات وتثمينها أى تقدير درجة خصوبة تربتها لتقدير الخراج عليها ، و يقولون : راك البلاد و يروكها أى فك زمامها ، و يقابل الروك فى الوقت الحاضر عمليتا فك الزمام وتعديل الضرائب .

و يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه على الروك الناصرى (ص ٨٧ ج ١) أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما ولى حكم مصر للرة الثالثة رأى أن الأراضى الزراعيــة بمصر ليست موزعة على الأمراء والجند والمقطعين وغيرهم بطريقة عادلة تنظم وضع يد كل واحد منهم على نصيبه الذى يتناسب مع درجته و يكفى لمصاريفه العادية ، و بعد أن تشاور الملك الناصر فى هذا الموضوع مع القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش أمره أن يروك الديار المصرية و يقرّر إقطاعات بما يختار ، و يكتب بها مثالات سلطانية أى قوائم مساحة رسمية بما يخص كل واضع يد ، وما عليــه من الخراج . و بناء على ذلك أصدر الملك الناصر مرسوما فى سنة ٧١٥ هـ = ١٣١٥ م للقيام بإجراء هذه العملية بالطريقة التى ذكرها مؤلف هذا الكتاب . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٩٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) فى المقريزى : « ما بين ألف دينار الى ثمانمائة دينار » . وفى السلوك : « ما بين ألف مثقال الى ثمانمائة مثقال » . وفى أحد الأصلين : « كان خبز الواحد منهم مائتى ألف مثقال فى السنة الى ثلثمائة ألف مثقال » .

(٣) زيادة عن المقريزى .

(٤) فى عقد الجمان آختلاف كثير فى أسماء البلاد وفى أسماء من عينوا لها بزيادة ونقص عما هنا . (راجع عقد الجمان قسم ٢٣ ج ١) (لوحة ٥٢ — ٥٣) .

(٥) فى الأصلين هنا أيضا : « آنوك » والتصحيح عما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ٥ ص ٣٩ من هــذا الجزء .

(٦) المنوفية ، من أقاليم الوجه البحرى بمصر ، تكوّنت فى عهد الدولة الفاطمية بأسم المنوفية نسبة الى مدينة منوف التى كانت قاعدة لها ، وكانت قبل ذلك مقسمة الى كور ضم بعضها الى بعض . وفى سنة ١٣١٥ م أطلق عليها آسم الأعمال المنوفية . وفى سنة ١٥٢٧ م أطلق عليها آسم ولاية المنوفية . وفى سنة ١٨٢٦ م أطلق عليها آسم مأمورية المنوفيــة . وفى سنة ١٨٣٣ م سميت مديرية المنوفيــة ، وقاعدتها الآن مدينة شبين الكوم .

والبحيرة[1] الأمير بلبان الصرخدي و[طرنطاي] القلنجقي[2] و[محمد][2] بن طرنطاي وبيبرس الجمدار . وتعين جماعة أخر للصعيد[3]، وتوجه كل أمير إلى عمله . فلما نزلوا بالبلاد استدعى كل أمير مشايخ البلاد ودلاتها[4] وقياسيها وعدولها وسجلات كل بلد، وعرف متحصلها ومقدار فدنها ومبلغ عبرتها ، وما يتحصل منه للجندي من العين والغلة والدجاج والإوز والخراف والكشك والعدس والكعك. ثم قاس الأمير تلك[5] الناحيـة وكتب بذلك عدة نسخ، ولا زال يعمل ذلك في كل بلد حتى انتهى أمر عمله . وعادوا بعد خمسة وسبعين يوما بالأوراق، فتسلمها فخر الدين ناظر الجيش، وطلب التقي[6] كاتب برلغي وسائر مستوفي الدولة، ليفردوا لخاص السلطان بلادا ويضيفوا الجوالي[7] إلى البلاد، وكانت الجوالي قبـل ذلك إلى وقت الروك لهـا ديوان مفرد

(١) البحيرة، هي من الأقسام الإدارية التي استجدت في عهد العرب باسم كورة البحيرة . وفي أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كور أخرى مجاورة لها فصارت إقليما كبيرا باسم البحيرة . وفي سنة ١٣١٥ م أطلق عليها أعمال البحيرة . وفي سـنة ١٥٢٧ م ولاية البحيرة . وفي سـنة ١٨٣٣ م مديرية البحيرة ، وقاعدتها مدينة دمنهور . (٢) في الأصلين : «والقليجي» والزيادة والتصحيح عن عقد الجمان .

(٣) الصعيد، سمي صعيدا لأن أرضه كلما وغلت في الجنوب أخذت في الصعود والارتفاع . ويطلق الصعيد في مصر على وادي النيـل الواقع على جانبي النيل ، بينه وبين الجبلين : الشرقي والغربي في المسافة بين مدينة مصر (مصر القديمة) وبين أسوان ، ويقال له : أعلى الأرض أو الوجه القبلي . وينقسم الصعيد إلى ثلاثة أقسام وهي : القسم الأول الصعيد الأسفل ، ويشمل الآن : مديرية الجيزة (ما عدا قرى مركز امبابة) ومديريتي الفيوم وبني سويف . والقسم الثاني هو الصعيد الأوسط ، ويشمل مديريات : المنيا وأسيوط وجرجا ؛ وهذان القسمان يطلق عليهما مصر الوسطى . والقسم الثالث هو الصعيد الأعلى ، ويشمل : مديريتي قنا وأسوان ، ويأتي بعد ذلك بلاد النوبة السفلى ، وتشمل النواحي الواقعة على جانبي النيل من شلال أسوان شمالا إلى شـلال وادي حلفا جنوبا ، وفيها نواحي مركز الدر التابع لمديرية أسوان بمصر .

(٤) يريد الأدلاء . (٥) كذا في أحد الأصلين والدرر الكامنة والسلوك وفي الأصل الآخر : «ملك» . وفي تاريخ سلاطين المماليك : «بلك» بالباء الموحدة . (٦) هو أسعد ابن أمين الملك تقي الدين الأحول كاتب برلغي ومستوفي الحاشية ، كان هو السبب في عمل الروك الناصري . توفي في شهر رجب سنة ٧١٦ هـ (عن الدرر الكامنة) . (٧) الجوالي، لما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ هـ = ٦٤٠ م قرر على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى فوق ذلك — ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ — دينارين عن كل رأس من الرجال ، وعرفت هذه الضريبة بالجزية ، وكل مسيحي بدا [illegible] من دفعها . =

يختصّ بالسلطان، فأضيف جَوَالِي كلّ بلد إلى متحصل خراجها، وأُبْطِلت جهات المُكُوس التي كانت أرزاقُ الجند عليها، منها ساحل الغلّة(١)، وكانت هذه الجهة مُقْطَعة لأربعمائة جُنْدِيّ من أجناد الحَلْقة سوى الأمراء، وكان متحصّلها في السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم .

٥ قلت : وهذا القَدْر يكون الآن شيئا كثيرا من الذهب من سعر يومنا هذا . وكان إقطاع الجنديّ من عشرة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم، وللأمراء من أربعين ألفا

= ولما تكلم المقريزى فى خططه على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١) قال : وأما الجزية فهى التى تعرف بالجوالى وأنها تجبى سلفا وتعجيلا فى أوّل كل سنة ، وكان يحصل منها مال كثير فيا مضى ، وبلغ ارتفاع إيراد الجوالى لسنة ٥٨٧ هـ ١٣٠٠٠٠ دينار، ثم قال : وأما فى وقتنا هذا فإن الجوالى قلت
١٠ جدّا لكثرة إظهار النصارى للاسلام لسبب الحوادث التى مرت بهم حتى بلغ إيرادها فى سنة ٨١٦ هـ ١١٤٠٠ دينار أى ٦٨٤٠ جنيها ، فيتبين مما ذكر أن الجوالى هى بذاتها الجزية التى فرضها المسلمون على أهل الذمة من رجال النصارى واليهود، وكانت تعرف فى عهد العرب بالجزية . وفى عهد الترك الجراكسة بالجوالى . وكانت جزية أهل الذمة من النصارى واليهود تورّد فى ذلك الوقت قلما واحدا مستقلا بذاته، وكانوا يؤدونها مسانهة أى فى أوّل كل سنة ، وكانوا يرون وجوبها مشاهرة ، وفائدة ذلك أن من مات من أهل
١٥ الذمة يلزم بقدر ما مضى من السنة قبل وفاته أو إسلامه ، ولذلك كانوا يوردونها بين الخراجى والهلالى . ولما استولى العثمانيون على مصر فى سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م أطلقوا على هـذه الضريبة اسم الويركو فصارت الجوالى تعرف بالويركو الشرعى المربوط بإحدى درجاته الثلاث ، وهى العال ، ومقرّره ١٦ قرشا ، والوسط ومقرّره ١٢ قرشا ، والدون ، ومقرّره ٨ قروش على كل مسيحى و إسرائيلى بلغ من العمر ١٥ سنة من أهل الذمة ، وكان مايحصل من الويركو سنويا مدّة الحكم العثمانى يخصص للصرف على الفقراء من أهل مكة
٢٠ والمدينة . وفى سنة ١٢٧١ هـ = ١٨٥٥ م بلغ المتحصل من الويركو ٢٨٦٧ كيسة أى ١٤٣٣٥ جنيها عثمانيا . وقد تجاوز عنه المرحوم محمد سعيد باشا والى مصر إحسانا من لدنه رأفة برعاياه ، وأمر بأن يستمر صرف مرتبات الفقراء من أهل مكة والمدينة إلى أربابها على أن يكون الصرف لهم من إيرادات الدولة ، وبذلك ألغيت هذه الضريبة ورفعت عن عاتق النصارى واليهود فى مصر .

(١) ساحل الغلة ، يفهم من عبارة المؤلف أن هذا الساحل كان واقعا على النيـل ببولاق ، وكان
٢٥ به خص الكيالة الآتى ذكره فى الصفحة التالية .

وبالبحث تبـين لى أن ساحل الغلة فى ذلك الوقت كان واقعا على النيل ببولاق . ومكانه اليوم شارع ساحل الغلال ببولاق وما فى امتداده شمالا من شارع ماسبيرو حتى نهايته البحرية ، وقد استمر ساحل الغلال فى مكانه المذكور إلى سـنة ١٨٩٩ م وفيها نقل إلى مكانه الحالى على النيـل باسم ساحل روض الفرج بشارع روض الفرج بالقاهرة .

إلى عشرة آلاف درهم، فاقتنى المباشرون منها أموالا عظيمة، فإنها كانت أعظم الجهات الديوانية وأجل معاملات مصر. وكان الناس منها في أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والعسف والظلم، فإن أمرها كان يدور على نواتية[1] المراكب والكيالين والمشدين والكتاب؛ وكان المقرر على كل إردب درهمين ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما كان ينهب. وكان له ديوان في بولاق خارج المقس[2]، وقبله كان له خص يعرف بخص الكيالة[3]. وكان في هذه الجهة نحو ستين رجلا ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديا للشد، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه، فأزال الملك الناصر هذا الظلم بجميعه عن الرعية، ورخص سعر القمح من ذلك اليوم، وانتعش الفقير وزالت هذه الظلامة عن أهل مصر، بعد أن راجعته أقباط مصر في ذلك غير مرة، فلم يلتفت إلى قول قائل — رحمه الله تعالى — ما كان أعلى همته، وأحسن تدبيره.

وأبطل الملك الناصر أيضا نصف السمسرة الذي كان أحدثه ابن الشيخي[4] في وزارته — عامله الله تعالى بعدله — وهو أنه من باع شيئا فإن دلالة كل مائة درهم درهمان، يؤخذ منها درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه ويخلص درهمه

(١) ورد في شفاء الغليل للشهاب الخفاجي أن النوتي (بضم النون) هو الملاح والجمع نواتي ويخفف. وفتح نونه وجمعه على نواتية غلط؛ قاله الزبيدي. (٢) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٥٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٣) خص الكيالة، ذكر المقريزي في خططه عند الكلام على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) أن خص الكيالة الذي يؤخذ فيه مكس الغلة كان ببولاق إلى أن أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذكر مؤلف هذا الكتاب أن أحد الجوامع الثلاثة التي أنشأها ناظر الجيش فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر، كان خلف خص الكيالة ببولاق.

وبالبحث تبين لي أن جامع الفخر المذكور هو الذي يعرف اليوم بجامع أبي العلاء بشارع فؤاد الأول ببولاق مصر؛ وأن خص الكيالة كان كشكا كبيرا يقيم فيه عمال تحصيل مكس الغلال في ذلك الوقت. ومكانه اليوم على النيل بشارع ماسبيرو ببولاق في النقطة التي يتقابل فيها هذا الشارع بحارة الخاصكي الواقع خلفها جامع أبي العلاء المذكور.

(٤) هو ناصر الدين محمد بن عبد الله المارديني ابن الشيخي والي القاهرة. وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٢١٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

قبل درهم السلطان؛ فأبطل الملك الناصر ذلك أيضا ، وكان يتحصل منه جملة كثيرة وعليهـا جند مُستقطَعة .

وأبطل السلطان الملك الناصر أيضا رسوم الولايات والمقدّمين والنُّوّاب والشُّرْطية، وهى أنها كانت تُجْبَى من عُرَفاء الأسواق و بيوت الفواحش، وكان عليها أيضا جُنْدٌ مستَقْطَعة وأمراء، وكان فيها من الظلم والعَسْف وهَتْك الحُرَم وهَجْم البيوت و إظهار الفواحش ما لا يُوصف، فأبطـل ذلك كلَّه — سامحه الله تعـالى وعفا عنه — .

وأبطل ما كان مقرّرا للحوائص والبِغال، وكان يُجْبَى من المدينة ومن الوجهين: القبلىّ والبحرىّ، ويُحمَل فى كلّ قِسْط من أقساط السنة إلى بيت المـال عن ثمن الحِياصة ثلثمائة درهم ، وعن ثمن البغل خمسمائة درهم، وكان على هذه الجهة أيضا عِدّة مُقْطَعين ، سوى ما كان يحمل إلى الخزانة، فكان فيها من الظلم بلاء عظيمٌ ؛ فأبطل الملك الناصر ذلك كلَّه ، رحمه الله .

وأبطل أيضا ما كان مقرّرا على السجون، وهو على كلّ من سُجِن ولو لحظةً واحدةً مائةُ درهم ســوى ما يَغْرَمُه (١) . وكان أيضا على هذه الجهة عِدّةُ مُقْطَعين، ولها ضامن يَجْبِي ذلك من سائر السجون ؛ فأبطل ذلك كلَّه ، رحمه الله .

وأبطل ما كان مقرّرا من طَرْح الفراريج (٢) ، وكان لهـا ضُمّانٌ فى سائر الأقاليم ، كانت تُطْرَح على الناس بالنواحى الفراريجُ، وكان فيها أيضا من الظُّلم والعَسْف وأَخْذ

(١) فى المقريزى والسلوك له : « ستة دراهم » . (٢) طرح الفراريج ، ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على الروك الناصرى (ص ٨٧ ج ١) أنه من ضمن ما أبطله الملك الناصر محمد بن قلاوون من أنواع المظالم ما كان مقررا من طرح الفراريج ولها ضمان عدة من سائر نواحى أرض مصر، يطرحون على الناس الفراريج أى يفرضون عليهـم الكتاكيت ، فيلحق بضعفاء الناس من ذلك بلاء عظيم ، وتقاسى الأرامل من العسف والظلم شيئا كثيرا ، وكان على هذه الجهة أى على هذا العمل عدّة مقطعين أى ملتزمين ، ولا يكون لأحد من الناس فى جميع الأقاليم أن يشـترى فروجا فـا فوقه إلا من الضامن ، ومن عثر عليـه أنه اشترى أو باع فروجا من غير الضامن سلط عليه العذاب .

لأموال من الأرامل والفقراء والأيتام مالا يمكن شَرْحه ، وكان عليها عِدّة مُقْطَعين ومرتّبات ، ولكل إقليم ضامنٌ مقرّر ، ولا يقدر أحد أن يشترى فَرُّوجا إلّا من الضامن ، فأبطل الناصر ذلك ، ولله الحمد .

وأبطل ما كان مقرّرا للفُرْسان ، وهو شيءٌ تستهديه الوُلاة والمقدمون من سائر الأقاليم ، فيُجبَى من ذلك مالٌ عظيم ، ويُؤخذ فيه الدرهم ثلاثة[1] دراهم من كثرة الظلم ، فأبطل الملك الناصر ذلك ، رحمه الله تعالى .

وأبطل ما كان مقررا على الأقصاب والمعاصر ، كان يُجْبَى من مُزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة ، فيحصُل من ذلك شيء كثير .

وأبطل ما كان يُؤخذ من رسوم الأفراح ، كانت تُجْبَى من سائر البلاد ، وهى جهة لا يُعرف لها أصل فبَطَل ذلك ونُسِى ، ولله الحمد .

وأبطل جِباية المراكب ، كانت تُجْبَى من سائر المراكب التى فى بحر النيل بتقرير معيّن على كلّ مَرْكَب ، يقال له مقرّر الجِماية[2] ، كان يُجْبَى ذلك من مسافرى المراكب سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ، فبَطَل ذلك أيضا .

وأبطل ما كان يأخذه مِهْتار[3] طشتخاناه السلطان من البَغَايا والمنكَرات والفواحش ، وكانت جملةً مستكثرة .

(١) عبارة المقريزى : « فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين » .

(٢) فى الأصلين : « يقال له تقرير الحماية » . وما أثبتناه عن المقريزى والسلوك له .

(٣) المهتار : لقب واقع على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشراب خاناه ومهتار الطشت خاناه ومهتار الركاب خاناه . وميه بكسر الميم : معناه بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون معنى المهتار : الأكبر . (صبح الأعشى خامس ص ٤٧٠) .

وأبطل ضمان مُجيب[1] بمصر وشدّ الزعماء[2] وحقوق السودان وكَشْف مراكب النوبة، فكان يُؤخذ عن كلّ عَبْد وجارية مبلغ مقرّر عند نزولهم فى الخانات، وكانت جهةً قبيحة شنيعة إلى الغاية، فأراح الله المسلمين منها على يد الملك الناصر، رحمه الله .

وأبطل أيضا متوفّر الجراريف[3] بالأقاليم، وكان عليها عِدَّةٌ كثيرة من المُقْطَعين .

وأبطل ما كان مقرّرا على المشاعلية من تنظيف أَسْرِبَة البيوت والحمّامات والمسامط وغيرها، فكان إذا آمتلأ سَرَاب بيت أو مدرسة لايمكن شيلُه حتى يحضُر الضامن ويُقرِّر أجرته بما يختار، ومتى لم يُوافقه صاحب البيت تركه ومضى حتى يحتاج إليه ويبذُلَ له ما يطلُب .

وأبطل ما كان مقرّرا من الجُبى برسم ثمن العِبِى[4] وثمن رِكوة[5] السُّوّاس .

وأبطل أيضا وظيفتى النظر والآستيفاء من سائر الأعمال، وكان فى كل بلد ناظرٌ ومستوفٍ ومباشرون، فرسم السلطان ألّا يُستخدم أحدٌ فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون ناظرًا وأمين حكم لا غيره، ورفع يدَ سائر المباشرين من البلاد .

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه عند الكلام على ذكر الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط (ص٢٩٧ ج١) فقال : إنّ تجيب هم بنو عدىّ وسعد ابنى الأشرس بن شعيب بن السكن بن الأشرس بن كندة ، فمن كان من ولد عدىّ وسعد يقال لهم تجيب، وتجيب أمهم . ويغلب على الظن أن بعض أفراد هذه القبيلة كانوا ضمانا للخانات التى تنزل بها الجوارى والعبيد بمصر لعمل الفاحشة، وذلك لالتزامهم بتحصيل الرسوم التى كانت مقرّرة على من ينزل بتلك الخانات . (٢) فى الأصلين : « وشد الرعاء » . وما أثبتناه عن المقريزى والسلوك له . (٣) عبارة المقريزى (ج ١ص ٨٩) : «متوفر الجراريف، وهو ما يجبى من سائر النواحى، فيحمل ذلك مهندسو البلاد إلى بيت المال بإعانة الولاة لهم فى تحصيل ذلك» . وأما كلمة الجراريف فمفردها جاروف وهو المستعمل الآن فى كسح ورفع الأتربة والطين فى إنشاء الجسور والترع وغيرها . (٤) العبى لغة عامية، عربيتها عباء. (٥) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركوات (بالتحريك) وركاء . (عن لسان العرب) .

قلت : وكلّ ما فعله الملك الناصر من إبطال هـذه المظالم والمكوس دليلٌ على حسن آعتقاده وغزير عقله وجَوْدة تدبيره وتصرّفه ، حيث أبطل هـذه الجهات القبيحة التى كانت من أقبح الأمور وأشنعها وعوّضها من جهاتٍ لا يُظْلَم فيها الرجل الواحد . ومَثَلُه فى ذلك كمثل الرجل الشجاع الذى لا يُبالِى بالقوم، كثُروا أو قلّوا، فهو يَكُرّ فيهم فإن أوغل فيهـم خلص، وإن كرّ راجعا لا يُبـالِى بمَن هو فى أثره، لِمَـا يعلم مافى يده من نفسه، فأبطل لذلك ما قَبُح وأحدث ماصلُح من غير تكلُّف، وعدم تخوُّف، فلله دَرُّه من مَلِك عمَّر البلاد، وغمَر بالإحسان العِباد . وهذا بخلاف مَنْ ولى بعده من السلاطين فإنهـم لقِصَر باعهم عن إدراك المصلحه ، مهما رأَوْه، ولو كان فيه هلاكُ الرعية ، وعذابُ البرية ، يقولون : بهذا جرت العادة من قبلنا، فلا سبيلَ إلى تغيير ذلك ولو هَلَك العـالم ، فلَعَمْرِى هل تلك العـادة حدثت من الكتاب والسُّنة، أم أحدثها مَلِك مثلُهم ! وما أرى هذا وأمثاله إلّا من جميل صنع الله تعالى، كى يتميّز العالِم من الجاهل . إنتهى .

ثم رَسَم السلطان الملك النـاصر [بالمسامحة](1) بالبواقى الديوانية والإقطاعية من سائر النواحى إلى آخر سنة أربعَ عشرةَ وسبعمائة(2) . وجَعَل الرّوكَ الهِلالىَّ(3) لآستقبال صفر سنة ستّ عشرة وسبعمائة، والرّوكَ الخَرَاجىَّ(4) لآستقبال ثُلُث مُغَلّ سنة خمسَ عشرةَ

---

(1) زيادة عن السلوك وعقد الجمان . (2) فى عقد الجمان : «إلى آخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة » . (3) الروك الهلالى (صوابه المال الهلالى كما فى المقريزى) . لما تكلم المقريزى فى خططه على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١)، قال : إن المال الهلالى هو الذى يستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المسقفة من الآدر والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين وأحكار البيوت ومصايد الأسماك ومعاصر الشيرج والزيت وغيرها . (4) الروك الخراجى(صوابه المال الخراجى كما فى المقريزى) . لما تكلم المقريزى على ذكر أقسام مال مصر (ص ١٠٣ ج ١) قال : إن المال الخراجى هو ما يؤخذ مسانهة أى سنويا من الأراضى التى تزرع حبوبا ونخلاوعنباوفاكهة، وما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من أهل الريف .

وسبعمائة . وأفرد السلطان لخاصته الجيزة(١) وأعمالها ، ونتجت الجوالى من الخاص وفرّقت فى البـلاد ، وأفردت الجهاتُ التى بقيت من المكس كلها، وأضيفت إلى الوزير ، وأفردت للحاشية بلادٌ، ولجوامك المباشرين بلادٌ ، ولأرباب الرواتب جهاتٌ . وأرتجعت عدّةُ بلاد كانت آشتُريت من بيت المـال وحُبست، فأدخلت فى الإقطاعات .

قلت : وشراء الإقطاعات من بيت المـال شراءٌ لا يعبأ الله به قديمـا وحديثا ، فإنه متى آحتاج بيتُ مال المسلمين إلى بيع قرية من القُرى ، وإنفاق ثمنها فى مصالح المسلمين ! فهذا شىء لم يقع فى عصر من الأعصار(٢) ، وإنمـا تُشترى القرية من بيت المـال ، ثم إن السلطان يهب للشارى ثمن تلك القرية ، فهذا البيع وإن جاز فى الظاهر لا يستحلّه الورع ، ولا فعـله السّلف ، حتى إنّ الملك لا تجوز له النفقةُ من بيت المـال إلّا بالمعروف ، فمتى جاز له أن يهب الألوفَ المؤلّفـة من أثمـان القرى لمن لا يستحقّ أن يكون له النّزْرُ اليسير من بيت المـال ، وهذا أمرٌ ظاهر معروف يطول الشرح فى ذكره . وفى قصّة سيّدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ما فرضه لنفسه من بيت المـال كفايةٌ عن الإكثار فى هذا المعنى . انتهى .

ثم إن السلطان رسم بأن يُعتدّ فى سائر البـلاد بما كان يُهديه الفلّاحين وحُسب من جمـلة المبلغ . فلمّا فرغ من العمل فى ذلك نُودى فى النـاس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أُبطل من جهات المكس وغيره ، وكُتبت المراسيم بذلك إلى سائر النواحى بهـذا الإحسان العظيم ، فسُرّ النـاس بذلك قاطبةً سروراً عظيما ، وضجّ العالَم بالدعاء للسلطان بسائر الأقطار ، حتى شكر ذلك ملوكُ الفرنج ، وهابته من حسن تدبيره . ووقع ذلك لملوك التتار وأرسلوا فى طلب الصُّلح حسب ما يأتى ذكره .

(١) عبارة المقريزى والسلوك : « وأفرد السلطان لخاصته الجيزة وأعمالها و « هو » والكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدّة بلاد » .

(٢) يجمع العصر على أعصر وعصور .

ثم جلس السلطان الملك الناصر بالإيوان(١) الذى أنشأه بقلعة الجبل فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجّة سنة خمسَ عشرةَ وسبعمائة لتفرقة المثالات(٢). وهذا الرَّوْك يُعرف بالرَّوْك الناصرى المعمول به إلى يومنا هذا، وحضروا الناس ورَسَم السلطان أن يُفرّق فى كلّ يوم على أميرين من المقدّمين بمُضافيهما ، فكان المقدّمُ يقف بمضافيه ، ويُسْتَدعَى كلُّ واحد بآسمه ، فإذا تقدّم المطلوب سأله السلطان ، من أنت ؟ ومملوك من أنت ؟ حتّى لا يَخْفَى عليه شىءٌ من أمره ، ثم يُعطيه مِثالا يُلائمه ؛ فأظهر السلطان فى هذا العَرْض عن معرفة تامّة بأحوال رعيّته ، وأمور جيوشه وعساكره ؛ وكان كِبارُ الأمراء تحضُر التَّفْرِقة فكانوا إذا أخذوا فى شُكْرِ جندىٍّ عاكسهم السلطان، وأعطاه دون ما كان فى أملهم له ، وأراد بذلك ألّا يَتكلّم أحدهم فى المجلس، فلمّا عَلِموا بذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث إنّه لا يتكلّم أحدٌ منهم بعد ذلك إلا ردّ جوابٍ له عما يُسْأَلُ عنه فمشى الحال بذلك على أحسن وجه من غير غَرَض ولا عصبيّة، وأَعْطى لكلّ واحد ما يستحقّه .

قلت : وأين هذه الفِعْلَة من فِعْل المَلِك الظاهر بَرْقُوق، رحمه الله؛ وقد أظهر من قِلّة المعرفة، وإظهار الغَرَض التامّ، حيث أنعم على قريبه الأمير قَجْمَاس بإمرة

(١) الإيوان، يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على الإيوان بقلعة الجبل (ص٢٠٦ ج ٢) أن الإيوان المعروف بدار العدل أنشأه الملك المنصور قلاوون، ثم جدّده آبنه الملك الأشرف خليل فعرف بالقاعة الأشرفية ، وآستمرّ جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعاد بناءه فى سنة ٧٣٠ هـ . وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ، ونصب فى صدره سرير الملك، وعمل أمام الإيوان رحبة فسيحة لجاء من أعظم المبانى . وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ، ولذلك سمى دار العدل . وبالبحث تبين لى أن هذا الإيوان مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلعة القاهرة . وأما الرحبة التى كانت أمامه فكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع المذكور.

(٢) المثالات ، راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وقد ذكرت فى الحاشية المذكورة أن المثال عبارة عن وثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج وصوابه أنها تصدر من ديوان الجيش .

مائة وتَقْدِمة ألف بالديار المصرية، وهو إذ ذاك لا يُحسِن يتنفّظ بالشهادتين، فكان مباشرو إقطاعه يدخلون إليـه مع أرباب وظائفه فيجدون الفقيهَ يُعَلِّمـه التشهّدة وقراءة الفاتحة وهو كالتّيس بين يدى الفقيه! فكان ذلك من جمـلة ذنوب الملك الظاهر بَرْقُوق التى عدّدُوها له عند خروج الناصرى[(١)] ومَنْطاش[(٢)] عليه، ونَفَرتِ القلوبُ منـه حتى خُلِـع وحُبِس حسب ما يأتى ذكره . ولم أُرِدْ بذلك الحـطَّ على الملك الظاهر المذكور غير أنّ الشيء بالشيء يُذْكر . انتهى .

ثم فعَل السلطان الملك الناصر ذلك مع مماليكه وعساكره، فكان يسأل المملوك عن آسمـه وآسم تاجره وعن أصـله وعن قدومه إلى الديار المصرية، وكم حضر مَصَافّ، وكم لعب بالرمح [وعن][(٣)] سِنّه، ومَنْ كان خَصْمَه فى لعب الرُّمح، وكم أقام سنة بالطبقة؟ فإن أجابه بصدق أنصفه وإلّا تركه، ورَسَم له بجامكيّة هيّنة حتى يصل إلى رُتبة من يُقْطَع بباب السلطان، فأعجَب الناس هذا غايةَ العجب . وكان الملك النـاصر أيضا يُخَيِّر الشـيخ المسِنّ بين الإقطاع والراتب، فيُعطيه ما يختـاره، ولم يُقطع فى هـذا العرض إلا العاجزُ عن الحركة، فيرتّب له ما يقـوم به عِوضًا عن إقطاعه .

وآتّفق للسلطان أشياء فى هـذا العَرْض، منها : أنّه تقدّم إليـه شابٌّ تامّ الخِلقة فى وجهه أثر يُشبِه ضَرْبةَ السيف، فأعجبه وناوله مِثالًا بإقطاع جيِّد، وقال له : فى أىّ مصاف وقع فى وجهك هـذا السيف؟ فقال يا خَوَنْد : هذا ما هو أثر سَـيف، وإنّما وقعتُ من سُلَّم فصار فى وجهى هذا الأثر، فتبسّم السلطان وتركه،

(١) هو يلبغا بن عبـد الله الناصرى الأتابكي اليلبغاوى الأمير سيف الدين . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٣ هـ . (٢) هو تمربغا بن عبد الله الأفضلى المدعو منطاش الأمير سيف الدين المتغلب على الديار المصرية . توفى سنة ٧٩٥ هـ . (٣) زيادة عن المقريزى .

فقال له الفخر ناظر الجيش : ما بقى يصلُح له هــذا الخبزُ، فقال الملك النـاصر : قد صدّقنى وقال الحق، وقد أَخَذ رِزْقه، فلو قال : أُصِبتُ فى المصافّ الفـلانى، من كان يُكَذّبه ! فدعت الأمراء له وآنصرف الشابُّ بالإقطاع. ومنها : أنّه تقدّم إليه رجل دميمُ الخَلْق وله إقطاعٌ ثقيلٌ، عبرتُه[1] ثمانمائة دينار، فأعطاه مِثالاً وآنصرف به، عِبرتُه نصف ما كان فى يده، فعاد وقبّل الأرض، فسأله السلطان عن حاجته؟ فقال : الله يحفظ السلطان ، فإنّه غَلِط فى حَقّ ، فإنّ إقطاعى كانت عِبْرته ثمانمـائة دينار، وهــذا عِبْرته أربعمائة دينـار ؛ فقال السلطان : بل الغلط كان فى إقطاعك الأول ، فآمْضِ بمـا قسمَ الله لك ؛ وأشياء من هــذا النوع إلى أن آنتهت تفـرقة المثالات فى آخر المحرّم سنة ستّ عشرة وسبعمائة، فوفّر[2] منها نحو مائتى مِثال .

ثم أخَذ السـلطان فى عَرْض مماليك الطِّباق ووفّر جوامك[3] عِدّة منهم، ثم أفرد جهةَ قَطْيا[4] للعاجزين من الأجناد، وقرّر لكلّ منهم ثلاثة آلاف [درهم][5] فى السنة . ثم إن السـلطان آرتجع ما كانت الممـاليك البُرْجيّة آشترته من أراضى الجيزة وغيرها. وآرتجع السلطان أيضًا ما كان لبيبرس وسَلّار و بُرْلُغِى والجُوكُنْدَار وغيرهم من الرِّزَق[6]

(١) ذكرت فى الحاشية رقم ١ ص ٩٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة أن العبرة معناها مقدار المساحة، وهذا خطأ، صوابه أن العبرة فى الأصطلاح المـالى القديم معناها مقدار المربوط من الخـراج أو الأموال على كل إقطاع من الأرض، وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف . (٢) المقصود هنا. أن الملك الناصر وفر نحو مائتى إقطاع ممـا كان بأيدى الجند . (٣) الجوامك : المرتبات . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) زيادة عن السلوك والمقريزى . (٦) الرزق : مفـردها رزقة ، وهى الأطيان التى كان يعطيها الخلفاء والملوك والسلاطين بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانيـة إلى بعض الناس على سبيل الإحسان والإنعام رزقة بلا مال . ومن تلك الأراضى ما هو موقوف صرف ريعه على المساجد والخوانك والرباطات والأضرحة وغيرها من الجهات الخـيرية للقيام بمصالحها ودوام عماراتها والصرف على القائمين بإدارتها . ومنها غير الموقوف فيصرف ريعه إلى مستحقيه، والرزق التى من هــذا النوع تنحل بأنقراض أصحابها ، وممـا ورد فى هذا الكتاب يتبين أن الملك الناصر آرتجع الرزق أى نزعها من واضعى اليد عليها .

وغيرها ، وأضاف ذلك كلّه لخاصّ السلطان، و بالغ السلطان فى إقامة الحُرْمة فى أيّام العَرْض ، وعرّف الأمير أَرْغُون النائب وأكابر الأمراء أنّه مَنْ ردّ مثالًا أو تضرّر أو شكا ضُرِب وحُبِس وقُطِع خُبْزُه ، وأنّ أحدًا من الأمراء لا يتكلّم مع السلطان فى أمر جندىّ ولا مملوك، فلم يتجاسر أحدٌ يُخالف ما رَسَم به؛ وغُبِن فى هذا الرَّوْك أكثرُ الأجناد، فإنّهم أخذوا إقطاعا دون الإقطاع الذى كان معهم، وقصد الأمراء ٥ التحدث فى ذلك مع السلطان ، فنهاهم أَرْغُون النائب عن ذلك ، فقدّر الله تعالى أنّ الملك الناصر نزَل إلى بركة الحجيج (١) لصَيْد الكُرْكِىّ (٢) على العادة ، وجلس فى البستان المنصورىّ الذى كان هناك ليستريح، فدخَل بعضُ المَرَقْدَارِيّة (٣) يقال له عُزَيْز وكان من عادته يَهْزِل قُدّام السلطان ليُضْحِكه ، فأخَذ المَرَقْدَار يَهْزِل ويَمْزَح ويتسخر قُدّام السلطان والأمراءُ جلوسٌ، وهناك ساقية فتمادَى فى الهَزْل لشُؤْم بَخْته إلى أن قال : ١٠ وجدتُ جنديًّا من جند الرَّوك الناصرىّ وهو راكبٌ إكْدِيشًا ، وخُرْجُه ومِخْلاتُه ورُمْحُه على كَتِفه ، وأراد أن يُتِمّ الكلام، فآشتدّ غضبُ السلطان، فصاح فى المماليك : عَرُّوه ثِيابَه، ففى الحال خُلِعت عنه الثِّياب، ورُبِط مع قواديس الساقية، وضُرِبت الأبقار حتى أسرعت فى الدَّوَران ، فصار عُزَيز المذكور تارةً ينْغَمِس فى الماء وتارةً يظهر وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطانُ يزداد غضبًا ولم يَجْسُر أحدٌ من الأمراء أن ١٥ يَشْفَع فيــه حتّى مضى نحو ساعتين وآنقطع حِسُّــه، فتقدّم الأمير طُغَاى الناصرىّ والأمير قُطْلُوبُغَا (٤) الفخرىّ الناصرىّ وقالا : ياخَوَنْد، هذا المسكين لم يُرِد إلّا أن يُضْحِك

(١) هى بذاتها بركة الحجاج . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الكركى : طائر يقرب من الوز أبتر الذنب رمادى اللون فى خده لمعات سود قليـل اللحم صلب العظم يأوى إلى الماء أحيانا والجمع كراكى . ٢٠

(٣) المرقدارية، وظيفـة من يتصدّى لخدمة ما يحـوز المطبخ وحفظه . سمى بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عنـد رفع الخوان . (صبح الأعشى ص ٤٧٠ ج ٥) .

(٤) فى الأصلين : «قطلوبك» . وتصحيحه عن الدرر الكامنة والسلوك وآبن إياس والمنهل الصافى وتاريخ سلاطين المماليك .

السلطان ويُطَيِّب خاطره، ولم يُرِدْ غير ذلك، فما زالا به حتّى أُخرج الرجل وقد أَشْفَى على الموت، ورَسَم بنفيه من الديار المصريّة، فعند ذلك حَمِد الله تعالى الأمراء على سكوتهم وتَرْكهم الشفاعةَ في تغيير مثالات الأجناد (١) . انتهى أمرُ الرَّوْك وما يتعلّق به .

٥ وفي محرّم سنة ستّ عشرة وسبعمائة ورد الخبر على السلطان بموت خَرْبَنْدَا مَلِك التّتار وجلوس ولده بُوسعيد (٢) في المُلك بعده . ثم أفرج الملك الناصر عن الأمير بَكْتَمُر الحُسامِيّ الحاجب وخلَع عليه يوم الخميس ثالث عشر شوّال من السنة المذكورة بنيابة صَفَد، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم . ثم نقَل السلطان في السنة أيضا الأمير كَرَاي المنصوريّ وسُنْقُر الكماليّ الحاجب من سجن الكَرَك إلى البُرْج بقلعة الجبل فسُجِنا بها .

١٠ ثمّ بدا له زيارة القُدْس الشريف، ونزل السلطان بعد أيام في يوم الخميس رابع جُمادَى الأولى من سنة سبع عشرة وسبعمائة، [وسار] (٣) ومعه خمسون أميرا، وكريمُ الدين الكبير ناظر الخواصّ وفخر الدين ناظر الجيش، وعلاء الدين [عليّ بن أحمد بن سعيد] (٤) بن الأثير كاتب السِّرّ، بعد ما فرّق في كلّ واحد فَرَسًا مُسْرَجًا وهَجِينًا، وبعضهم ثلاث هُجُن، وكتَب إلى الأمير تَنْكِز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات (٥) لزيارة القُدْس، فتوجّه إلى القُدْس وزاره، ثم توجّه إلى الكَرَك ودخله وأفرج عن جماعة، ١٥ ثم عاد إلى الديار المصريّة فدخلها في رابع عشر جُمادَى الآخرة، فكانت غَيْبته عن مصر أربعين يومًا .

(١) في تغيير مثالات الأجناد، المقصود هنا الأوراق التي كان يعطيها السلطان إلى الجند مبينا بها مقدار الأطيان التي كانت تمنح إقطاعا لهم وبيان النواحي الكائنة بها تلك الأطيان. (٢) في الدرر الكامنة نقلا عن الصفدي: «الناس يقولون: أبو سعيد بلفظ الكنية، لكن الذي ظهر لي أنه علم ليس ٢٠ في أوله ألف، فإني رأيته كذلك في المكاتبات التي كانت ترد منه إلى الناصر هكذا: بوسعيد» .

(٣) زيادة عن السلوك . (٤) زيادة مما تقدم ذكره في ص ١٧٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) الإقامات هي ما ينزل فيها المسافر من الخيام ولوازمها وما يتبعها من أمتعة السفر .

ثمّ بعـد مجيء السلطان وصل إلى القاهرة الأمير علاء الدين مُغُلْطَاى الجمالى ، والأمير بهادُر آص ، والأمير بِيبَرْس الدّوادار ، وهؤلاء الذين أفرج عنهم من حَبْس الكَرَك ، وخَلع السلطان عليهم وأنعم على بهادُر بإمرة فى دِمَشْق ، ولَزِم بِيبَرْس داره ، ثم أنعم عليه بإمرة وتقدمة ألف على عادته أوّلا .

٥ ثم عزل السلطان الأميرَ بَكْتَمُر الحُسامِىّ الحاجب عن نيابة صَفَد فى أوّل سنة ثمانىَ عشرةَ وسبعمائة وقَدِم القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر . وفى هذه السنة تجهّز السلطان لركوب المَيْدان[1] ، وفرّق الخيل على جميع الأمراء ، وآستجدّ ركوب الأوجاقية بكَوافِى زَرْكَش على صفة الطاسات وهم الجَفْتاوات[2] . وفيها آبتدأ السلطان بهَدْم المطبخ وهَدْم الحوائج خاناه والطشتخاناه وجامع القلعة القديم ، وأخلط

١٠ الجميع و بناء الجامع[3] الناصرى الذى هو بالقلعة الآن فجاء من أحسن المبانى . وتجدّد

(١) المقصود هنا الميدان الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون على النيل . ومكانه اليوم أرض القصر العالى المشهورة بجاردن سىّ ، فى شمالى مستشفى قصر العينى بالقاهرة . وسيأتى التعليق على هذا الميدان فى هذا الجزء . (٢) الجفتاوات ، جمع جفتة ، وهما آثنان من أو شاقية إصطبل السلطان قريبان فى السن ، عليهما قباءان أصفران من حرير بطراز من زركش ، وعلى رأسيهما

١٥ قبعتان من زركش وتحتهما فرسان أشهبان برقبتين وعدة نظير ما السلطان راكب به ، كأنهما معدان لأن يركبهما ، يركبان أمامه فى أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة فى الميدان الكبير ونحو ذلك . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) . (٣) الجامع الناصرى ، هـذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع القلعة (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع بقلعة الجبل ، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٨ هـ وكان فى مكانه جامع قديم والمطبخ السلطانى ومخازن الأدوات والمفروشات فهدم

٢٠ الجميع وأدخلها فى هذا الجامع ، والظاهر أن عمارة الجامع لم ترق فى نظر الملك الناصر ، فقد ذكر المقريزى فى موضع آخر من خططه عند الكلام على هذا الجامع (ص ٢١٢ ج ٢) أن الملك الناصر أخربه فى سنة ٧٣٥ هـ و بناه هذا البناء ، يضاف إلى ذلك ما ورد فى كتاب تاريخ سلاطين المماليك لإبراهيم بن مغلطاى وهو أنه فى أول رمضان سنة ٧٣٦ هـ صلى فى جامع القلعة عند فراغه وتكملته وتجديده .

وأقول : إن الملك الناصر قد آحتفظ بتاريخ تأسيس الجامع ، وهو سنة ٧١٨ هـ كما هو منقوش على

٢٥ بابه البحرى ، وأن هذا الجامع لا يزال موجودا ومشرفا على الحوش الذى فيه جامع محمد على باشا بالقلعة ، إلا أنه معطل من الصلاة بسبب عدم الصرف عليه و إهماله مدّة طويلة حتى تخرّب معظمه . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح وترميم هـذا الجامع فأعادت بناء القبة الكبيرة التى بالإيوان الشرقى وأصلحت منارته وسقفه ، وهى توالى عملية الإصلاح حتى تم عمارته لإقامة الشعائر الدينية بفضل الله .

أيضا في هـذه السنة بدمشق ثلاثة جوامع : جامع الأمير تنكز[1] المشهور به، وجامع كريم الدين[2]، وجامع شمس الدين غبريال[3]. ثم حج في هـذه السنة أمير الحاج الأمير مغلطاى الجمالي، وقبض بمكة على الشريف رميثة[4]، وفر حميضة[5] وقدم مغلطاى المذكور برميثة مقيدا إلى القاهرة .

٥ وفي سـنة تسع عشرة وسبعمائة آستجد السلطان القيام فوق الكرسي للأمير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك الذي أفرج عنه السلطان في السنة الماضية، وكذلك للأمير بكتمر البوبكري[6] السلاح دار، فكانا إذا دخلا عليه قام لهما، وكان آقوش نائب الكرك يتقـدم على البوبكري عنـد تقبيل يد السلطان ، فعتب الأمراء على البوبكري في ذلك، فسأل البوبكري السلطان عن تقديم نائب الكرك عليه، فقال :

١٠ لأنه أكبر منك في المنزلة، فآستغرب الأمراء ذلك وكشفوا عنـه ، فوجدوا نائب الكرك تأمر في أيام الملك المنصور قلاوون [إمرة[7]] عشرة، وجعله أستادار آبنـه الأشرف خليل في سنة خمس وثمـانين وستمائة، ووجدوا البوبكري تأمر في سـنة تسعين وستمائة فسكتوا الأمراء عند ذلك ، وعلموا أن السلطان يسير على القواعد القديمة وأنه أعرف منهم بمنازل الأمراء وغيرها .

---

١٥ (١) هو تنكز بن عبد الله الناصري الأمير بدر الدين . توفي سنة ٧٤١ هـ (عن المنهل الصافي والدرر الكامنة) . (٢) هو عبد الكريم بن هبة الله بن السديد كريم الدين أبو الفضائل القبطي المصري وكيل الناصر ومدبر الدولة الناصرية . توفي سنة ٧٢٤ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي) .

(٣) هو عبد الله بن صنيعة القبطي الوزير شمس الدين غبريال كاتب الخزانة في أيام لاجين، ثم أسلم سنة ٧٠١ هـ، ثم ولي نظر الدواوين بدمشق في سنة ٧١٣ هـ فدام فيها إلى سنة ٧٢٣ هـ . توفي في شوال

٢٠ سنة ٧٣٤ هـ (عن الدرر الكامنة) . (٤) هو رميثة أسد الدين أبو عراضة بن أبي نمى محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة (عن الدرر الكامنة) . (٥) هو حميضة بن أبي نمى محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة (عن الدرر الكامنة) (٦) في تاريخ سلاطين المماليك والدرر الكامنة : « بكتمر الأبوبكري » . (٧) زيادة عن السلوك .

وفيها اهتمّ السلطان لحركة السفر إلى الحجاز الشريف، وتقدّم كريم الدين الكبير ناظر الخواصّ إلى الإسكندرية لعمـل الثّياب الحرير برسم كسوة الكعبة، وبينا السلطان فى ذلك وصلت تقدمةُ الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهُجُن بأكوار(١) ذهب وسلاسل ذهب وفضّـة ومَقاوِد حرير، وكانت عِدّة كثيرة يطول الشرح فى ذكرها. ثم أيضا وصلت تَقْدمة الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل صاحب حَماة، وهى أيضا تشتمل على أشياء كثيرة، وتَوَلّى كريم الدين تجهيز مايحتاج إليه السلطان من كلّ شىء حتى إنه عَمِل له عِدّة قُدُور من ذهب وفضّة [ونُحاس](٢) تُحْمَل على البَخاتىّ ويُطْبَخ فيهـا للسلطان، وأحضر الخَوَلة لعمل مَبَاقِل ورياحين فى أحواض خشب تُحْمَل على الجمال فتسير مزروعة فيها وتُسْقَى بالمـاء، ويُحْصَد منها ما تدعو الحاجة إليه أوّلا بأوّل، فتهيأ من البقل والكُرّاث والكُسْبُرة والنعناع وأنواع المشمومات والرَّيْحان شىء كثير، ورتّب لهـا الخَوَلة لتعاهدها بالسقية وغيرها، وجُهِّزت الأفران وصُنّاع الكُماج(٣) والجُبْن المَقْلِى وغيره. وكُتِبت أوراق عليق السلطان والأمراء الذين معـه وعِدّتهم آثنـان وخمسون أميرا، لكل أمير ما بين مائة عَلِيقة، [فى كلّ يوم](٤) إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، وكانت جمـلةُ العَلِيق فى مدّة سفر السلطان ذَهابا وإيابا مائةَ ألف إرْدبّ وثلاثين ألف إرْدب [من الشعير](٤) وحَمَل تَنْكِز من دِمَشْق خمسمائة حِمل على الجمال ما بين حَلْوَى وسكر وفواكه ومائة وثمانين حَمْل حبّ رُمّان ولَوْز، وما يُحتاج إليه من أصناف الطبخ، وجهّز كريم الدين الكبير من الإوزّ ألف طائر، ومن الدّجاج ثلاثة آلاف طائر، وأشياء كثيرة من ذلك.

---

(١) أكوار، جمع كور، وهو الرحل. (٢) زيادة عن السلوك. (٣) الكماج: خبز غير مختمر يصنع من الدقيق الأبيض الخالص، يخبز فى الرماد (عن قاموس استينجاس).
(٤) زيادة عن السلوك.

وعيّن السلطان للإقامة بديار مصر الأمير أرْغُون الناصرى النائب ومعه الأمير أيْتَمُش المحمّدى وغيره . ثم قَدِم الملك المؤيّد صاحب حَمَاة إلى القاهرة ليتوجّه فى رِكاب السلطان إلى الحجاز، وسافر المَحْمل على العادة فى ثامن عشر شوّال مع الأمير سيف الدين طُرْجى (١) أمير مجلس، وركب السلطان من قلعة الجبل فى أوّل ذى القعدة، وسار من بركة الحُجّاج فى سادس ذى القعدة وصحبتُه المؤيد صاحب حماة والأمراء وقاضى القضاة بدر الدين بن جَمَاعة الشافعى وغالبُ أرباب الدولة، وسار حتى وصل مكّة المشرّفة بتواضُع زائد بحيث إنّ السلطان قال للأمير جَنْكَلى بن البابا : لا زلتُ أُعَظِّم نفسى إلى أن رأيت الكعبة المشرّفة وذكرتُ بوس الناس الأرض لى، فدخلتْ فى قلبى مهابةٌ عظيمة ما زالت عنى حتى سجدتُ لله تعالى . وكان السلطان لما دخل مكّة حَسَّنَ له قاضى القضاة بدر الدين بن جَماعة أن يطوف بالبيت راكبا كما فعل النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال له الملك الناصر : ومن أنا ! حتى أتَشَبَّهَ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ، والله لا طفتُ إلا كما يطوفُ الناس! ومَنع الحُجّابَ من مَنْع الناس أن يطوفوا معه ، وصاروا يُزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد منهم فى مدّة طَوَافه، وفى تقبيله الحجرَ الأسود .

قلتُ : وهذه حجّةُ الملك الناصر الثانية . ولما كان الملك الناصر بمكّة بلغه أن جماعة من المُغْل ممّن حجّ فى هذه السنة قد اختفى خوفا منه فأحضرهم السلطان وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم . وغَسَل السلطان الكعبة بيده وصار يأخذ أُزُرَ إحرام الحُجّاج ويَغْسِلها لهم فى داخل البيت بنفسه، ثم يدفعها لهم، وكثُر الدعاء له . وأبطل سائرَ المُكوس من الحرمين الشريفين، وعوّض أميرَىْ مكّة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام، وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات .

(١) فى الأصلين : «طرغى» بالغين المعجمة ، وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وتاريخ ابن إياس .

وفى هــذه السنة مهّــد السلطان ما كان فى عَقَبة أَيْلَة من الصخور، ووسّـع طريقها، حتى أمكن سلوكُها بغير مَشَقّة، وأنفق على ذلك جُمَلًا مستكثرة، وٱتفق لكريم الدين الكبير ناظر الخاصة أمْر غريب بمكة فيه موعظة، وهو أن السلطان بالغ فى تواضعه فى هذه الحِجّة للغاية، فلما أُخرِجت الكسوة لتُعْمَل على البيت صَعِد كريم الدين المذكور إلى أعلى الكعبة بعد ما صلّى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر فى الخيّاطين، فأنكر الناس ٱستعلاءَه على الطائفين، فبَعث الله عليه وهو جالس نُعاسًا سقَط منه على رأســه من عُلْو البيت فلو لم يتداركوه مَنْ تحته لَهَلَك، وصَرخ الناس فى الطواف صَرْخةً عظيمة تعجّبًا من ظهور قدرة الله تعـالى فى إذلال المتكبرين! وٱنقطع ظُفُر كَريم الدين وعلِم بذنبه فتصدّق بمـال جزيل .

وفى هذه السَّفْرة أيضا أجرى السلطان المـاء لخُلَيْص[1] وكان ٱنقطع من مدّة سنين، ولَقِي السلطانُ فى هذه السَّفْرة جميعَ العُرْبان وملوكها من بنى مَهْدِى[2] وأمرائها وشطى[3] وأخاه عَسّافا وأولاده وأشراف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشرافَ المدينــة ويَنْبُع وغيرهم، وعَرَب خُلَيْص وبنى لَأْم[4] وعُرْبان حَوْرَان[5] وأولاد مُهَنّا[6] : موسى وسليمان وفَيّاضًا وأحمد وغيرهم، ولم يتفق ٱجتماعهم عند ملك غيره، وأنعم عليهم بإقطاعات وصِلَات وتدلّلوا على السلطان، حتى إن موسى بن مُهَنّا كان له ولدٌ صغير فقام فى بعض

---

(١) خليص : حصن بين مكة والمدينة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بنو مهدى : بطن من بنى طريف من جذام من القحطانية، منازلهم بالبلقاء من بلاد الشام، وهم بطون كثيرة وأفخاذ متسعة (عن نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى) . (٣) هو شطى بن عتبــة (كما فى صبح الأعشى وهامش الدرر الكامنة) . وفى أصل الدرر : «ابن حية» . وفى المنهل الصافى : « ابن عبيــد » . وهو أمير آل عقبة عرب البلقاء والكرك إلى تخوم الحجاز . توفى ليـلة عيد الأضحى سنة ٧٤٨ هـ (عن المصادر المتقــدمة) . (٤) بنو لأم : من آل ربيعــة من عرب الشام (عن شرح القاموس) . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٦) فى الأصلين : « عيسى » والتصحيح عن السلوك والدرر الكامنة .

الأيام ومدّ يده إلى لحية السلطان وقال له : يا أبا علىّ بحياة هذه اللحية ومسك منها شعرات ألّا ما أعطيتنى الضَّيعة الفلانية إنعامًا علىّ، فصرخ فيه فخر الدين ناظر الجيش وقال له : شل يدك ، قطع الله يدك! تمدّ يدك إلى السلطان، فتبسّم له السلطان وقال : هذه عادةُ العرب، إذا قصدوا كبيرًا فى شىء فيكون عظمته عندهم مسك لحيته، يريد أنه آستجار بذلك المسّ، فهو سُنّةٌ عندهم؛ فغضب الفخر ناظر الجيش وقام وهو يقول : إنّ هؤلاء مناحيس وسُنّتهم أنحس. ثم عاد السلطان بعد أن قضى مناسكه إلى جهة الديار المصرية فى يوم السبت ثانى عشر المحرّم سنة عشرين وسبعمائة بعد أن خرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحجّاج، وركب السلطان بعد آنقضاء السّماط فى موكب عظيم، وقد خرج الناس لرؤيته وسار حتى طلع القلعة، فكان يومًا مشهودًا، وزُيّنت القاهرة ومصر زينةً عظيمة لقدومه، وكثُرت التهانى وأرباب الملاهى من الطبول والزمور ، وجلس السلطان على تخت المُلك وخلع على الأمراء وألبس كريم الدين الكبير أطلسين ، ولم يتّفق ذلك لمتعمّم قبله . ثم خلع السلطان على الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة وأركبه بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية ببين القصرين ، وحمل وراءه الأمير قجليس السّلاح دار السّلاح، وحمل الأمير ألجاى الدّوادار الدواة، وركب معه الأمير بيبرس الأحمدى أمير جاندار والأمير طيبرس، وسار بالغاشية[(1)] والعصائب[(2)] وسائر دست السلطنة وهم بالخلع معه إلى أن طلع إلى القلعة ، فكان عدّةُ تشاريف من سار معه مائةً وثلاثين تشريفًا فيها ثلاثة عشر أطلس والبقية كنجى[(3)] وعمل الدار وطرد وحش، وقبّل الأرض وجلس على ميمنة

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) العصائب جمع عصابة ، وهى راية عظيمة من حرير أصفر مطرّزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٨) .

(٣) الكنجى (القطنى) : نسيج من الحرير والقطن ، كان يصنع بادئ أمره فى مدينة كنجة (جنزة) من إقليم أران (عن دوزى) . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

السلطان ولقّبه السلطان بالملك المؤيّد وسافر من يومه بعــد ما جهّزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه . ثم أفرج السلطان عن جماعة من الأمراء المحبوسين ، وعدّتهم ازيد من عشرة نفر . ثم ندَب السلطان الأميرَ بيبرس الأحمدى الحاجب وطائفةً من الأجناد إلى مكة ليُقيم بها بدل الأمير آق سُنْقُر شاد العمائر خوفًا من هجوم الشريف حُمَيْضة على مكّة .

وفى هذه السنة أبطل السلطان مَكْس المِلْح بالقاهرة وأعمالها فأُبيـع الإرْدَبّ المِلح بثلاثة دراهم بعد ما كان بعشرة دراهم . ثمّ أَذِن السلطان للأمير أرْغُون النائب فى الحجّ فحجّ ، وعاد فى سنة إحدى وعشرين بعد أن مَشَى من مكّة إلى عَرَفات على قدميه تواضُـعًا . ثم أخرج السلطان الأميرَ شرف الدين حُسين[1] بن جَنْدَر إلى الشام على إقطاع الأمير جُوبان ، ونُقل جُوبان على إمْرة بديار مصر . وسبب نفى الأمير حُسين أنّه لمّـا أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين[2] بجوار داره[3] على الخليج

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٩ من هذا الجزء . (٢) جامع أمير حسين ، ذكره المقريزى فى خططـه باسم جامع الأمير حسين (ص ٣٠٦ ج ٢) فقال : إن الذى أنشأه هو الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندربك الرومى على قطعة من بستان بجوار غيط العدّة . ولمـا مات سنة ٧٢٩ هـ دفن بهذا الجامع . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه . وبالمعاينة تبين لى أنه أنشئ فى سنة ٧١٩ هـ كما هو مبين فى لوح من الرخام مثبت فى التجويف العلوى لباب الجمع ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية بحارة الأمير حسين من جهة ميدان باب الخلق بالقاهرة . ومئذنته الأصـلية هدمت لخلل طرأ عليها ثم جدّدت فى سنة ٨٦٦ هـ . (٣) دار الأمير حسين ، يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خوخة الأمير حسين وعلى جامعه وقنطرته : أن السبب الذى حمل هذا الأمير على فتح خوخة فى سور القاهرة الغربى تجاه جامعه وقنطرته هو أن يخرج منها من داره التى كانت واقعة خلف الخوخة المذكورة إلى جامعه الذى أنشأه بحكر جوهر النوبى غربى الخليج المصرى .

وبمـا أن هــذه الخوخة كانت بحارة الوزيرية ومكانها الآن على رأس شارع الاستئناف فى الزاوية البحرية الغربية لمبنى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة فيتبين من ذلك أن دار الأمير حسين كانت بخط درب سعادة وليس لهـا أثر اليوم .

فى البرّ الغربىّ بحكر جَوْهر النُّوبى. ثم عمّر القنطرة (١) وأراد أن يفتح فى سور القاهرة
خوخة تنتهى إلى حارة الوزيريّة (٢)، فأُذن له السلطان فى فتحها، فخرق باباً كبيرا وعمل
عليه رَنْكَه، فسعى به علمُ الدين سَنْجر الخيّاط متولّى القاهرة، وعظّمَ الأمرعلى السلطان
فى فتح هذا الباب المذكور، فرَسَم بنفيه فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة المذكورة.

وفيها وقع الحريق بالقاهرة [ومصر] (٣) فآبتدأ من يوم السبت خامس عشر ٥
جُمادَى الأولى وتَواتَر إلى سَلْخه، وكان ممّا آحترق فيه الرَّبْعُ الذى بالشَّوايين (٤) من أوقاف

(١) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم قنطرة الأمير حسين (ص١٤٧ج٢) فقال:
إنها واقعة على الخليج الكبير، عمرها الأمير حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر بك الرومى، ويتوصل
منها إلى برالخليج الغربى حيث الجامع الذى أنشأه بحكر النوبى.

وبالبحث تبين لى أن هذه القنطرة أنشئت بعد الجامع أى فى أواخر سنة ٧١٩هـ؛ وكانت واقعة على الخليج ١٠
المصرى، ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة الأمير حسين إلى سنة ١٨٩٧م التى تم فيها ردم الجزء الأوّل
من الخليج من جهة قنطرة غمره إلى ميدان باب الخلق، وفى تلك السنة ردمت القنطرة مع الخليج . ومكانها
اليوم فى الزاوية البحرية الغربية بميدان باب الخلق تجاه مدخل حارة الأمير حسين.

(٢) هذه الخوخة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خوخة أمير حسين (ص٤٦ج٢) فقال:
إن هذه الخوخة من جملة الوزيرية يخرج منها إلى تجاه قنطرة الأمير حسين، فتحها الأمير شرف الدين حسين ابن ١٥
أبى بكر ابن إسماعيل بن جندر بك الرومى حين أنشأ الجامع بحكر جوهر النوبى والقنطرة على الخليج الكبير.

وأقول: إن الخوخة باب صغير ضمن بوابة كبيرة من الخشب تكون لدار أو وكالة أو فندق أو غير ذلك من
المبانى، و يفتح هذا الباب الصغير للاستعمال اليومى فى حالة عدم الحاجة إلى فتح البوابة الكبيرة. وأما الخوخة
هنا فتطلق على كل باب من الأبواب الصغيرة فى سور المدينة أو على رأس الدروب والأزقة داخل المدينة.

وخوخة الأمير حسين هذه كانت من الأبواب الصغيرة فى سور القاهرة الغربى الذى كان مشرفا ٢٠
على الخليج الكبير، وقد اندثر السور والخوخة. وكانت واقعة على مدخل شارع الاستئناف فى الزاوية
البحرية الغربية لسراى محكمة الاستئناف الأهلية بميدان باب الخلق بالقاهرة، و يقع تجاهها مكان قنطرة
الأمير حسين وحارة الأمير حسين التى بها جامعه الموجود إلى اليوم. (٣) زيادة عن السلوك.

(٤) الربع بالشوايين، ذكره المقريزى فى خططه باسم سوق الشوايين (ص١٠٠ج٢) فقال:
إن هذا السوق أوّل سوق وضع بالقاهرة، وكان يعرف بسوق الشرايحيين الذين يبيعون الشرائح أى أحزمة ٢٥
الخيول وأدوات السروج، وهو من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين، وما زال يعرف بسوق
الشرايحيين إلى أن سكن فيه عدّة من بائعى الشواء، وهو اللحم المشوى فى حدود سنة ٧٠٠هـ فزالت عنه
النسبة إلى الشرايحيين وعرف بالشوايين.

البِيمارِسْتان المنصورى وٱجتهد الأمراء فى طَفْيه، فوقع الحريق فى حارة الدَّيْلَم(١) قريبًا من دار كريم الدين الكبير، ودَخل اللّيل وٱشتدّ هبوبُ الرياح فسَرَت النار فى عِدّة أماكن، و بعث كريم الدين ٱبنه عبد الله للسلطان فعرّفه . فبَعث السلطان لإطفائه عِدّةً كثيرة من الأمراء والمماليك خوفًا على الحواصل السلطانية، فتعاظم الأمر وعجز آق سنقر شاد العمائر، والنار تعمل طول نهار الأحد، وخَرج النساء مسبّيات و بات الناس على ذلك، وأصبحوا يوم الآثنين والنار تَلُفُّ ما تمرّ به، والهَدْم واقعٌ فى الدور المجاورة للحريق . وخرج أمرُ الحريق عن القُدْرة البشريّة، وخرجت ريحٌ عاصفة

= ولما تكلم المقريزى على مسالك القاهرة وشوارعها (ص٣٧٢ ج١) قال : و بعد المسجد الذى يسمى مسجد ... بن نوح يسلك المار فيجد سوق السراجين و يعرف اليوم بالشوايين؛ وفى هــذا السوق على اليمين الجامع الظافرى المعروف بجامع الفكاهيين و بجانبه الزقاق المسلوك منه إلى حارة الديلم و يجد على يسرته الزقاق المسلوك منه إلى حارة الجودرية والقماحين، بعد ذلك يسلك أمامه إلى ســوق الحلاويين .

أقول : ومن هــذا الوصف يتبين أن سوق الشوايين الذى كان يعرف قديما بسوق الشرابشيين أو السراجين هو بدايته وحدوده الذى كان يعرف إلى سنة ١٩٣١ م بشارع العقادين إذ كان يمتد من سبيل العقادين عنــد مدخل حارة الروم إلى مدخل شارع خوش قــدم على اليمين ومدخل حارة القماحين على اليسار، هــذا هو شارع الشوايين فى زمن المقريزى . وأما فى زماننا فيطلق شارع الشوايين على سوق الحلاويين القديم أى على الطريق الممتدة بعــد شارع العقادين السابق ذكره فى المسافة ما بين مدخل شارع خوش قدم و بين مدخل شارع الكحكيين .

و بمقتضى المرسوم الصادر فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧ أصبح شارعا العقادين والشوايين جزءا من شارع المعز لدين الله بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(١) حارة الديلم، ذكر المقريزى فى خططه هــذه الحارة (ص ٨ ج ٢) فقال : إنها عرفت بذلك لنزول الديلم، وهم طائفة من الترك الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدومه إلى مصر ومعه أولاد مولاه معز الدولة البويهى و جماعة من الديلم والأتراك فى سنة ٣٦٨ هـ فسكنوا بها فعرفت بهم .

ولما تكلم المقريزى على حارة الأتراك (ص ١٠ ج ٢) قال : إن هذه الحارة تجاه جامع الأزهر، وتعرف اليوم بدرب الأتراك، وكان نافذا إلى حارة الديلم ، وكانت هــذه الحارة تارة تذكر قائمة بنفسها وتارة تضاف إلى حارة الديلم، فيقولون : حارة الترك والديلم .

أقول : ومن هــذا الوصف ومما ذكره المقريزى فى مواضــع أخرى عن بعض الأماكن العامة التى أنشئت قديما فى حارة الديلم يتبين أن هذه الحارة تقع الآن فى المنطقة التى تشمل اليوم عدّة طرق منها شارع خوش قــدم وحارة خوش قدم وحارة الحمام وعطفة السباعى وشارع الكحكيين ودرب لوليه وشارع حمام المصبغة بقسم الدرب الأحمر بمدينة القاهرة .

ألقت النخيـل وغرّقت المراكب ونَشّرت النـار، فما شكّ الناس [في] أنّ القيامة قد قامت، وعظُم شَرَرُ النّيران وصارت تُسْقِط الأماكن البعيدة، فخرج الناس وتعلّقوا بالمَوادن[1] واجتمعوا في الجوامع والزوايا وضجّوا بالدعاء والتضرّع إلى الله تعالى، وصعِد السلطان إلى أعلى القَصْر فهاله ما شاهده، وأصبح الناس في يوم الثلاثاء، في أسوإ حال، فنزل أرْغُون النائب بسائر الأمراء وجميع مَنْ في القلعة، وجَمَع أهلَ القاهرة ونَقَل المـاء على جمال الأمراء، ثم لحِقه الأمير بَكْتَمُر الساقي بالجمال السلطانيـة، ومنعت أبواب القاهرة ألّا يخرُج منها سقّاء، ونُقِلت المياه من المدارس والحمّامات والآبار، وجُمعت سائر البنّائين والنجّارين فهُدِمت الدور من أسفلها، والنار تحْرِق في سقوفها وعَمِل الأمراء الألوف، وعِدّتُهم أربعة وعشرون أميرًا بأنفسهم في طَفْي الحريق ومعهم مُضافوهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وتناولوا المـاء بالقِرَب من السقّائين بحيث صار من باب زَوِيلة[2] إلى حارة الروم[3] بحرًا، فكان يومًا لم يُرَ أشنعُ منه، بحيث إنه لم يبق أحدٌ إلا وهو في شُغْل، ووقف الأمير أرْغُون النائب وبَكْتَمُر الساقي حتى نُقِلت الحواصل[4] السلطانية من بيت كريم الدين ناظر الخاص إلى بيت

(١) يريد المآذن. (٢) باب زويلة، راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٣) حارة الروم، ذكرها المقريزي في خططه (ص ٨ ج ٢) فقال: واختطت الروم حارتين وهما حارة الروم، وحارة الروم الجوانية؛ وتعرف الأولى بحارة الروم السفلى والثانية بحارة الروم العليا، وأنه في سنة ٣٩٩ هـ أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهـدم حارة الروم فهدمت ونهبت، ومما ذكره المقريزي في مواضع أخرى من خططه عن بعض الأماكن العامة التي أنشئت قديما في حارة الروم يتبين أن المقصود هنا هو حارة الروم السفلى القريبة من باب زويلة، وكانت تشغل قديما المنطقة التي يخترقها اليوم عدة طرق، منها حارة الروم وعطفة الدهبي وعطفـة الألايلي وعطفـة التترى وعطفة الروم وعطفة الأمير تادرس وحارة السوق وحارة الجامع وعطفة بربارة وعطفة البطريق بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة.

(٤) في أحد الأصلين: «حتى نقلت الحواصل السلطانية».

ولده عَلَم الدين عبد الله بدرب الرصاصى[1]، وهُدِم لأجل نَقْل الحواصل سبع عشرة[2] دارا، وتَخَمَّدت النار وعاد الأمراء؛ فوقَع الصِّياحُ فى ليلة الأربعاء بحريق آخر وقع برَبْع الملك الظاهر بيبَرْس خارج باب زويلة[3] وبقَيْسارِيّة الفقراء[4]، وهبّت الرياح مع ذلك فركِبت الحُجّاب والوالى فعَمِلوا فى طَفْيها عملًا إلى بعد ظهر يوم الأربعاء، وهدموا دورًا كثيرة، فما كاد أن تفْرُغ الأمراء من إطفاء رَبْع الملك الظاهر، حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلّار[5] بخط بين القصرين[6]، وإذا بالنار ابتدأت من

---

(١) درب الرصاصى، ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤١ ج ٢) فقال: إنه بحارة الديلم، كان يعرف بحكر الأمير سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك من وزراء الدولة الفاطمية، ثم عرف بحكر تاج الملك بدران ابن الأمير المذكور، ثم عرف بحكر الأمير عز الدين أيبك الرصاصى. وبالبحث تبين لى أن درب الرصاصى هو الذى يعرف اليوم بحارة الحمام المتفرعة من حارة خوش قدم بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة.

وقد لاحظنا أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم درب الرصاصى على زقاق بحارة قصر الشوك بقسم الجمالية، وهذه التسمية خطأ، لأنها لا تتفق مع المكان الأصلى لهذا الدرب. (٢) فى السلوك: «ست عشرة دارا». (٣) ربع الظاهر، ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على المدرسة الظاهرية (ص ٣٧٨ ج ٢) فقال: إن هذا الربع خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج، ويعرف ذلك الخط به فيقال خط تحت الربع، وكان ربعا كبيرا يشتمل على مائة وعشرين بيتا، ولكنه خرب منه عدّة دور فى حريق سنة ٧٢١ هـ ولم تعمر، وتحته حوانيت من أجل الأسواق، والناس فى سكناها رغبة عظيمة.

وبالبحث تبين لى أن هذا الربع مكانه اليوم مجموعة المبانى الواقعة تجاه تكية وزاوية الشيخ إبراهيم الكلشنى بشارع تحت الربع بالقاهرة. وإلى هذا الربع ينسب الشارع المذكور. (٤) قيسرية الفقراء، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٩١ ج ٢) فقال: إنها واقعة خارج باب زويلة بخط تحت الربع، ولما تكلم على كنيسة الزهرى ذكر فى (ص ٥١٤ ج ٢) أنه فى سنة ٧٢١ هـ وقع الحريق فى ربع الظاهر خارج باب زويلة، وكان يشتمل على مائة وعشرين بيتا وتحته قيسارية تعرف بقيسارية الفقراء، ومن هذا يتبين أن القيسارية المذكورة كانت تحت ربع الظاهر بشارع تحت الربع بالقاهرة. وربع الظاهر علقنا عليه فى الحاشية السابقة.

(٥) بيت الأمير سلار، سبق التعليق عليه باسم دار الأمير سلار فى الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من هذا الجزء. (٦) خط بين القصرين، يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على خط بين القصرين (ص ٢٨ ج ٢) وعلى مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) أن خط بين القصرين كان فى أيام الدولة الفاطمية فضاء كبيرا وبراحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف من العسكر ما بين فارس وراجل. والقصران هما مكان سكنى الخليفة الفاطمى، أحدهما شرقى وهو القصر الكبير، والثانى غربى وهو القصر الصغير، ولهذا سمى البراح الواقع بينهما «بين القصرين». وبعد انقراض الدولة الفاطمية =

أصل البَادهَنج[1] وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل[2]، ورأوا فيه نِفْطا قد عُمِل فيه فَتِيلةٌ كبيرة، فما زالوا بالنار حتى أُطْفِئَتْ من غير أن يكون لها أثر كبير. فنُودِى أن يُعمل بجانب كلّ حانوت بالقاهرة ومصر زيرٌ أو دَنٌّ كبير ملآن ماء. ثم في ليلة الخميس وقَع الحريق بحارة الروم وبموضع آخر خارج القاهرة، وتمـادَى الحال على ذلك لا يخلو وقوعُ الحريق بالقاهرة ومصر، فشاع بين الناس أن الحريق من جهـة النصارَى لمَّـا أبكاهم هَدْم الكنائس . ثم وقَع الحريق في عِدّة مساجد وجوامع ودور، إلى أن كان ليلة الجمعة حادى عشرينه قُبِض على راهبين خرجَا من المدرسة الكَهارِيّة[3] بالقاهرة وقد أرْمَيا النار بها ، فأُحْضِرا إلى الأمير عَلَم الدين سَنْجَر

= وتغيير معالم القصرين أصبح هذا الفضاء سوقا عاما . وفي عهد الدولة الأيوبية ودولتى المماليك أقيم على معظم البراح المذكور عمـارات عدّة لا يزال موجودا منهـا جوامع الملك الكامل محمـد الأيوبى ، والسلطان قلاوون ، والملك الناصر محمد بن قلاوون ، والسلطان برقوق . ولم يبق في هذا الميدان إلا الطريق الضيق الحالى ، فعرف بخط بين القصرين . وكان هذا الخط من ضمن الشارع الأعظم الذى يعرف بقصبة القاهرة أو شارع القاهرة ، ويمتدّ من باب الفتوح إلى باب زويلة ، وكان أكبر شوارع القاهرة وأكثرها عمرانا بالحوانيت والخانات وأشدّها زحاما بالناس . وأقول : إن هذا لا يزال حال هذا الشارع إلى اليوم ، وأما شارع بين القصرين فيقع في المسافة الواقعة الآن بين سبيل عبد الرحمن كتخدا القازدغلى المعروف بسبيل بين القصرين من بحرى وبين مدخل شارع القمصانجية الموصل الى خان الخليلى من قبلى . ومن نحو مائة سنة عرف هذا الشارع بالنحاسين . وفي سنة ١٩٢١ م صدر مرسوم بإعادة تسميته شارع بين القصرين إحياء لذكراه . وفي ٣٠ نوفبر سنة ١٩٣٧ م صدر مرسوم بتغيير أسماء الأثنى عشر شارعا التى يتكون منها الطريق الموصل من باب الفتوح الى باب زويلة بما فيها شارع بين القصرين ، وتسميتها كلها «شارع المعز لدين الله» ، وبذلك اختفى اسم بين القصرين من شوارع مدينة القاهرة.

(١) في السلوك : «من أعلى البادهنج» .

(٢) البادهنج : منفذ في سطح الدار على هيئة أسطوانة لها فتحة في الجهة الغربية يدخل منها النسيم . (عن قاموس استينجاس وشفاء الغليل) .

(٣) المدرسة الكهارية ، هذه المدرسة ذكرها المقريزى في خططه عند الكلام على درب الكهارية (ص ٤١ ج ٢) فقال : إن هذا الدرب فيه المدرسة الكهارية بجوار حارة الجودرية المسلوك إليه من القماحين ، ويتوصل منه إلى المدرسة الشريفية . وبالبحث تبين لى أن المدرسـة الكهارية مكانها اليوم الجامع المعروف بجامع الجودرى بحارة الجودرية الموصلة إلى المدرسة الشريفية المعروفة الآن بجامع بيبرس الخياط بشارع الجودرية بالقاهرة . ويستفاد من الكتابة المنقوشـة على اللوح الرخام المثبت بأعلى باب هـذا الجـامع أن الذى أنشأه مدرسة هو الملك السعيد محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٧٧ هـ وعرفت بالكهارية نسبة الى الدرب الذى أنشئت فيه .

والى القاهرة وشمّ منهما رائحة الكِبْريت والزّيت ، فأحضرهما من الغد إلى السلطان فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا ، فلما نَزَل بهما وجد العامة قد قبضت على نصرانى ، وهو خارجٌ والأثر فى يديه من جامع الظاهر بالحُسَيْنِيّة[1] ومعه كَعْكَةٌ خُرُوق وبها نِفْط وقِطران ، وقد وضعها بجانب المِنْبر، فلما فاح الدُّخَانُ أنكروا ووجدوا النّصرانى وهو خارج والأثر فى يديه كما ذُكِر فعُوقِب قبل صاحبيه، فاعترف أنّ جماعة من النصارى قد آجتمعوا وعَمِلوا النِّفط وفرّقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع ، ثم عاقب الراهبين فآعترفا بأنهما من دير البَغْل[2] وأنهما اللذان أحرقا سائر الأماكن نِكايةً للسلمين بسبب هَدْم الكنائس ، وكان أمْرُهم أنهم عَمِلوا النِّفط وحشَوْه فى فتائل وعَمِلوها فى سِهام ورمَوْا بها، فكانت الفَتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع أو أكثر، فأمر السلطان كريمَ الدين الكبير بطلب البَتْرَك فطلبه وبالَغ فى إكرامه على عادة القِبْطية ، وأعلمه كريمُ الدين بما وقع فبكَى، وقال : هؤلاء سفهاء، قد عَمِلوا كما فعل سفهاؤكم بالكنائس من غير إذن السلطان ، والحُكْمُ للسلطان، ثم ركب بغلةً وتوجّه إلى حال سبيله ، فكادت الناس أن تقتله ، لولا حِماية المماليك له ، ثم رَكب كريم الدين من الغد إلى القلعة، فصاحت عليه العوام وأسمعته ما يكْرَه، فلما طلَع كريم الدين عرّف السلطان بمقالة البتْرَك وآعتنى به، وكان النصارى أقروا على أربعة عشر راهبًا بدَيْر البَغْل، فقُبِض عليهم وعُمِلت حَفيرة كبيرةٌ بشارع الصليبة وأُحْرِق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، وآشتدّت العامّة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابَهم وألقَوهم عن الدوابّ إلى الأرض. وركب السلطان إلى المَيْدان فى يوم السبت وقد آجتمع عالم عظيم، وصاحوا: نصر الله الإسلامَ، انصر دينَ محمد بن عبدالله،

(١) جامع الظاهر بالحسينية ، راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) دير البغل ، هو الذى سبق التعليق عليه باسم دير القصير بالحاشية رقم ١ ص ١٩١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

فلما آستقر السلطان بالمَيْدَان أحضر والى القاهرة نَصْرانيين قد قَبَض عليهما فأحرقا خارج المَيْدَان، وخرج كريمُ الدين من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامّة: كم تُحامي للنصارى! وسبّوه ورَمَوْه بالحجارة، فعاد إلى المَيْدَان، فشقّ ذلك على السلطان، وآستشار السلطان الأمراء في أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكَرَك بعَزْل الكُتّاب النصارى، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يُرْضِه ذلك، وتقدّم إلى أُلْمَاس الحاجب أن يَخْرُج في أربعة أمراء ويضَعَ السيف في العامّة حتى ينتهى إلى باب زَوِيلة، ويمرّ كذلك إلى باب النصر ولا يرفع السيفَ عن أحد، وأمَر والى القاهرة أن يتوجه إلى باب اللُّوق وباب البحر ويَقْبِض على من وجده من العامّة ويحمله إلى القلعة، وعيّن لذلك أيضا عدّة مماليك فخرجوا من المَيْدان، فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفوَ فقَبِل شفاعته، ورَسَم بالقبض على العامّة من غير قتلهم، وكان الخبرُ بلغ العامّةَ ففرّت العامّـة حتى الغلمان وصار الأميرُ لا يجد مَنْ يُرَكِّبـه، وآنتشر ذلك فغُلِّقت الأسواق بالقاهرة فكانت ساعة لم يمرّ بالناس أبشع منها، وهي من هَفَوات الملك الناصر. ومرّ الوالى بباب اللُّوق وبولاق وباب البحر وقَبَض على كثير من الكَلَابْزِيّة[1] وأراذل العامّة بحيث إنه صار كلُّ من رآه أخَذه، وجَفَل الناس من الخوف وعدَّوْا في المراكب إلى برّ الجيزة. فلمّا عاد السلطان إلى القلعة لم يجِـد أحدًا في طريقه، وأحضَر إليه الوالى مَنْ قبَض عليه، وهم نحو المـائتين فرسَم السلطان بجمـاعة منهم للصَّلْب، وأفرد جماعةً للشَّنْق، وجماعةً للتوسيط، وجماعة لقَطْع الأيدى، فصاحوا: ياخَوَنْد، مايَحِلّ لك، مانحنُ الغرماء فرقَّ لهم بَكْتَمُر الساقى وقام ومعه الأمراء، وما زالوا به حتى أمر بصَلْب جماعةٍ منهم على الخَشَب من باب زَوِيلة إلى قلعة الجبل، وأن يُعَلَّقُوا بأيديهم، ففعِل بهم ذلك وأصبحوا يوم الأحد صفًّـا واحدًا من باب

(١) الكلابزية: وظيفة من يتولى تربية الكلاب وبيعها (عن لب اللباب).

زَريلة إلى تحت القلعة، فتوجّع لهم الناس وكان منهم كثير من بيّاض الناس ولم تُفتح القاهرة ، وخاف كريم الدين على نفسه ولم يسلُك من باب زَويلة وطلّع القلعة من خارج السُّور، وإذا بالسلطان قد قدّم الكَلَابِزِية وأخذ فى قَطْع أيديهم، فكَشَف كريمُ الدين رأسه وقبّل الأرض وباس رِجْل السلطان وسأل السلطان العفو عن هؤلاء، فأجابه بمساعدة الأمير بَكْتَمُر، وأمَر بهم فقُيِّدوا وأُخرِجوا للعمل فى الحفر بالجيزة ، ومات ممن قُطِع [يدُه][1] رَجُلان وأمَر بحفظ من عُلِّق على الخشب .

وفى الحال وقَع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع أحمد ابن طُولُون وبوقُوع الحريق فى القلعة وفى بيت بِيبَرْس الأحمدى بحارة بهاء الدين قَراقُوش[2] وبفُنْدق طُرُنْطاى[3] خارج باب البحر فدَهِش السلطان ، وكان هذا الفُنْدُق برسْم تُجّار الزّيت فعمّت النارُ كلّ ما فيه، حتى العُمُد الرُّخام وكانت ستة عشر عمودا، طولُ كلّ عمود ست أذرع بالعمل ، ودَوْرُه نحو ذراعين فصارت كلّها جيرا ، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمتُه تسعون ألف درهم، وقُبِض فيه على ثلاثة نَصارى ومعهم فتائل النِّفط آعترفوا أنهم فعلوا ذلك . فلمّا كان يوم السبت تاسع عشرين جُمادى الأولى المذكور رَكِب السلطان إلى المَيْدان فوجَد نحو العشرين ألفا من العامّة فى طريقه قد صَبَغُوا خُروقًا بالأزرق والأصفر[4] وعَمِلوا فى الأزرق صُلبانًا بيضاء ورفعوها

---

(١) زيادة عن السلوك . (٢) حارة بهاء الدين قراقوش، راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٨ من الجزء الرابع فى هذه الطبعة . (٣) فندق طرنطاى، ذكر المقريزى هذا الفندق فى خططه (ص ٩٤ ج ٢) فقال : إنه كان خارج باب البحر ظاهر المقس، وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام، ويعلوه ربع كبير . فلما كانت واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر (مصر القديمة) فى سنة ٧٢١ ﻫ وقع الحريق بهذا الفندق فأصبح وقد آحترق جميعه .

وبالبحث عن المكان الذى كان به هذا الفندق بظاهر المقس تبين لى أنه كان واقعا بشارع قنطرة الدكة فى نهايته الغربية عند تلاقيه بشارع توفيق حيث كان النيل يجرى قديما فى تلك الجهة قبل أن تظهر الأرض التى عليها بولاق الآن . (٤) فى السلوك : «بالأزرق والأخضر» .

على الجَرِيد وصاحوا عليه صَيْحَةً واحدة : لا دِينَ إلاّ دين الإسلام، نصر الله دِينَ محمد بن عبد الله ، يا مَلِك الناصر يا سُلطانَ الإسلام ، اُنصرنا على أهل الكفر ولا تنصُر النصارى، فخَشَع السلطان والأمراءُ وتوجه إلى المَيدان وقد آشتغل سِرُّه ، وركِبت العامة أسوار الميدان(١) ورفعوا الخُرُوق الزُّرق وهم يَصيحون لا دينَ إلا دين الإسلام ، فخاف السلطان الفتنةَ ورجَع إلى مُداراتهم وتقدّم إلى الحاجب أن يخرُج فيُنادِى مَنْ وجد نَصْرانيًا فدَمُه ومالُه حلال ، فلما سَمِعوا النِّداء صرخوا صوتا واحدا : نصرك الله ، فآرتجّت الأرض . ثم نُودِى عَقِيبَ ذلك [بالقاهرة ومصر(٢)] مَنْ وجد نَصْرانيا بعمامة بيضاء حَلَّ دَمُه ، وكُتِب مرسوم بلُبْس النصارى العمائم الزُّرق، وألّا يركبوا فرسًا ولا بغلا ولا يدخلوا الحمّام إلا بجرَس فى أعناقهم ، ولا يتزيَّوْا بِزِىّ المسلمين ، هم ونساؤُهم وأولادُهم ، ورَسَم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ودواوين السلطان، وكَتَب بذلك إلى سائر الأعمال، وغُلِّقت الكنائس والأدْيِرة وتجرّأت العامة على النصارى حيث وجدوهم ضربوهم وعرَّوْهم ، فلم يتجاسر نصرانىٌّ أن يخرُج من بيته، فكان النصرانىّ إذا عَنّ له أمرٌ يتزيّا بزِىّ اليهودَ فيلبَس عِمامةً صفراء يَكْتريها من يهودىّ ليخرُج فى حاجته . وآتفق أنّ بعض كُتّاب النصارى حضَر إلى يهودىٍّ له عليه مبلغٌ كبير ليأخذ منه شيئا ، فأمسكه اليهودىُّ وصاح : أنا بالله وبالمسلمين ، فخاف النصرانى وقال له : أبرأتُ ذِمّتك وكتب له خطه بالبراءة وفرّ . وآحتاج عِدّةٌ من النصارى إلى إظهارهم الإسلام ، فأسلم السُّنِّى(٣) [آبن ست بهجة(٢)] الكاتب وغيره، وآعترف بعضُهم على راهب دير

(١) فى السلوك : «أسوار المدينة» . (٢) زيادة عن السلوك .

(٣) دير الخندق ، ذكره المقريزى فى خططه (ص ٥٠٧ ج ٢) فقال : إن هذا الدير ظاهر القاهرة من بحريها عمره القائد جوهر عوضا عن دير هدمه فى القاهرة، كان بالقرب من الجامع الأقمر . وفى ٢٤ شوّال سنة ٦٧٨ هـ أى فى زمن المنصور قلاوون هدم دير الخندق الذى أنشأه جوهر بمنية الإصبغ التى عرفت فيما بعد بالخندق، ثم جدد هذا الدير بعد ذلك وعمل كنيسة من كنيستى الخندق .

الخَنْدَق أنه كان يُنْفِق المـال فى عمل النِّفط للحريق ومعـه أربعة، فأخذوا وسُمِّروا وآنبسطت عند ذلك ألسنةُ الأمراء فى كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قُطْلُوبُغَا[1] الفخرى و بين بَكْتَمُر الساقى بسبب كريم الدين [الكبير][2]، لأن بَكْتَمُر كان يعتنى به و بالدواوين، وكان الفخرىّ يَضَع منه[3] .

قلت : ولأجل هـذا راح كريم[4] الدين من الدنيا على أقبح وجه ! وأخرب الله دياره بعد ذلك بقليل .

وآستمرّ الفخرىّ على رتبته بعد سنين عديدة . قال : وصار مع كلٍّ من الأميرين جمـاعة و بلَغ السلطانَ ذلك ، وأنّ الأمراء تترقّب وقوع فتنـة ، وصار السلطان إذا رَكِب إلى الميدان لا يَرَى فى طريقه أحدًا من العامّة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان بهم فلم يُعجبه ذلك، ونادَى بخروج الناس للفُرْجة على المَيْدان ولهم الأمان والأطمئنان فخرجوا على عادتهم . ثم وقَع الحـريق بالقاهرة[5] وآشـتدّ أمرُه إلى أن طُفِئ ، وسافر كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية وشـدّد على النصارى فى لُبْسهم

= ولما تكلم المقريزى على كنيستى الخندق (ص ٥١٠ ج ٢) قال : إنهما ظاهر القاهرة إحداهما على اسم غبريال المـلاك ، والأخرى على اسم مرقوريوس وتعـرف باسم الراهب رو يس وعنـد هاتين الكنيستين يقبر النصارى موتاهم

و بالبحث تبين لى أن دير الخنـدق الذى تجدد كنيسة لا تزال هـذه الكنيسة موجودة إلى اليوم باسم كنيسة دير الملاك البحرى أو دير الملاك ميخائيل فى عطفة الدير بشارع الملك بالقاهرة .

وأما الكنيسة الثانية التى جددها الراهب رو يس بعد سنة ٨٠٠ هـ فلا تزال موجودة أيضا إلى اليوم باسم دير وكنيسة الأنبا رو يس أو كنيسة العـذراء وهى فى جوار كنيسة بطـرس باشا غالى بشـارع الملكة نازلى بالقاهرة .

(١) فى الأصلين هنا : «قطلو بك الفخرى» . وتصحيحه عما تقدم ذكره فى الحاشية رقم ٤ ص ٥٤ من هذا الجزء والسلوك . (٢) زيادة عن السلوك . (٣) فى الأصلين : «منهم» .

(٤) يريد به كريم الدين الكبير . (٥) فى السلوك وعقد الجمان : « بالقلعة » .

وركوبهم حتى يتقرب بذلك إلى خواطر العامّة . ثم تنكّرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخّر جوامكهم شهرين ، وتجمّعوا يوم الخميس ثامن عشرين صفر قبل الظهر ووقفوا بباب القصر، وكان السلطان في الحريم، فلمّا بلغه ذلك خَشى منهم، و بعث إليهم بَكْتَمُر الساقى فلم يلفتوا إليه، فخرج السلطان إليهم وقد صاروا نحو ألف وخمسمائة، فعند ما رآهم السلطان سبّهم وأهانهم وأخذَ العصاة من مقدّم المماليك وضرَب بها رءوسهم وأكتافهم ، وصاح فيهم : اِطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطِّباق، وعُدَّت سلامةُ السلطان في هذه الواقعة من العجائب ، فإنّه خرج إليهم في جماعة يسيرة من الخُدّام، وهم غَوْغاء لا رأسَ لهم ولا عقلَ ومعهم السِّلاح. اِنتهى .

ثمّ أمَرَ السلطان للنائب بعَرْضهم (أعنى المماليك) فعَرَضهم في يوم السبت آخر صفر وأخرج منهم مائةً وثمانين إلى البلاد الشاميّة فرّقهم على الأمراء، وأخرج بعد ذلك جماعةً منهم من الطِّباق إلى خرائب التتار (١) بقلعة الجبل ، وضرَب بعضَهم (٢) بالمقارع هو وغلامه لكونه شرب الخمر ضربا مُبَرِّحًا مات منه المملوك بعد يومين .

قلت : لا شُلّت يداه، هذا وأبيك العمل! ثم أنقص السلطان جوامك مَنْ بَقِىَ من مماليك الطِّباق ، ثم أخرج جماعة من خُدّام الطِّباق الطواشيّة (أعنى مقدّمى الطِّباق) وقطع جوامِكَهم وأنزلهم من القلعة لكونهم فرّطوا في تربية المماليك .

(١) خرائب التتار بقلعة الجبل، لما تكلم المقريزى في خططه على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) قال : وبها مساكن تعرف بخرائب التتر كانت قدر حارة، خربها الملك الأشرف برسباى في ذى القعدة سنة ٨٢٨ هـ .

وبالبحث عن موقع هذه الخرائب من القلعة تبين لى أنها كانت واقعة في الجهة الشرقية من الحوش الداخلى الكبير الذى فيه ثكنات الجيش داخل القلعة بالقاهرة .

(٢) عبارة السلوك : « وضرب واحدا منهم بالمقارع هو وغلامه لكونه شرب الخمر فمات بعد يومين من ضربه » .

ثم غيّر السلطان موضع دار العدل(١) التى أنشأها الملك الظاهر(٢) بيبرس وهـدمها وجعلها موضع الطبلخاناه الآن، وذلك فى شهر رمضان سنة آثنتين وعشرين وسبعمائة، ولمـا هُدم الموضع المذكور وُجد فى أساسه أربعةُ قبور، فنُبشت فوُجد بها رِمم أناس طِوالٍ عِراضٍ وأحدها مغطّاة بملاءة دَبِيقِىّ مُلَوَّنة، إذا مُسّ منها شىءٌ تطاير لطول مُكثه، وعليهم عُدّة القتال وبهم جراحات، وفى وجه أحدهم ضربةُ سيف بين عينيه عليها قطن، فعندما رُفـع القطن نَبَعَ الدَّمُ من تحته وشُوهِد الجُرْحُ كأنّه جديد، فنُقلوا إلى بين القَصْرَيْن وجُعل عليهم مسجدٌ .

وفى شعبان زوّج الملكُ الناصر آبنَته للأمير أبى بكر بن أَرْغُون النائب الناصرىّ، وتَوَلّى العقدَ قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحَرِيرىّ(٣) الحنفىّ على أربعة آلاف دينـار . ثم قَدِم الملك المؤيّد صاحب حَمَـاة على السلطان بالديار المصريّة وتوجّه فى خدمة الملك الناصر إلى قُوص بالوجه القبلىّ للصيد، وعاد السلطان من قُوص إلى جهة القاهرة فى أوّل محرّم سـنة ثلاث وعشرين وسـبعمائة الموافق لرابع عشر طوبة، ونزل بالجيزة، وخلَع على الملك المؤيّد خِلعة السفر. ثم آستدعى السلطان الحريم السلطانىّ إلى برّ الجيزة، فطُرِد سائرُ الناس من الطُّرُقات، وغُلِّقت الحوانيت، ونزلت خَوَنْد طُغَاى زوجةُ السلطان وأمُّ ولده آنوك، والأمير أَيْدُغْمُش الأمير آخور كبـير

(١) دار العدل والطبلخاناه، سبق التعليق عليهما فى الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هـذه الطبعة . وقد لاحظنا عند مراجعة التعليق المذكور بعد طبعه أن الحدود التى ذكرناها لهـذه الدار تشمل أماكن أخرى مجاورة لها، لهذا أعدنا تحديدها هنا بمـا يأتى :

ومما ذكر يتضح أن دار العدل مكانها اليوم القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب العزب المشغولة الآن بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى، ويحـدّها من الغرب سكّة المحجر التى كانت تشرف عليها دار العدل وهذا التحديد ينطبق أيضا على مكان الطبلخاناه .

(٢) فى الأصلين : «الملك المظفر بيبرس» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه لأن الذى أنشأ دار العـدل هو الملك الظاهر بيبرس .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ماش يقود عنان فرسها بيده وحولها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل فعدت في الحراقة[1]. ثم استدعى السلطان الأمير بكتمر الساقي وغيره من الأمراء الخاصكية وحريمهم وأقام السلطان بالجيزة أياما إلى أن عاد إلى القلعة في خامس عشره، وقد توعك كريم الدين الكبير. ثم قدم الحاج في سادس عشرين المحرم. ثم عوفي كريم الدين فخلع السلطان عليه خلعة أطلس بطرز زركش وكلفتاة زركش وحياصة ذهب فاستعظم الناس ذلك، وبالغ السلطان في الإنعام على الحكماء. ثم بعد أيام قبض السلطان على كريم الدين المذكور في يوم الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر. وهو كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم هبة الله بن السديد ناظر الخواص ووكيل السلطان وعظيم دولته، وأحيط بداره وصودر فوجد له شيء كثير جدا، ولا زال في المصادرة إلى أن أفرج عنه في يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة، وألزمه السلطان بإقامته بتربته[2] بالقرافة. ثم إن السلطان أخرجه إلى الشوبك ثم نقله إلى القدس ثم طلب إلى مصر وجهز إلى أسوان، وبعد قليل أصبح مشنوقا بعمامته (يعني أنه شنق نفسه)، وليس الأمر كذلك؛ وقيل إنه لما أحس بقتله صلى ركعتين وقال: هاتوا عشنا سعداء ومتنا شهداء[3]، وكان الناس يقولون: ما عمل أحد مع أحد ما عمله الملك الناصر مع كريم الدين أعطاه الدنيا والآخرة، ومعنى هذا أنه كان حكمه في الدولة، ثم قتله، والمقتول ظلما في الجنة. وأصل كريم الدين هذا كان من كتبة النصارى ثم أسلم كهلا في أيام بيبرس الجاشنكير، وكان كاتبه، وكان

---

(١) الحراقة: ضرب من السفن. (٢) تربة كريم الدين الكبير، بالبحث تبين أن التربة المذكورة كانت ضمن الخانقاه التي أنشأها كريم الدين الكبير بالقرافة الصغرى، وذكرها المؤلف فيما بعد. وربما أن الخانقاه [illegible] اندثرت [illegible] اندثرت معها أيضا، ويتعذر الآن تعيين موضعها لإقامة ترب أخرى في مكانها بجبانة [illegible] كانت تعرف قديما بالقرافة الصغرى. (٣) في الأصلين: [illegible] الدرر الكامنة والمنهل الصافي.

من تعلّقات السلطنة والمصروف منها فى كل يوم ، فصارت تُعرَض عليــه كل يوم ويُباشر ذلك بنفسه فتوفّر مالٌ كثير وشقّ ذلك على الدواوين .

ثم سافر السلطان إلى الوجه القبلى للصيد وعاد فى ثالث عشر المحرّم سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وفى هذه السنة قَدِم على الملك الناصر رُسُل صاحب اليَمَن ، ورُسُل صاحب اسطنبول ، ورُسُل الأَشكُرِى ، ورُسُل متملّك سِيس ، ورُسُل القان بوسعيد ، ورسل صاحب ماردِين ، ورسل ابن قَرَمان ، ورسل متملّك النوبة ، وكلهم يبذلون الطاعة . وسأل رُسُل صاحب اليمن المَلِكِ المجاهد[1] إنجادَه بعسكر من مصر وأكثر من ترغيب السلطان فى المـال الذى باليمن ، فرَسَم السلطان بتجهيز العسكر إلى اليمن صحبة الأمير بيبَرْس[2] الحاجب ومعه من أمراء الطبلخاناه خمسة ، وهم : آقُول الحاجب ، وبَخْماس الجُوكُنْدَار ، وبَلَبان الصَّرْخَدِىّ ، وبَكْتَمُر العلائى الأُسْتَادَار ، وأُلْجاى الناصرىّ الساقىّ ، ومن العشرات : عِزّ الدين أَيْدَمُر الكُونْدُكِىّ[3] وشمس الدين إبراهيم التُّرْكُمانِىّ ، وأربعة من مُقَدِّمِى الحَلْقة ، وهؤلاء العسكر لهم مقدّمة أخرى كالجاليش عليها الأمير سيف الدين طَيْنَال الحاجب ، ومعه خمسة من أمراء الطبلخاناه وهم : الأمير ططقرا الناصرى وعلاء الدين علىّ بن طُغْرِيل الإيغانىّ وجَرِبَاش أميرُ عَلَم ، وأَيْبَك الكُونْدُكِى[4] وكُوكَاى طاز ، وأربعة من مقدّمى الحَلْقة ، ومن العشرات بَلَبَان الدَّوادَارِى وطُرُنْطَاى الإسماعيلىّ والى باب القلعة ، ومن ممـاليك السلطان ثلثمائة فارس ، ومن أجنـاد الحَلْقة تتمّـة

---

(١) هو على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى ابن الملك المؤيد هزبر الدين ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور نور الدين التركانى الأصل صاحب اليمن . تولى الملك بعد أبيه فى سنة ٧٢١ هـ وتوفى سنة ٧٦٤ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة)

(٢) ورد فى السلوك بحاز بالزاى المعجمة . وورد فى ابن إياس بالزاى والسين معا .

(٣) فى الأصلين : « الكوكندى » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك .

(٤) فى الأصلين : « الكوكندى » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ الجزرى (الموجود منه الجزء الأخير فى ثلاثة مجلدات بالتصوير الشمسى محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٩٥ تاريخ) .

الألف فارس، وفُرّقت فيهم أوراقُ السَّفَر، وكُتِب بحضور العُرْبان من الشرقيّة والغربية لأجل الجمال .

ثم خرَج السلطان إلى سِرْيَاقوس(١) على العادة في كل سنة وقبَض على الأمير بَكْتَمُر الحاجب بها ، وعلى أمير آخر في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل . ثم قَدِم على السلطان الأمير تَنْكِز الناصريّ نائب الشام وأقام إلى عاشره وعاد إلى الشام ، ثم أنفق السلطان على الأمراء المتوجِّهين إلى اليَمَن فقط ، فحُمِل إلى بِيبَرْس ألف دينار وإلى طَيْنَال(٢) ثمانمائة دينار ، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم ، ولكل من العشرات مبلغ ألفي درهم ، ولمقدّمي الحَلْقة ألف درهم ، وحضر العُرْبان . وباعوا الأجناد موجودَهم واكْتَرَوْا الجمال ، فانحطّ سعر الدينار من خمسة وعشرين درهما إلى عشرين درهما من كثرة ما باعوا من الحُلَل(٣) والمصاغ . ثم بَرَزُوا من القاهرة إلى بركة الحاجّ(٤) في يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ، وسافروا من البِرْكة في يوم الخميس ثاني عشره . ثم خرَج السلطان إلى سِرْياقوس ومعه عِدّة من المهندسين ، وعيّن موضعا على نحو فرسخ من ناحية سِرْياقوس ليُبْنَى فيه خانقاه(٥) ، فيها مائةُ خَلْوة لمائة صُوفيٍّ وبجانبها جامع تُقام فيه الخُطبة ، ومكان بِرَسْم ضيافة الواردين وحَمّام ومطبخ ، ونَدَب آق سنقر شادّ العمائر لجمع الصُّنّاع ، ورتّب أيضا قصور سِرْياقوس برسم الأمراء والخاصّكيّة ، وعاد فوقع الاهتمام ١٥

(١) سرياقوس ، من القرى القديمة في مصر ، وهي الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ، واقعة على الشاطئ الشرقي لترعة الإسماعيلية في شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلومترا منها .

(٢) في السلوك : « مبلغ ألف درهم » . (٣) في السلوك : « من الحلى والمصاغ » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٥) خانقاه الناصر بناحية سرياقوس ، سيأتي الكلام عليها في هذا الجزء .

فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما . ثم آقتضى رأى السلطان حَفْر خليج[(١)] خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس، ويُرتَّب عليه السواقى والزراعات وتسير فيه المراكب فى أيّام النيل بالغلال وغيرها إلى القُصور[(٢)] بسِرْياقوس .

قلت : وقد أدركتُ أنا بواقى هذه القصور التى كانت بسِرْياقوس ، وخُرِّبت فى دولة الملك الأشرف بَرْسباى فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة، وأخذ الأمير سودون

(١) هذا الخليج هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم الخليج الناصرى (ص ١٤٥ ج ٢) فقال : إن الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر بحفر خليج من النيل يتصل بالخليج الكبير لزيادة الماء فيه . وقد وقع الاختيار على أن يكون فم هذا الخليج بموردة البلاط من بستان الخشاب مارا بأراضى اللوق وبركة قرموط وباب البحر ثم أرض الطبالة ، وعندها يصب هذا الخليج ماءه فى الخليج الكبير (الخليج المصرى) . وقد بدئ فى حفر الخليج الناصرى فى أوّل جمادى الأولى سنة ٧٢٥ هـ وتم حفره فى بحر شهرين من هذا التاريخ .

وبالبحث تبين لى أن هذا الخليج كان موجودا لغاية سنة ١٨٠٠ م بدليل وروده فى خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية فى تلك السنة وأنه كان يخرج من النيل عنـد النقطة التى يتقابل فيها شارع القصر العالى بشارع والدة باشا ثم يسير إلى الشرق بدوران نحو الشمال إلى أن يتقابل بشارع قصر العينى، ثم يسير بجـوار الشارع المذكور، وعند وصوله الى شارع السلطان حسين (شارع الشيخ ريحان سابقا) ينعطف نحو الشرق . ويسير مقاطعا شارع الحوياتى ، ثم يسير شمالا إلى ميدان توفيق ، ثم إلى شارع نجران باشا ، ثم إلى محطة مصر ، ثم ينعطف إلى المستشفى القبطى بشارع الملكة نازلى ، ومن هناك ينعطف الى الشرق حتى يصـل إلى شارع خليج الطواب ، فيسير فيه حتى ينتهى بشارع الخليج المصرى حيث كان يصب فى الخليج المذكور وبسبب الإصلاحات وأعمال التنظيم التى تمت فى عهـد محمد على باشا ردم الجزء الأكبر من هـذا الخليج فى المسافة من فمه الى المستشفى القبطى، ثم ردم الباقى منه إلى نهايته بشارع الخليج المصرى فى عهد الخديوى إسماعيل باشا ، وبذلك زال أثر الخليج المذكور .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على ميدان سرياقوس (ص ١٩٩ ج ٢) أن الملك الناصر محمد بن قلاوون بنى فى سنة ٧٢٥ هـ بجوار الميدان المذكور الواقع بجهة الخانقاه قصورا جليلة ، وعدّة منازل للأمراء ، ولما خرب الميدان بيعت هذه القصور فى سنة ٨٢٥ هـ .

وبالبحث عن موقع هـذه القصور تبين لى أنها كانت واقعة فى الجهة الغربية من ميدان سرياقوس ، أى أنها كانت فى الجهة الغربية من المنطقة القائمة على أرضها الآن مساكن بلدة الخانكة إحدى بلاد مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر .

آبن عبد الرحمن أقاضها وبنى بها جامعه الذى بخانقاه سِرْياقوس[(١)]، فكان ذلك سببا لمحو آثارها، وكانت من محاسن الدنيا . انتهى .

ثمّ إن الملك الناصر فوّض عمل الخليج إلى الأمير أَرْغُون النائب ، فنزل أَرْغُون بالمهندسين إلى النيل إلى أن وقع الآختيار على موضع بموردة البلاط[(٢)] من أراضى بُستان الخشّاب[(٣)]، ويقع الحفر فى الميدان الظاهرىّ الذى جعله الملك الناصر هذا بُستانًا من سُنّيات وغَرِم عليه أموالًا جَمّة ، ثم يمرّ الخليج المذكور على بِركة[(٤)] قُرْموط

---

(١) جامع سودون — يستفاد من عبارة المؤلف وما ذكره بعد ذلك فى هذا الجزء أن الأمير سودون ابن عبد الرحمن عمر مدرسة فى ساحة خانقاه سرياقوس فى حدود سنة ٨٢٦ هـ وهى المذكورة هنا باسم جامع ، قال : وكان بين باب المدرسة العبد الرحمانية المذكورة وبين باب الخانقاه الناصرية ميدان كبير . ويستفاد من كتاب وقف الملك الأشرف برسباى المحرر فى ٢٤ رجب سنة ٨٤١ هـ أن الحد القبلى (الشرقى) لجامع الذى أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سرياقوس هو الطريق الموجود به مدرسة المقر سودون بن عبد الرحمن . وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع أو المدرسة العبد الرحمانية لا يزال موجودا وتقام به الشعائر الدينية باسم سودون بن عبد الرحمن ببلدة الخانكه بمركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على الخليج الناصرى (ص ١٤٥ ج ٢) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨ ج ٢) أن هذه الموردة كانت واقعة على شاطئ النيل وتمتد من النقطة التى يتقابل فيها شارع القصر العالى بشارع والدة باشا الى كوبرى الخديوى إسماعيل . وتعرف أيضا بموردة الجبس لأن المراكب التى كانت تنقل صنفى البلاط والجبس من محاجرهما فى ذلك الوقت كانت تفرغ مشحونها على شاطئ النيل فى تلك الجهة .

(٣) ذكرت فى الاستدراك الوارد فى صفحة ٣٨٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة أن الحد البحرى للقسم الغربى من بستان الخشاب كان ينتهى عند شارع مضرب النشاب وشارع البرجاس إلا أنه تبين لى بعد ذلك أثناء بحثى لمواقع بعض الأماكن التى ذكرها المقريزى فى خططه عند الكلام على ما بين بولاق ومنشأة المهرانى (ص ١٣١ ج ٢) وعلى الجامع الطيبرسى (ص ٣٠٣ ج ٢) أن أرض القسم الغربى من هذا البستان كانت تشمل المنطقة التى تعرف اليوم بخط القصر العالى وخط قصر الدوباره ويحدّها من الشمال ميدان الخديوى إسماعيل شارع الخديوى إسماعيل ومن الغرب النيل ومن الجنوب شارع كوبرى محمد على ومن الشرق شارع قصر العينى .

(٤) هذه البركة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٦٤ ج ٢) فقال : إنها واقعة فيما بين اللوق والمقس ، كانت من جملة بستان ابن ثعلب . فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى رمى ما خرج من الطين فى هذه البركة ، وبنى الناس الدور على الخليج فصارت البركة من وراء الدور ، وعرفت تلك الخطة كلها ببركة قرموط وهو أمين الدين قرموط مستوفى (أى رئيس حسابات) الخزانة السلطانية . ولما تكلم المقريزى على الخليج الناصرى الذى علقنا عليه فى هذا الجزء قال : إن بركة قرموط تقع فى شمال الميدان الظاهرى ، بينه وبين =

إلى باب البحر[1] ثم إلى أرض الطَّبالة[2] و يَرْمِي فى الخليج الكبير، وكَتَبَ إلى وُلاة الأعمال بإحضار الرجال للحفر، وعيّن لكلّ واحد من الأمراء أقصاباً يَحْفِرها، وٱبتدئ بالحفر من أوّل جُمادَى الأُولى من سنة خمس وعشرين إلى أن تمّ فى سَلْخ جُمادى الآخرة من السنة، وأُخرِب فيه أملاكٌ كثيرة، وأُخِذت قطعة من بستان[3] الأمير أرْغُون النائب، وأعطى السلطانُ ثَمَن ما خُرِّب من الأملاك لأربابها، وٱلتزم فخر الدين ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فَمِه .

قلت : وهى القنطرة المعروفة بقنطرة الفخر[4] . وٱلتزم قُدَيْدار[5] والى القاهرة بعمارة[6] قنطرة تُجَاه البستان الذى كان ميــداناً للظاهر بيبَرْس البُنْدُقْدارِىّ، وأتى قُدَيْدار

= باب البحر، ثم لما تكلم على قنطرة الكتبة قال : إنها على الخليج الناصرى بخط بركة قرموط، وذكرنا فى تعليقنا على هذه القنطرة فى هذا الجزء أن مكانها اليوم بشارع فؤاد الأوّل عند تلاقيه بشارع سليمان باشا . و بعد البحث تبين لى أن بركة قرموط كانت واقعة فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بشارع فؤاد الأوّل، ومن الغرب بشارع شامبليون، ومن الجنوب بشارع الملكة فريدة، ومن الشرق بشارع شريف باشا (المدابغ سابقا) بالقاهرة . (١) باب البحر، هو أحد أبواب القاهرة الخارجية القديمة، ويعرف اليوم بباب الحديد . راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) أرض الطبالة راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة، والاستدراك الوارد فى ص ٣٨٩ من الجزء السابع من هــذه الطبعة . (٣) بستان الأمير أرغون، يستفاد مما ذكر المقريزى فى خططه على الخليج الناصرى (ص ١٤٥ ج ٢) أن هــذا البستان كان واقعا فى الجهة الشمالية من بركة قرموط .

و بالبحث تبين لى أنه كان واقعا فى المنطقة التى تحــدّ اليوم من الشرق بشارع عماد الدين، ومن الشمال بشارع دو بريه، ومن الغرب بشارع توفيق، ومن الجنوب بشارع ألفى بك بالقاهرة، حيث كان الخليج الناصرى يخترق هذه المنطقة من الجنوب إلى الشمال . (٤) هذه القنطرة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٤٨ ج ٢) فقال : إنها بجوار موردة البلاط من أراضى بستان الخشاب برأس الميدان الناصرى وهى أوّل قنطرة عمرت على فم الخليج الناصرى، أنشأها ناظر الجيش القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف القبطى المعروف بالفخر فى سنة ٧٢٥ هـ عند ٱنتهاء حفر الخليج الناصرى . و بالبحث تبين لى أن هذه القنطرة كانت واقعة فى شارع دار الشفا تجاه المتنزه بأرض القصر العالى المعروفة الآن بجاردن ستى بالقاهرة . (٥) كذا فى الأصلين . وفى المقريزى والسلوك : « قدادار » . (٦) قنطــرة قدادار، هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم قنطرة قدادار (ص ١٤٨ ج ٢) فقال : إنها على الخليج الناصرى يتوصل اليها من اللوق ويمشى فوقها إلى بر الخليج الناصرى مما يلى النيل وتقع تجاه ميدان الملك الظاهر الذى جعله الملك الناصر محمد بن قلاوون بستانا فى سنة ٧١٥ هـ . و بالبحث تبين لى أن قنطرة قدادار المذكورة هى المبينة بخريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م باسم قنطرة المدابغ . ومكانها اليوم بشارع الحو ياتى قرب تلاقيــه بشارع جامع شركس حيث كان الخليج الناصرى يمر فى تلك الجهة .

أيضًا يتمّ قناطر الإوزّ (١) وقناطر الأميريّة (٢) فعمل ذلك كلّه . فلمّا كان أيّام النيل جرت السفن فيه وعُمّرت عليــه للسواق وأُنشئت بجانبــه البساتين والأملاك . ثم توجه السلطان فى يوم الأثنين سادس جُمادَى الآخرة إلى خانقاته التى أنشأها بسرياقوس ، وخرجت القُضاة والمشايخ والصوفيّة إليها وعُمِل لهم سِماطٌ عظيم فى يوم الخميس تاسعه

(١) قناطر الإوز ، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٤٨ ج ٢) فقال : إنها على الخليج الكبير يتوصل إليها من الحسينية ويسلك من فوقها إلى أراضى البعل وغيرها . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى ســنة ٧٢٥ هـ ، وقال : إن هــذه القناطر من أحسن متنزهات أهــل القاهرة أيام وجود المــاء فى الخليج لمــا على حافته الشرقية من البساتين الأنيقة وتجاه هذه القنطرة من الغرب منظرة البعل وبها عرفت أرض البعل التى هناك .

وأقول : إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة الوزّ ، ويقال لها قنطرة الوزة إلى سنة ١٨٩٧ م التى تم فيها ردم الجزء الأوّل من الخليج المصرى من جهة قنطرة غمرة ، وبردمه آختفت هذه القنطرة من تلك السنة . ومكانها يقع اليوم بشارع الخليج المصرى تجاه الحارة التى سمّتها مصلحة التنظيم خطأ بآسم حارة قنطرة الظاهر ، فى حين أن قنطرة الظاهر هى قنطرة أخرى واقعة جنوبى قنطرة الإوز على بعد ١٨٠ مترا منها .

ولهذه المناسبة أذكر أن قنطرة الظاهر هى من القناطر التى أنشأها أيضا الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولم يذكرها المؤلف فى هذا الجزء مع عمارات الملك الناصر ، وقد ذكرها المقريزى فى خططه باسم القنطرة الجديدة (ص ١٤٧ ج ٢) فقال : إن هــذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل إليها من زقاق الكحل وخط جامع الظاهر ويتوصل منها إلى أرض الطبالة وإلى منية الشيرج وغيرها ، أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة ٧٢٥ هـ عنــد ما آنتهى حفر الخليج الناصرى ، وكان ما على جانبى الخليج من القنطرة الجديدة إلى قناطر الإوز عامرا بالأملاك .

وأقول : إن القنطرة الجديدة المذكورة كانت تعــرف أخيرا بآسم قنطرة الظاهر ، ويقال لهــا أيضا قنطرة الإمبابى لوقوعها عند دار الشيخ محمد الامبابى أحد مشايخ الجامع الأزهر السابقين . وكانت موجودة كما شاهدتها على الخليج المصرى إلى سنة ١٨٩٧ التى تم فيها ردم القسم الأوّل من الخليج من جهة غمرة ، وبردم الخليج آختفت هذه القنطرة ، وكانت واقعة بشارع الظاهر عند تلاقيه بشارع الخليج المصرى بالقاهرة .

(٢) قناطر الأميرية ، ذكرها المقريزى فى خططه بآسم قنطرة الأميرية (ص ١٤٨ ج ٢) فقال : إن هذه القنطرة هى آخر ما عمل على الخليج الكبير ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٥

وبالبحث تبين لى أن هذه القنطرة قد تجدّدت فى مكانها ، ولا تزال قائمة على الخليج المصرى تجاه قرية الأميرية إحدى قرى ضواحى القاهرة ، وفى شمالها على بعد ستة كيلومترات . هذا مع العلم أن الخليج المصرى قد ردم من فمه داخل مدينة القــاهرة ، وما بقى منه لا يزال موجودا فى محاذاة ترعة الإسماعيلية من الجهة الشرقية ومستعملا لرى الأراضى الواقعة عليه .

بالخانقاة المذكورة . وآستقرّ الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد[١] بن محمود الأقصرائي[٢] الذى كان شيخ خانقاه كريم الدين الكبير[٣] بالقرافة فى مشيخة هذه الخانقاه، ورتّب عنده مائة صوفىّ، ورَسَم للشيخ مجد الدين المذكور بخِلْعة وأن يُلَقّب بشيخ الشيوخ .

وأمّا العسكر الذى توجّه إلى اليَمَن فإنّ السلطان كتب إلى أمراء الحجاز بالقيام فى خدمة العسكر، وتقدّم كافور الشِّبْلى[٤] خادم الملك المجاهد الذى كان قَدِم فى الرُّسلية إلى زَبِيد[٥] ليُعلِم أستاذه الملك المجاهد بقدوم العَسكر، وكَتَب لأهل حَلْى[٦] بنى يعقوب الأمان وأن يجلبُوا البضائع للعسكر . ورحَل العسكر فى خامس جمادى الآخرة من مكّة ، فوصَل إلى حَلْى بنى يعقوب فى آثنى عشر يوما بعد عشر ين مَرْحلةً . فتلقّاهم أهلُها ودُهِشوا لرؤية العساكر وقد طَلَبْتْ ولَبِست السِّلاح، وهمُّوا بالفِرَار . فنُودِى

---

(١) سيذكر المؤلف فى سنة وفاته وهى سنة ٧٤٠ هـ : أنه « موسى بن محمد بن محمود ... الخ » .

(٢) فى الدرر الكامنة : « الأقصرى » والأقصرائى : نسبة إلى أقصرا بلدة ببلاد الروم (آسيا الصغرى) بين قونية وقيسارية .

(٣) خانقاه كريم الدين الكبير بالقرافة الصغرى ، هذه الخانقاه لم يذكرها المقريزى فى خططه ، وذكرها ابن إياس فى تاريخ مصر (ص ١٦٢ ج ١) فقال : إن القاضى كريم الدين عبد الكريم بن إسحاق آبن المعلم هبة الله بن السديد القبطى المعروف بكريم الدين الكبير أنشأ فى سنة ٧٢٢ هـ خانقاه بالقرافة الصغرى وأوقف عليها ومات سنة ٧٢٤ هـ .

وبالبحث تبين لى أن هذه الخانقاه قد آندثرت ومن المتعذر تعيين مكانها فى جبانة الإمام الشافعى التى هى القرافة الصغرى لسعة هذه الجبانة وكثرة ما طرأ عليها من التغيير .

(٤) فى السلوك : « الشليلى » .

(٥) زبيد ، قصبة التهائم باليمن ، بناها محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه فى خلافة المأمون ، وبها كان مقام بنى زياد ملوك اليمن وهم الذين بنوها ثم غلب عليها بنو الصليحى ، ثم صارت قاعدة بنى رسول . اشتهرت بالعلم زمنا ، و ينسب إليها السيد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ وأبو بكر الزبيدى تلميذ أبى على القالى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ فى قرطبة وكان من أئمة اللغة وعلوم الأدب . وتوفى فيها الفيروزابادى صاحب القاموس أشهر علماء عصره فى اللغة سنة ٨١٧ هـ . قال آبن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصار : وهى شديدة الحر لا يبرد ماؤها ولا هواؤها ، ومساكن السلطان بها فى غاية العظمة من الرخام والسقوف (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ١٠ وتقويم البلدان ومعجم الخريطة التاريخية للمالك الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٦) حلى : مدينة من أطراف اليمن من جهة الحجاز، تعرف بحلى آبن يعقوب (عن تقويم البلدان وصبح الأعشى ج ٥ ص ١٣) .

فيهم بالأمان وألّا يتعرّض أحدٌ من العسكر لشىء إلّا بثمنه ، فاطمأنّوا وحملوا إلى كلٍّ من بيبرس وطينال من مقدّمى العسكر بمائةَ رأس من الغنم وخمسمائة إردبّ ذُرة ، فردّاها ولم يقبلا لأحد شيئا ، ورحلوا بعد ثلاثة أيام فى العشرين منه . فقدمت الأخبار على العسكر باجتماع رأى أهل زَبِيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفًا من العسكر ، وأنّهم ثاروا بالمتملّك عليهم ونهبوا أمواله ففرّ عنهم ، فكتبوا للمجاهد بذلك فقوى ونزل من قلعة تَعِز(1) يريد زَبِيد ، فكتب الأمراء إليه أن يكون على أُهبة اللّقاء فنزل العسكر زَبِيد ، ووافاهم المجاهد بجنده فسخر منهم العسكر المصرىّ ، من كونهم عُزاة(2) وسلاحهم الجريد والخشب ، وسيوفهم مشدودةٌ على أذرعهم ؟ ويقاد للأمير فرسٌ واحد مجلّلٌ ، وعلى رأس المجاهد عِصابةٌ ملوّنة فوق العِمامة ، فعندما عاين المجاهدُ العساكر وهى لابسةٌ آلة الحرب رُعب ، وهمّ أن يترجّل فمنعه الأمير بيبرس وأقول من ذلك . ومشى العسكر صفّين والأمراء فى الوسط حتى قربوا منه فألقى المجاهد نفسه هو ومن معه إلى [illegible] . وترجّل له الامراء أيضا وأركبوه وأكرموه وأركبوه فى الوسط ، وساروا [illegible] وألبسوه تشريفًا سلطانيًا بكلفتاة زَرْكش وحياصة ذهب ، وركب والأمراء فى خدمته والعساكر إلى داخل زَبِيد ، ففرح أهلها فرحًا شديدًا ، ومدّ المجاهد لهم سِماطًا جليلا فامتنع الأمراء والعساكر من أكله خوفا من أن يكون فيه ما يُخاف عاقبته ، واعتذروا إليه بأنّ هذا لا يكفى العساكر ، ولكن فى غد يُعمل السِّماط ، فأحضر لهم المجاهد ما يحتاجون إليه ، وأصبح حضر المجاهد وأمراؤه وقد مُدّ السِّماط بين يديهم ، وأُحضر كرسىٌّ جلس عليه المجاهد ، فوقف السُّقاةُ والنُّقباء والحجّاب والجاشنكيرية على العادة ، ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة والأمير طينال رأس الميسرة .

(1) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .
(2) فى الأصلين : « عراة » بالعين المهملة . وما أثبتناه عن السلوك .

فلمّا فرَغ السِّماط صاحت الجاوشية على أمراء المجاهد وأهل دولته وأحضروهم وقُرِئ عليهم كتابُ السلطان فباسوا بأجمعهم الأرض وقالوا: سمعاً وطاعةً ، وكتَب الأميرُ بيبَرْس لممالك اليمَن بالحضور فحضروا . ثم كتَب لهم المجاهد بغنم وذرة وآعتذر للأمراء والعساكر المصرية بعدم عمل الإقامة لهم بخراب البلاد ؛ فتوجّه قُصّاد العسكر لأخذ الغنم والذرة وأقامت العساكر بزَبِيد ، فعادت قُصّادهم بغير غنم ولا ذرة ، فرحَلوا من زَبِيد فى نصف رجب يُريدون تِعزّ ، فتلقّاهم المجاهد ونزلوا خارج البلد وشكَوْا ما هم فيه من قِلّة الإقامات فوعَدهم بالإنجاز. ثم إنّ الأمراء كتبوا للملك الظاهر[1] المقيم بدُمْلُوه[2] ، وبعثوا له الشريف عُطَيْفَة أمير مكّة وعِزّالدين الكَوَنْدَكى[3] وكتَب إليه المجاهد أيضا يحثّه على الطاعة ، وأقام العسكر فى جهد فأغاروا على الضِّياع وأخذوا ما قدروا عليه ، فآرتفع الذُّرة من ثلاثين درهما الإردب إلى تسعين ، ونفِد الأكل من الفاكهة فقط لقلّة الجالب ؛ وآتّهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفاً من العسكر أن تَملِك منه البلاد ، ثم إنّ أهل جبل صَبِر[4] قطعوا الماء عن العسكر وتخطّفوا الجمال والغِلْمان وزاد أمرهم إلى أن ركِب العسكر فى أثرهم ، فآمتنعوا بالجبل ورمَوْا بالمقاليع على العسكر فرمَوْهم بالنُّشّاب ، وأتاهم المجاهد فخذلَم عن الصعود

(١) هو عبدالله بن أيوب بن يوسف بن عمر بن على بن رسول الملك الظاهر أسد الدين صاحب اليمن. كان بينه وبين الملك المجاهد نزاع وحروب على الملك وأنزله من الدملوه ثم قبض عليه وقتله سنة ٧٣٣ هـ (عن المنهل الصافى وصبح الأعشى ج ٥ ص ٣٢) .

(٢) ورد فى صبح الأعشى (جـ ٥ ص ١٣) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٩١) فى الكلام على حصن الدملوه : أن هذا الحصن فى شمال عدن فى جبال اليمن ، والدملوه : خزانة صاحب اليمن ، ويضرب بامتناعه وحصانته المثل . وقد ضبط فى صبح الأعشى ومعجم البلدان لياقوت (بضم الدال وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو) . وضبط فى تقويم البلدان (بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء .

(٤) فى الأصلين : « جبل صبر » بالياء المثناة . وما أثبتناه هو الصواب إذ ورد فى معجم البلدان لياقوت : « وصبر بفتح أوله وكسر ثانيه بلفظ صبر من العقاقير ، اسم الجبل الشامخ العظيم المطل على قلعة تعز ، فيه عدة حصون وقرى باليمن » وقد ذكره أبو محمد الحسن بن أحمد الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب فى غير موضع عند الكلام على اليمن بالباء الموحدة مضبوطا بالقلم .

إلى الجبل، فلم يلتفتوا إلى كلامه ونازلوا الجبل يومهم وقُتِل من العسكر أربعة [وثمانية] (١)
من الغِلْمان، وبات العسكر تحت الجبل . فبلغ بيبَرْس أنّ المجاهد قرّر مع أصحابه
أنّ العسكر إذا صَعِدوا الجبل يُضْرِمون النار فى الوِطَاق وينهبون مافيه، فبادر بيبَرْس،
وقَبَض [على] (١) بهاء الدين بهادُر الصَّقْرِى (٢) وأخذ موجوده ووسَّطه قطعتين وعلّقه
على الطريق ، ففَرِح أهلُ تَعِزّ بقتله وكان قد تغلّب على زَبِيد، حتى طرده أهلها
عند قدوم العسكر، وعاد الشريف عُطَيْفة والكَوْنْدُكى من دُمْلُوه بأنّ الظاهر فى طاعة
السلطان ثم طَلَب العسكرُ من المجاهد ما وَعَد به السلطان الملك الناصر فأجاب بأنه
لاقدرةَ له إلّا بما فى دُمْلُوَه، فأشهد عليه بيبَرْس (٣) قضاةَ تَعِزّ بذلك، وٱرتحل العسكر
إلى حَلْى بنى يعقوب، فقدِمها فى تاسع شعبان ورحلوا منها أوّل شهر رمضان إلى مكّة
فدخلوها فى حادى عشره فى مشقّة زائدة، وساروا من مكّة يوم عيد الفطر إلى جهة
مصر، فقدِموا بركة الحُجّاج أوّل يوم من ذى القعدة ، وطَلَع الأمراء إلى القلعة
فخلَع السلطان عليهم فى يوم السبت ثالثه ، وقدّم الأمير بيبَرْس هديّة فأَغْرَى
الأميرُ طَيْنَال السلطانَ على الأمير بيبَرْس بأنّه أخذ مالاً من المجاهد وغيره.وقصّر
فى أخذ مملكة اليمن . فلما كان يوم الاثنين تاسع عشره رَسَم السلطان بخروج
بيبَرْس إلى نيابة غَزّة فٱمتنع لأنّه كان بلَغه ماقيل عنه، وأنّ السلطان قد تغيّر عليه،
فقبض عليه السلطان وسجنه بالبُرْج من القلعة وقَبَض على حواشيه وصادرهم وعُوقِبوا
على المال فلم يظهر شىء، وسكت السلطان عن أحوال اليمن .

(١) زيادة عن السلوك . (٢) كان من مماليك المؤيد داود ابن المظفر صاحب اليمن . ولما مات المؤيد وتسلطن ٱبنه المجاهد المقدّم ذكره أكثر من الفساد فى البلاد وثار على المجاهد فاجتمع المماليك على بهادر هذا وقدّموه عليهم وٱستولى على زبيد . ثم إن بيبرس مقدّم العساكر المصرية قبض عليه ووسطه بالسيف كما ذكره المؤلف، وكان ذلك فى سنة ٧٢٥ هـ .

(٣) يريد به بيبرس مقدم عسكر مصر .

ثم فى سنة ستّ وعشرين وسبعمائة استأذن الأميرُ أَرْغُون النائب السلطان فى الحجّ فأذِن له فحج هو وولده ناصر الدين محمد، وعادا من الحجاز إلى سِرْياقوس فى يوم الأحد حادى عشر المحرّم سنة سبع وعشرين وسبعمائة، فقبَض السلطان عليهما وعلى الأمير طَيْنَغا المجدى[1] . فأخذهم الأمير بَكْتَمُر الساقى عنده وسَعَى فى أمرهم حتّى أُخرِج فى يوم الأثنين ثانى عشره (يعنى من الغد) الأميرُ أَرْغُون إلى نيابة حلب عِوضًا عن الأمير أَلْطُنْبُغا ، وأُخْرِج معه الأميرُ أَيْتَمُش [المُحَمّدى][2] مسفِّره، وتوجه الأمير أُلْجَاى الدَّوادار إلى حلب لإحضار الأمير أَلْطُنْبُغا نائبها ، وقرّر السلطان مع كلٍّ من أَيْتَمُش وأُلْجاى أن يكونا بمن معهما فى دِمَشق يوم الجمعة ثالث عشرينه، ولم يعلَم أحد بما توجّه فيه الآخر حتّى توافَيا بدِمَشق فى يوم الجمعة المذكور . وقد خَرج الأمير تَنْكِز نائب الشام إلى مَيْدان الحصى لتَلَقّى الأمير أَرْغُون ، فترجّل كلٌّ منهما لصاحبه وسارا إلى جامع بنى أُمَيّة ، فلمّا توسّطاه إذا بأُلْجاى ومعه الأمير أَلْطُنْبُغا نائب حَلَب فسلّم أَرْغون عليه بالإيماء، فلما انقضت صلاة الجمعة عَمِل لهما الأميرُ تَنْكِز سِماطًا جليلا فحضرا السِّماط . ثم سار أَرْغُون إلى حلب فوصلها فى سلخ الشهر ، وسار أَلْطُنْبُغا حتى دخل مصر فى مستهلّ صفر، فأكرمه السلطان وخلع عليه وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بإِمْرة مائة وتقدمة ألف من جملة إقطاع أَرْغُون النائب ، وكمّل السلطان من إقطاع أَرْغُون أيضا لطَايَرْبُغا على إقطاعه إِمْرة مائة وتقدمة ألف، فزادت التقادِمُ تقْدمةً، فصارت أمراء الألوف خمسة وعشرين مقدم ألف بالديار المصرية .

---

(١) كذا فى السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وما سيأتى ذكره للمؤلف . وفى الدرر الكامنة والمنهل الصافى : «طينغا المحمدى» . وفى الأصلين هنا «الحموى». (٢) زيادة عن السلوك.

وفى مستهل جُمادَى الأولى قبض السلطان على الأمير بهاء الدين أصلم [القَبْجاقى][1] وعلى أخيه قُرْمُجى وجماعة من القَبْجاقية ، وسببُ ذلك أن أصْلم عَرَض سلاحَ خاناته وجلَس بإسطبله وألبس خيلَه ورتّبها للركوب ، فوَشَى به بعضُ أعدائه وكتَب بواقعة أمره ورقةً وألقاها إلى السلطان ؛ فلمّا وقف عليها السلطان تغيّر تغيّرا زائدًا وكانت عادته ألا يُكذِّب خبرًا ، وبعث من فوره فسأل أصْلم مع أُلْماس الحاجب عمّا كان يفعله أمس فى إسطبله ، فذكر أنه اشترى عِدّة أسلحة فعرَضها على خيله لينظُر ما يُناسب كلّ فرس منها فصدّق السلطان ما نُقل عنه ، وقبَض السلطان عليه وعلى أخيه وعلى أهل جنسه وعلى الأمير قَبْرَان صِهْر قُرْمُجى وعلى الأمير إنكان[2] أخى آقول الحاجب ، وسُفِّروا إلى الإسكندرية مع الأمير صلاح الدين[3] طَرْخان بن يَسَرى ، وبُرْلُغى[4] قريب السلطان وأُفرِد أصلم ببرج فى القلعة .

ثم قدِم الأمير حُسين بن جَنْدَر من الشام الذى كان نفاه السلطان لمّا عمّر جامعه وفتح بابا من سور القاهرة ، فلما مَثَل بين يدى السلطان خلَع عليه خِلْعة أطلس بطَرْز زَرْكَش وكَلَفْتاة زَرْكَش وحِياصه مكوبجة[5] ، وأنعم عليه بإقطاع أصْلم[6] فى يوم الاثنين ثالث جُمادى الآخرة .

١٥ وفيها عُقِد على الأمير قَوْصُون الناصرى عَقْدُ ابنة السلطان الملك الناصر بقلعة الجبل ، وتَوَلّى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحَريرى الحنفى . ثم بعد مدّة فى سنة ثمانٍ وعشرين عُقِد نكاح ابنة السلطان الأخرى على الأمير طُغَاى تَمُر

(١) زيادة عن الدرر الكامنة . (٢) كذا فى أحد الأصلين والسلوك . وفى الأصل الآخر: « إنكار » بالراء المهملة والنون . (٣) فى الأصلين : «صلاح الدين بن طرخان وابن يسرى » . وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك . (٤) يريد به برلغى الصغير لأنه قريب الناصر محمد بن قلاوون لأمه ، كما صرح بذلك فى الدرر الكامنة . (٥) كذا فى الأصلين والسلوك .
(٦) عبارة أحد الأصلين : « وأنعم عليه بإقطاع أصلم . ثم فى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة عقد على الأمير قوصون الناصرى ... الخ » .

العُمَرِى الناصرىّ ، وأعْفَى السلطان فى هذه المرّة الأمراء من حَمْل الشموع وغيرها إلى طُغَاى تَمُر كما كان فعلوه مع قَوْصُون ، وأنعم السلطان على طُغَاى تَمُر من خزانته عِوَضًا عن ذلك بأربعة آلاف دينار .

ثم أفرج السلطان عن الأمير عَلَم الدين سَنْجر الجاولى بعد أن آعتقل ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما[1] ، فكان فيها يَنْسَخُ القرآن وكُتُبَ الحديث . ٥

وفى سنة ثمانٍ وعشرين أيضا عَزَم السلطان على أن يُجْرِى النيـل تحت قلعـة الجبل ويُشَقّ له من ناحية حُلْوان[2] ، فبعث الصُّنّاع صحبة شـادّ العمائر إلى حُلْوان ، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر المُطِلّ على القاهرة ، وقدّروا العمل فى بنـاء الواطى حتى يرتفعَ وحفر العالى ليجرى المـاء إلى تحت قلعة الجبل من غير ثَقَل ولا كُلْفة . ثم عادوا وعرّفوا السلطان ذلك فركب وقاسوا الأرض بين يديه ، فكان قياس ما يُحْفَر ١٠ آثنتين وأربعين ألف قصبة حاكِية[3] لتبق خليجا يجرى فيـه ماء النيل شتاء وصـيفا

(١) فى أحد الأصلين : « وواحدا وعشرين يوما » . (٢) حلوان ، المقصود هنا قرية حلوان الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل بالقرب من مدينة حلوان الحمامات . ويستفاد ممـا ذكره ياقوت فى معجم البلدان أن أوّل من آختطها هو عبد العزيز بن مروان والى مصر فى سنة ٦٧ هـ = ٦٨٦م وبنى بها دورا وقصورا وآستوطنها وزرع بها بساتين وغرس فيها كروما ونخلا ، وقد آختار عبد العزيز بن ١٥ مروان المكان الذى أنشأ فيه حلوان لآرتفاعها عن الفسطاط مع قربها منها ، وحسن موقعها من النيل وجودة هوائها . وقد اختار لها آسم حلوان لأن موقعها وحالتها يتفقان مع موقع وحالة حلوان التى بالعراق من وجوه أربعة ذكرها ياقوت فى معجمه وهى : (أوّلا) أن حلوان العراق على نهر دالا ، وهـذه على نهر النيل . (ثانيا) أن حلوان العراق قريبة من الجبل وحلوان هذه مثلها قريبة من الجبل الشرق . (ثالثا) أن حلوان العـراق بجوارها عيون كبريتية وهـذه كذلك بجوارها عيون كبريتية وهى التى أنشئ بجوارها ٢٠ ولأجلها مدينة حلوان الحمامات . (رابعا) أن حلوان العراق أكثر ثمارها البلح والتين وهذه مثلها . وكل ما قيل من أن حلوان هذه موجودة قبل فتح العربَ لمصر فغير صحيح كما تبين لى من دراسة تاريخها . وأما حلوان الحمامات فهى من المنشآت التى استجدّت فى عهد الخديوى إسماعيل باشا سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م .
— (٣) قصبة حاكية ، قال الأسعد بن ممـاتى فى كتابه قوانين الدواوين (ص ٣٢) : اتفق أهـل مصر على أن يمسحوا أرضهم بقصبة تعرف بالحاكية طولها خمس أذرع بالنجارى فمتى بلغ الممسوح من الأرض ٢٥ ٤٠٠ قصبة مربعة سموه فدانا . وقال القلقشندى فى صبح الأعشى (ص ٤٤٦ ج ٣) : قد آصطلح أهل =

بسَفح الجبل، فعاد السّلطان وقد أعجبه ذلك وشاوَر الأمراء فيه فلم يُعارِضه فيه أحد إلّا الفخر ناظر الجيش ، فإنه قال : بمن يَحْفِر السلطان هذا الخليج؟ قال : بالعسكر، قال : والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطانى وأقام ستين ما قدروا على حَفْر هذا العمل، فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال، ثم هل يصح أو لا ! فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد ويُتْعِب الناس ويستجلب دعاءهم ونحو ذلك من القول ، فرَجَع السلطان عن عمله .

= مصر على قياس أرض الزراعة بقصبة تعرف بالحاكية كأنها حررت فى زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت إليه ؛ وطولها ست أذرع بالهاشمى وخمس أذرع بالنجارى ، وكل ٤٠٠ قصبة فى التكسير (أى مربعة) يعبر عنها بفدان .

ومن هـذا يتبين أن الفـدان كان فى ذاك الوقت أى فى زمن الروك الناصرى كما كان فى وقت الفتح العربى ٤٠٠ قصبة أى ٢٠ فى ٢٠ قصبة وبعمل الحساب يكون طول القصبة الطوليـة فى ذاك الوقت هو ٣٫٨٨٤ عبارة عن ثلاثة أمتار و ٨٨ سنتيمترا وأربعة ملليمترات ، وتكون مساحة الفدان ٦٠٣٤ مترا مربعا و ١٨٢ من كسور المتر المربع .

ويستفاد مما ذكره يعقوب أرتين باشا فى كتابه الأحكام المرعية فى شأن الأراضى المصرية (ص ١٩٢) أنه لما رأى محمد على باشا الكبير اختلاف أطوال القصبة المستعملة فى مصر وكثرة عدد المقاييس المختلفة منها أمر بجعل مساحة الفدان ١/٣ ٣٣٣ قصبة مربعة أى أن كل ألف قصبة تعادل ثلاثة فدادين ، وقررت تلك المساحة رسميا ، وكانت أساسا لمساحة سنة ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣ م التى تعرف بالتاريع .

وذكر جرجس حنين بك فى كتابه الأطيان والضرائب (ص ١٠٩) أنه فى سنة ١٢٥٥ هـ = ١٨٢٨ م أمر محمد على باشا بتأليف جمعية من بعض مشاهير المهندسين لفحص أطوال الأقصاب المستعملة للقاس فى مصر وتوحيدها بأخذ متوسط تلك الأقصاب فقررت الجمعية أن يكون طول القصبة ٣٫٥٥ أى ثلاثة أمتار وخمسة وخمسين سنتيمترا ، وبذلك أصبح الفدان عبارة عن مسطح طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة ١٨ قصبة طولية وربع قصبة ، ومساحته ١/٣ ٣٣٣ قصبة مربعة أو ٤٢٠٠ متر مربع و ٨٣ من مائة من المتر المربع .

وفى ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٩٨ أصدرت نظارة المالية منشورا قررت فيه إبطال استعمال المقاس بالقصبة المفردة التى هى من قصب الغاب من ابتـداء سنة ١٨٩٩ واستبدالها بسلسلة حديدية تعرف بالجنزير ، طولها خمس قصبات لسهولة المقاس وضبطه ، وهـذا الجنزير هو المستعمل الآن فى مصلحة المساحة وفى المصالح الأميرية الأخرى فى مقاس الأراضى الزراعية فى مصر .

وفيها أفرج السلطان عن الشيخ تقىّ الدين أحمد بن تَيْمِيّة بشفاعة الأمير جَنْكَلى بن البابا . وفى يوم الاثنين سابع [عشر](١) جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رَسَم السلطان بردْم الجُبّ(٢) الذى كان بقلعة الجبل لمـا بلغ السلطانَ أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كَرِه الرائحة وأنه يمرّ بالمحابيس فيه شدائد عظيمة ، فرُدِم وعُمّر فوقه طِباق(٣) للماليكْ السلطانية . وكان هـذا الجُبّ عُمِل فى سـنة إحدى وثمانين وستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون . ثم فى السنة المذكورة رَسَم السلطان للحاجب أن يُنادِى بألّا يُباع مملوكٌ تُرْكى لكاتب ولاعامى ، ومَن كان عنده مملوكٌ فَلْيَبِعْه ، ومن عُثِر عليه بعد ذلك [أنّ عنده مملوكا](٤) فلا يلوم إلّا نفسه .

وفيها عرَض السلطان ممـاليك الطِّباق وقطع منهم مائةً وخمسـين ، وأخرجهم من يومهم فَفُرِّقوا بقلاع الشام .

---

(١) زيادة عن السلوك لأن أول جمادى الأولى من سنة ٧٢٩ هـ يوم الجمعة كما فى التوفيقات الإلهامية .

(٢) الجب الذى كان بقلعـة الجبل ، سـبق التعليق عليـه فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة ، ولأن التعليق المذكور جاء غير واف فنعيد التعليق عليه هنا بالآتى : يستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على الجب بقلعة الجبل (ص ٢١٣ ج ٢) أنه كان بالقلعـة جب يحبس فيه الأمراء ، وكان مهولا مظلما كثير الوطاويط كريه الرائحة يقاسى المسجون فيه ما هو أشد من الموت : عمره الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨١ هـ إلى أن أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بإخراج من كان فيه من المحابيس ونقلهم إلى الأبراج وردمه وعمر فوق الردم طباقا للمماليك فى سنة ٧٢٩ هـ .

وبالبحث تبـين لى أن الجب المذكور كان واقعا فى الجهـة الشرقية من الحوش الحالى الواقع داخل البوابة الداخلية الذى فيـه اليوم ثكنات عساكر الجيش حيث كانت قديمـا طباق المماليك الآتى ذكرها فى الحاشية التالية .

(٣) طباق المماليك السلطانية ، هـذه الطباق ذكرها المقريزى فى خططه باسم الطباق فى ساحة الإيوان (ص ٢١٣ ج ٢) فقال : عمرها الملك الناصر محمـد بن قلاوون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانوا لا يبرحونها إلا بإذن السلطان . وذكر مؤلف هذا الكتاب فى هـذا الجزء أن الملك الناصر عمر فى الساحة تجاه الإيوان طباقا للأمراء الخاصكية .

وبالبحث تبين لى أن الطباق هنا مقصود بها ثكنات عساكر الجيش ولم تكن أدوارا بعضها فوق بعض كما يتبادر إلى الذهن ، بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة منهم طباق خاص بهم ، وكانت هذه الطباق واقعـة فى الحوش الذى به اليوم ثكنات الجيش داخل البوابة الداخليـة التى يتوصل منها إلى الثكنات وإلى جامع سيدى سارية داخل القلعة بالقاهرة .

(٤) زيادة عن السلوك .

وفيها قتَل الأمير تَنْكِز نائب الشام الكلاب ببلاد الشام فتجاوز عِدّتُها خمسة آلاف كلب. ثم خرج السلطان إلى سِرْياقوس فى سابع عشرين من ذى الحجّة على العادة فى كلّ سنة، وقدِمَ عليه الأمير تَنْكِز نائب الشام فى أوّل المحرّم سنة ثلاثين وسبعمائة وبالغ السلطان فى إكرامه ورَفْع منزلته، وقد تكرّر قدوم تَنْكِز هذا إلى القاهرة قبل تاريخه غير مرة، ثم عاد إلى نيابته بدِمَشْق فى رابع عشر المحرّم. ثم فى عشرين المحرّم المذكور وصل إلى القاهرة الملك المؤيّد إسماعيل صاحب حَمَاة، فبالَغ السلطان أيضا فى إكرمه ورَفَع منزلته وخلَع عليه. ثم سافر السلطان فى تاسع صفَر إلى بلاد الصعيد للصيد على عادته، ومعه المؤيّد صاحب حَمَاة، ثم عاد بعد أيام قليلة لتوعك بدَنه من رَمَد طلَع فيه،(1) وأقام بالأهرام بالجيزة أياما، ثم عاد وسافر إلى الصعيد حتى وصل إلى هُو،(2) ثم عاد إلى مصر فى خامس شهر ربيع الآخر، وسافر فى ثامنه المؤيد صاحب حَمَاة إلى محلّ ولايته بعد أن غاب مع السلطان هذه الأيام الكثيرة.

ثم نزَل السلطان من القلعة فى خامس عشرين شهر ربيع الآخر المذكور، وتوجّه إلى نواحى قليوب(3) يُريد الصيد، فبينما هو فى الصّيد تقنطر عن فَرَسه فانكسرت يده وغُشِى عليه ساعةً وهو مُلْقًى على الأرض، ثم أفاق وقد نزَل إليه الأميران: أَيْدُغْمُش أمير آخور وقَمَارِى أمير شِكَار وأركباه، فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته وعاد إلى قلعة الجبل فى عَشيّة الأحد ثامن عشرينه، فجمع الأطبّاء والمُجَبِّرين(4) لمداواته فتقدم رجلٌ من المجبِّرين يُعرف بابن بوسقة(5) وتكلّم بجفَاء وعامّية طِباع، وقال: له تُريد تُفيق

(1) فى أحد الأصلين والسلوك: «من دتل طلع فيه». (2) هو، من قرى مصر بمركز نجع حمادى بمديرية قنا. وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

(3) كذا فى السلوك. وفى تاريخ سلاطين المماليك: «وفى يوم الجمعة سادس عشر ربيع الآخر كان السلطان راكبا يتصيد نحو الخرقانية بالقليوبية فتقنطر ...». وفى الأصلين: «إلى الفيوم». وهو خطأ صوابه ما أثبتناه. (4) فى الأصلين: «بجمع الأطباء المجيدين». وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك. (5) فى السلوك: «يعرف بابن أبى ستة».

سريعًا؟ اسمع منى، فقال له السلطان : قل ماعندك، فقال: لا تُخَلّ يداويك غيرى بمفردى وإلّا فَسَدتْ حال يدك مثلما سَلَمت رجلك[(١)] لابن السِّيسى فافسدها ، وأنا ما أُخَلّ شهرًا يمضى حتى تركب وتلعَب بيدك الأُكْرة ، فتنكت السلطان عن جوابه وسلّم إليه يدَه فتولّى علاجه بمفرده، وبَطَلَت الخدمة مدّة سبعة وثلاثين يوما وعُوفى، ٥ فزُيِّنت له القاهرة فى يوم الأحد رابع جُمادَى الآخرة من السنة المذكورة، وتفاخر الناس فى الزينة بحيث إنه لم يُعهد زينةٌ مثلُها، وأقامت سبعة أيام، هذا والأفراح عمّالة بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدّة الأسبوع، فإنّ كلّ أمير متزوّج إمّا بإحدى جَوَارِى السلطان أو بناته وأكثرهم أيضا مماليكه، وكذلك البشائر والكُوسات تُضْرب، وأنعم السلطان على الأمراء وخلَع عليهم، ثم خرَج السلطان إلى القَصْر ١٠ وفرّق عِدّةَ مِثالات على الأيتام وعَمِل سِماطا جليلًا وخلَع على جميع أرباب الوظائف، وأنعم على المُجَبِّر بعشرة آلاف درهم، ورَسَم له أن يدور على جميع الأمراء فلم يتأخّر أحد من الأمراء عن إفاضة الخِلَع عليه، وإعطائه المالَ فحصل له ما يجِلّ وصفُه. وتوجّه الأمير آقْبُغا عبد الواحد[(٢)] إلى البلاد الشامية مُبَشِّرا بعافية السلطان .

وفيها اشترى الأمير قَوْصون الناصرى دار الأمير آقوش المَوْصلى[(٣)] الحاجب ١٥ المعروف بآقوش نميلة ، ثم عُرِفت ثانيا بدار الأمير آقوش قتّال السبع — من

(١) فى أحد الأصلين : « مثلما سلمت يدك » . (٢) كذا فى الأصلين والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك . وفى المنهل الصافى : « آقبغامن عبد الواحد » وفى الدرر الكامنة : « آقبغا بن عبد الواحد » . (٣) دار الأمير آقوش الموصلى، ذكرها المقريزى باسم دار آقوش (ص ٣ ٥ ج ٢) فقال : إنها كانت من أجل دور القاهرة بحارة برجوان، إلى أن تداعت هذه الدار وبيعت أنقاضها ٢٠ وصارت من جملة الأملاك التى بحارة برجوان . ومن هذا يتبين أن الدار المذكورة هدمت وزالت معالمها من قديم، ولذلك لم يتيسر تعيين موقعها فى حارة برجوان الآن .

أربابها، واشترى أيضا ما حولها وهدم ذلك كله، وشرع في بناء جامع،[1] فبعث السلطان إليه بشاد العمائر[2] والأسرى لنقل الحجارة ونحوها، فنجزت عمارته في مدة يسيرة، وجاء الجامع المذكور من أحسن المباني، وهو خارج بابي زويلة على الشارع[3]

(١) جامع قوصون، هو الذي ذكره المقريزي في خططه باسم جامع قوصون (ص ٣٠٧ ج ٢) فقال: إن هذا الجامع بشارع خارج باب زويلة، ابتدأ عمارته الأمير قوصون في سنة ٧٣٠ هـ، وإن الذي بنى مئذنتي الجامع هو بناء من أهل توريز على مثال المئذنة التي عملها خواجا على شاه في جامعه بمدينة توريز (وتوريز هو اسم محرف لمدينة تبريز التي ذكرها المؤلف) وبالمعاينة والبحث تبين لي:

أولا — أن الباقي من الأجزاء القديمة لهذا الجامع إلى اليوم هو: (١) بوابته الشرقية التي بشارع السروجية وعليها اسم منشئ الجامع، وتاريخ إنشائه سنة ٧٣٠ هـ. (٢) بوابته البحرية التي بداخل درب الأغوات. (٣) بقايا زخارف وشبابيك جصية بالحائط البحري للسجد وما عدا ذلك من مبانيه فهو حديث.

ثانيا — أن الجامع الحالي يشغل مكان الجامع القديم بحدوده بعد الذي أخذ منه في فتح شارع محمد علي، وأن البوابة الشرقية التي بشارع السروجية لم تكن واقعة ضمن حوائط الجامع الأصلي، بل كانت بعيدة عنه بمسافة ثمانين مترا، كما هي الآن، وكان الغرض من إنشائها هو تقريب طريق الجامع لسكان الشارع الأعظم وتسهيل وصولهم إليه في أوقات الصلاة، وكانت هذه البوابة على رأس دهليز يوصل إلى الجامع، وهذا الدهليز مكانه اليوم عطفة المحكمة الموصلة بين شارع السروجية وشارع محمد علي.

ثالثا — أن مئذنتيه: إحداهما سقطت في سنة ١٢١٥ هـ، كما ذكر الجبرتي في حوادث تلك السنة، والثانية هدمت مع دورة المياه في سنة ١٨٧٣ م عند فتح شارع محمد علي، كما ورد في الخطط التوفيقية (ص ٨٧ ج ٥).

رابعا — أن ديوان عموم الأوقاف شرع في عمارة الجامع الحالية في عهد الخديوي محمد توفيق، وتمت العمارة بغير مئذنة في سنة ١٣١١ هـ أي في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني، وهذا الجامع عامر الآن بإقامة الشعائر الدينية بشارع محمد علي بالقاهرة والعامة يسمونه جامع قيسون (بفتح القاف).

(٢) شاد العمائر، هو ناظر العمارات والمباني السلطانية.

(٣) الشارع الأعظم، يستفاد مما ذكره المقريزي في الجزء الثاني من خططه عند الكلام على ذكر الأسواق (ص ٩٤) وعلى ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) أن الشارع الأعظم في ذلك الوقت كان هو الطريق الحالي الذي يتكون الآن من شارع المعز لدين الله الممتد من باب الفتوح إلى باب زويلة، ثم من شوارع قصبة رضوان والخيامية والمغربلين والسروجية والحلمية والسيوفية والركبية والخليفة والأشرف حيث ينتهي الشارع الأعظم عند جامع السيدة نفيسة — رضي الله عنها — بالقاهرة، ويرى القارئ أن شارع السروجية الذي به باب جامع قوصون المذكور في الحاشية السابقة هو من ضمن الشارع الأعظم المذكور.

الأعظم بالقُرْب من بركة الفيل[1]، وتولّى عمارة منارته[2] رجلٌ من أهل تِبْرِيز[3] أحضره الأمير أيْتَمُش المحمّدى معه فعَمِلها على مِنْوال مَوادِن تِبْرِيز، ولمّا كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة فيه فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وسبعمائة، وخطَب به يومئذ قاضى القُضاة جلال الدين محمد القَزْوِينىّ وخلَع عليه الأمير قَوْصُون بعد فراغه وأركبه بَغْلةً هائلة .

وفى هذه السنة أيضا ابتدأ علاء الدين مُغْلَطَاى [الجَمَالىّ[4]] أحد المماليك السلطانية فى عمارة جامع بين السُّورين[5] من القاهرة، وسُمِّى جامع التَّوْبة لكثرة ما كان هناك

(١) بركة الفيل، راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) فى السلوك : «منارتيه» . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة .

(٥) جامع بين السورين ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع التوبة (ص ٣١٤ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بجوار باب البرقية فى خط بين السورين . كان موضعه مساكن أهل الفساد، فلما أنشأ الأمير الوزير علاء الدين مغلطاى الجمالى خانقاته المعروفة بالجمالية قريبا من خزانة البنود بالقاهرة كره مجاورة هذه الأماكن لداره وخانقاته فأخذها وهدمها وبنى هذا الجامع فى مكانها وسماه جامع التوبة فعرف بذلك، ثم قال : إلا أنه لا يزال طول الأيام مغلق الأبواب لخراب أكثر المساكن التى تجاوره .

ومن يقرأ عبارة المقريزى الخاصة بموضع هذا الجامع يعجب كيف اختلط عليه الأمر، فبينما يقول : إن موضع هذا الجامع بجوار دار الأمير مغلطاى الجمالى وخانقاته القريبة من خزانة البنود وهو الصحيح، يقول : إن هذا الجامع بجوار باب البرقية فى خط بين السورين . إن باب البرقية لا يزال مكانه معروفا إلى الآن باسم باب الغريب لمجاورته لجامع الغريب القائم بجوار مبانى الجامعة الأزهرية الجديدة شرقى الجامع الأزهر، وأن خانقاه مغلطاى الجمالى القريبة من جامع التوبة هذا لا تزال موجودة ومعروفة بزاوية محمد مغلطاى بحارة قصر الشوك بقسم الجمالية . ومن يطلع على خريطة مدينة القاهرة يرى أن خانقاه مغلطاى فى الشمال وباب الغريب فى الجنوب والمسافة بينهما ٥٣٠ مترا كلها مشغولة بالمبانى والطرق .

والراجح أن تشابه الأسماء بين مغلطاى الجمالى صاحب هذا الجامع وبين مغلطاى الفخرى صاحب جامع البرقية الكائن عند باب البرقية والمعروف الآن بجامع الغريب هو الذى أحدث اللبس عند المقريزى فقال : إن جامع التوبة بجوار باب البرقية فى حين أنه بعيد عن هذا الباب كما ذكرت، يضاف إلى ذلك أن مغلطاى الجمالى ومغلطاى الفخرى كانا فى عهد واحد فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأن الأول منهما أنشأ جامع التوبة فى سنة ٧٢٠ هـ وأن الثانى أنشأ جامع البرقية فى سنة ٧٣٠ هـ وهى سنة قريبة من الأولى، وقد أحدث هذا التشابه اللبس كذلك عند المؤلف، فإنه سمى جامع البرقية باسم جامع التوبة كما هو مبين فيا بعد فى هذا الجزء .

من الفساد وأقام به الخطبة ، ثمّ عاد السلطان الملك الناصر على ما كان عليه من أوّل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من التوجّه إلى الصّيد على عادته ، وقَدِم عليه موتُ الأمير أرْغون الدّوَادار نائب حَلَب كان وهو بالصيد ، فخلَع على الأمير ألْطُنْبُغا الصالحىّ بنيابة حلَب عِوضَه .

ثمّ فى يوم السبت [سابع عشر ذى الحجة][(١)] رَكِب السلطان من القلعة إلى الميْدان[(٢)] الذى آستجدّه ، وقد كملت عمارته ، وكان السلطان قد رسَم فى أوّل هذه السنة بهَدْم مناظر[(٣)] الميْدان الظاهرىّ الذى كان بباب اللُّوق وتجديد عمارة هذا الميْدان

= وبالبحث عن موقع جامع التوبة هذا الذى أنشأه مغلطاى الجمالى بالقرب من خانقاته السابق ذكرها تبين لى أن الجامع المذكور كان واقعا خلف الخانقاه داخل درب الفراخة ، وقد آعتدى الناس على أرضه و بنوها مساكن ولم يبق منه إلا قطعة أرض صغيرة عليها مقام وزاوية الشيخ عطية التى بابها بعطفة درب الحمام خلف درب الفراخة بقسم الجمالية بالقاهرة .

وأما ما ذكره المقريزى من أن باب البرقية فى خط بين السورين ، فالمقصود هنا هو بين السورين الواقع شرق مدينة القاهرة القديمة بين سورها الأول الذى أنشأه جوهر القائد و بين سورها الأخير الذى أنشأه السلطان صلاح الدين خارج باب البرقية القديم .

(١) زيادة عن السلوك . (٢) ميدان الناصر الذى آستجده ، هذا الميدان هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بآسم الميدان الناصرى (ص ٢٠٠ ج ٢) فقال : إن هذا الميدان من جملة أرض بستان الخشاب فيما بين مدينة مصر والقاهرة ، ففى سنة ٧١٤ هـ جعل الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان الظاهرى بستانا وأنشأ بدلا عنه هذا الميدان بأراضى بستان الخشاب على النيل . وقد أعدّ فى سنة ٧١٨ هـ للركوب إليه والسباق فيه ، وقد عرف هذا الميدان بالميدان الناصرى أو الميدان الكبير أو الميدان السلطانى .

ومما ذكر ومما ذكره المقريزى أيضا فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨) وعلى بر الخليج الغربى (ص ١١٣) وعلى قنطرة الفخر (ص ١٤٨) يتبين أن هذا الميدان كان واقعا فى المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بشارع القصر العالى على النيل ، ومن الجنوب شارع والدة باشا بأرض القصر العالى ، ومن الشرق شارع قصر العينى ، ومن الشمال شارع رستم باشا وما فى آمتداده إلى النيل . وكان هذا الميدان معدا للسباق لغاية أيام دولة المماليك ثم أهمل فى العهد العثمانى وأنشئت على أرضه بساتين ، فأقام كبار المماليك فى عهد الحكم العثمانى ميدانا آخر شرق الميدان الناصرى المذكور . ومن يطلع على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ م يرى أن الميدان الجديد يقع على الجانب الشرقى من شارع قصر العينى وفى محاذاة الميدان القديم بآسم ميدان النشاب .

(٣) مناظر الميدان الظاهرى ، هذا الميدان سبق التعليق عليه بالحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء .

الذى آستجدّه، وفوّض ذلك للأمير ناصر الدين [محمد] بن المُحْسِنِيّ، فهدّم تلك المناظر وباع أخشابها بمائة ألف درهم وألفى درهم، وآهتمّ فى عمارة جديدة فكمل فى مدّة شهرين، وجاء من أحسن ما يكون، فخلَع السلطان عليه وفرّق على الأمراء الخيول المُسْرجة المُلْجَمة.

وفى أوّل محرّم سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة قدم مُبَشِّر الحاجّ، وأخبر بسلامة الحاجّ وأن الأمير مُغْلَطَاى الجمالى الأستادار على خطّه [(٢)] فعيّن السلطان عوضه فى الأُستادارية الأمير آقْبُغَا عبد الواحد. ومات مُغْلَطَاى فى العقبة وصُبِّر وحُمِل إلى أن دُفن بمدرسته [(٣)] قريبا من درب مُلُوخيا [(٤)] بالقاهرة بالقُرْب من رحبة [(٥)] باب العيد. ولَبِس آقْبُغَا عبد الواحد الأُسْتادارية فى يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرّم. ثم بعد أيّام خلَع عليه السلطان بتقدمة المماليك السلطانية مضافا على الأستادارية، من أجل أنّ السلطان وجد بعض المماليك قد نزل من القلعة إلى القاهرة وسكر، فضرب

(١) زيادة عن السلوك. (٢) هكذا فى الأصلين والسلوك. ولعلها محرفة عن كلمة «خطر» كما يقتضيه سياق الكلام. (٣) مدرسة مغلطاى الجمالى، هذه المدرسة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه بأسم المدرسة الجمالية (ص ٣٩٢ ج ٢) فقال: إنها بجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديما بدرب سيف الدولة نادر، بناها الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية فى سنة ٧٣٠ هـ ودفن فيها يوم ٢١ المحرم سنة ٧٣٢ هـ. ولما تكلم المقريزى فى خططه على الخانقاه الجمالية (ص ٤١٨ ج ٢) قال: إنه تكلم عليها عند ذكر المدارس وزاد على ذلك أنها أنشئت سنة ٧٨٠ هـ وهى غلطة مطبعية صوابها سنة ٧٣٠ هـ، لأن الخانقاه كانت من توابع المدرسة الجمالية هذه. وبالبحث تبين لى أن هذه المدرسة والخانقاه التابعة لها قد تخربت وأندثرت أماكن الصوفية ولم يبق منها إلا القبة التى تعلو قبر منشئها وجزء من الوجهة التى فيها الباب ومكان للصلاة، وتعرف الآن بزاوية مغلطاى الجمالى بحارة قصر الشوك بقسم الجمالية بالقاهرة.

(٤) درب ملوخيا، هذا الدرب هو الذى يعرف اليوم بحارة قصر الشوك أحد فروع شارع قصر الشوك بقسم الجمالية بالقاهرة. سبق التعليق عليه بالحاشية رقم ٦ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة، وقد لاحظت أن مصلحة التنظيم أطلقت أسم درب ملوخيا على زقاق بدرب القزازين بقسم الجمالية وهذه التسمية خطأ، لأنها فى غير موضعها. (٥) هى رحبة باب العيد أحد أبواب القصر الكبير الشرقى الفاطمى بالقاهرة. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة

السلطانُ كثيرًا من الطَّوَاشيّة وطَرَد كثيرًا منهم، وأنكر على الطواشي مقدّم المماليك وصرَفه عن التقدمة بآقبغا هذا، فضبط آقبغا المذكور طباق المماليك بالقلعة وضرب عِدّة منهم ضربا مُبَرِّحا أشرف منهم جماعة على الموت، فلم يجسُر بعد ذلك أحدٌ أن يتجاوز طبقته إلى غيرها.

وفي يوم الاثنين ثالث عشرين صَفَر جمع السلطان الأمراء والقُضاة والخليفة ليَتَعهّدَ بالسلطنة لابنه آنوك وتركب ولده آنوك بشعار السلطنة، ثم آنثني عزمُه عن ذلك في المجلس، وأمر أن يَلْبَس آنوك شِعار الأمراء ولا يُطلق عليه آسم السلطنة، فركب وعليه خِلْعةُ أطلس أحمر بَطْرز زَرْكَش وشَرْبُوش[1] مكلَّل مزركش، وخرج من باب القرافة والأمراء في خدمته حتى مرّ من سوق الخيل[2] تحت القلعة ونَزَل عن فرسه وباس الأرض، وطلع من باب الإسطبل[3] إلى باب السِّرّ وصَعِد منه إلى القلعة، ونُثِرت عليه الدنانير والدراهم، وخلع السلطان على الأمير أَلْمَاس الحاجب والأمير بيبَرْس الأحمدي، وكان السلطان أفرج عن بيبَرْس المذكور قبل ذلك بمدّة من السجن،

(١) الشربوش: قلنسوة طويلة معرّبة عن سربوش أي غطاء الرأس (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة). (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة، ولزيادة الإيضاح أقول: إن مكانه اليوم الفضاء الواقع بين جامع السلطان حسن وبين باب القلعة الغربي المعروف بباب العزب وما في آمتداده إلى الجنوب من سور القلعة بطول مائة متر، ومنه إلى مدخل شارع السيدة عائشة، ومنه إلى الوجهة الشرقية لجامع السلطان حسن بالقاهرة. (٣) باب الإسطبل، هو أحد أبواب قلعة القاهرة، كان يعرف قديما بباب الإسطبل أو باب السلسلة أو باب الميدان. ويعرف الآن بباب العزب. وقد ورد سهوا في الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة أنه كان يعرف أيضا بباب الانكشارية، والواقع أن باب الانكشارية هو باب آخر تكلمت عليه في الحاشية الخاصة بباب المدرج من هذا الجزء. وأضيف إلى ما سبق ذكره أن الجبرتي ذكر في كتاب عجائب الآثار (ص ١٩٢ ج ١) أن الأمير رضوان كتخدا الجلفي هو الذي عمر باب القلعة الذي بالرميلة المعروف بباب العزب، وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين والزلاقة، وذلك في سنة ١١٦٠ هـ = ١٧٤٧ م وأضيف أيضا أنه في سنة ١٨٦٨ أي في عهد الخديوي إسماعيل عملت في هذا الباب وفي السور المجاور له من الجهتين البحرية والقبلية إصلاحات عظيمة حفظته بشكله القديم إلى اليوم.

١٥

٢٠

٢٥

وخلَع على الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور الجميع خِلَع أطلس، وخلَع السلطان على جميع أرباب الوظائف ومُدّ لهم سِماطٌ عظيمٌ وعُملت الأفراح الجليلة، وعظُم المهمّ لعقــد آنوك المذكور على بنت بَكْتَمُر الساقى، فعُقِد العقدُ بالقصْر على صَدَاق مبلغُه من الذهب آثنا عشر ألف دينار، المقبوض منه عشرة آلاف دينـار، وأنعم السلطان على ولده آنوك المذكور بإقطاع الأمير مُغْلَطاى المُتَوَفَّى بالعَقَبة .

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر من سنة آثنتين وثلاثين وسبعمائة المذكورة قَدِم الملك الأفضــل ناصر الدين محمــد آبن الملك المؤيّد إسماعيل الأيّوبىّ صاحب حَمَاة بعد وفاة أبيه الملك المؤيّد بها ، وله من العُمُر نحوٌ من عشرين سنة، فأكرمه السلطان وأقبــل عليه ، وكانــ والده لمـا تُوُفّى بحَمَاة أخفى أهلُه موتَه، وسارتْ زوجتُــه أمّ الأفضل هــذا إلى دِمَشْق وترامتْ على الأمير تَنْكِز نائب الشــام ، وقدّمت له جَوْهَرًا باهرًا وسألته فى إقامة ولدها الأفضــل فى سلطنة أبيه المؤيّد بحَمَاة فقبِل تَنْكِز هديّتها ، وكتب فى الحــال إلى الملك الناصر بوفاة الملك المؤيّد، وتضرّع إليه فى إقامة ولِده الأفضل مكانه ، فلمّــا قَدِم البريدُ بذلك تأسّــف السلطان على الملك المؤيّد وكتَب للأمير تَنْكِز بولايته و بتجهيز الأفضل المذكور إلى مصر، فأمَره تَنْكِز فى الحال بالتوجّه إلى مصر، فركب وسار حتى دخلها ومَثَل بين يدى السلطان، وخلَع عليه الملك الناصر فى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر(١) بسلطنة حَمَاة ، وركب الأفضــل من المدرسة المنصوريّة بين القصرين وهو بشِــعار السلطنة وبين يديه الغاشيةُ، وقد نُشِرت على رأسه العصائبُ الثلاث، منها واحد خليفتى أسود وآثنــان سلطانيّان أصفران، وعليه خلعةُ أطلسين بِطرَاز ذهب، وعلى رأسه شَرْبُوش ذهب،

(١) فى التوفيقات الإلهامية أن أوّل شهر ربيع الآخر كان يوم الأربعاء .

وفى وسطه حِياصةُ ذهب بثلاث بِيكَارِيَات(١) وسار فى مَوكب جليل وطلَع إلى القلعة وقبّل الأرض بين يدى السلطان بالقصر، ثم جلس وخلع السلطان على الأمراء الذين مشَوْا بخدمته، وهم : الأمير ألْماس الحاجب وبيبَرْس الأحمدىّ وأيْدُغْمش أميرآخور وطُغَيجى أمير سلاح وتَمُر راس نَوْبة، ألبس كلًّا منهم أطلسين بِطراز ذهب . ثم خلَع على جماعة أُخَر وكان يومًا مشهودا، ولقّبه السلطان بالملك الأفضل، ثم جهّزه إلى بلاده .

ثم حضَر بعد ذلك تَنْكِز نائب الشام إلى القاهرة ليحضرَ عُرْس ابن السلطان الأمير آنوك، وشرَع السلطان فى عَمَل المُهِمّ من أوائل شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وجمع السلطان مَنْ بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهى واستمرّ المُهِمّ سبعة أيام بلياليها . واستدعَى حَريم الأمراء للمُهِمّ، فلمّا كانت ليلة السابع منه حضر السلطان على باب القصر، وتقدّم الأمراءُ على قَدْر مراتبهم واحدا بعد واحد ومعهم الشموع، فكان إذا قَدَّم الواحد ما أحضره من الشمع قبّل الأرض وتأخر حتى انقضت تقادِمُهم، فكان عِدّتُها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطارا، فيها ما عُنِى به ونُقِش نَقْشًا بديعا تُنُوِّع فى تحسينه، وأحسنُها شمعُ الأمير سَنْجَر الجاولى، فإنّه اعتنى بأمره وبعث إلى عملها إلى دِمَشق فجاءت من أبدع شىء. وجلس الأمير آنوك تُجاه السلطان فأقبل الأمراءُ جميعًا وكلُّ أمير يحمِل بنفسه شمعة وخلْفَه مماليكُه تحمل الشمع، فيتقدمون على قَدْر رُتَبهم ويُقبِّلون الأرض واحدا بعد واحد طول ليلهم، حتى كان آخر الليل نهض السلطان وصَبَر حيث مجتمَع النساء، فقامت نساءُ الأمراء بأسْرهنّ وقبّلْن الأرض واحدةً بعد أخرى وهى تُقدِّم

(١) بيكاريات، جمع بيكارية، وهى حلقة من معدن مصفح بالذهب تعلق بالحياصة؛ ولعلها مأخوذة من البيكار المعد للرسم فهى من هذا الوجه تشبهه . (عن دوزى وكترمير) .

ما أحضرتْ من التُّحَف الفاخرة ، حتى آنقضت تقادِمُهنّ جميعًا ؛ رَسَم السلطان برقصهنّ فرقَصْن عن آخرهن واحدة بعد واحدة ، والمغانى تَضرِبْن بالدُّفوف ، والأموال من الذهب والفضة والشُّقَق الحرير تُلْقى على المُغنّيات ، فحَصَل لهنّ ما يجلّ وصفه . ثم زُفّت العَرُوس ، وجلس السلطان من بكْرة الغد وخلَع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف بأسرها ، ورَسَم لكلّ آمرأةِ أمير بتعبية قُماش على قَـدْر منزلة زوجها ، وخلع على الأمير تنكِز نائب الشام وجهّز صحبته الخِلَع لأمراء دِمَشق . فكان هـذا العُرْس من الأعراس المذكورة ، ذُبِح فيـه من الغنم والبقر والخيـل والإوَزّ والدّجاج ما يزيد على عشرين ألفا ، وعُمِل فيـه من السكر برَسْم الحَلْوَى والمشروب ثمانيـة عشر ألف قنطار ، وبلغت قيمةُ ما حَمله الأمير بَكْتَمُر الساقى مع آبنته من الشورة ألف ألف دينار[(١)] ؛ قاله جماعة من المؤرّخين .

ثم آستهمّ السلطان إلى سفر الحجاز الشريف وسافر الأمير أيْدَمُر الخَطِيرى أميرُ حاج المحمل فى عشرين شوّال من السنة ، ونزل السلطان من القلعة فى ثانى عشر شوّال وأقام بسِرْياقوس ، حتّى سار منه إلى الحجاز فى خامس عشرينه ، بعد ما قدّم حُرَمَهُ صحبةَ الأمير طُغَيْتَمُر فى عدّة من الأمراء . وآستناب السلطان على ديار مصر الأميرَ سيف الدين أُلْمَاس الحاجب ورسَم أن يُقيم بداره ، وجعل الأمير آقُبغا عبد الواحد داخل باب القلعة من قلعـة الجبل لحفظ القلعة ، وجعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكَرَك بالقلعة وأمَره ألّا ينزل منها حتّى يحضُر ، وأخرج كلّ أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه ، ورَسَم لهم ألّا يعودوا منها حتى يَرجِـع السلطان من الحجاز . وتوجّه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حَمَاة ، ومن الأمراء جَنْكَلى آبن البابا والحاج آل ملك وبيبرس الأحمدى وبهادُر المُعِزّى وأيْدُغْمُش أمير آخور

(١) يريد بها هدية العرس .

وبَكْتَمُر الساقى وطُقُزْدَمُر وسَنْجَر الجاولى وقَوْصُون وطَايَربُغَا وطُغَاى تَمُر وبَشْتَاك وأرنبغا وطُغجى وأحمد بن بَكْتَمُر الساقى وجَركْتَمُر بن بهادر[1] وطَيْدَمُر الساقى وآقبُغا آص الجاشنكير وطوغان الساقى وطُقْتَمُر الخازن وسُوسُون السّلاح دار وتُلك[2] وبيبغا الشمسى وبيغرا وقُمَارِى وتَمُر المُوسَوِى وأَيْدَمُر أمير جاندار وبَيْدَمُر البَدْرِى وطُقُبُغَا الناصرى وأَيْتَمُش الساقى، وإياز الساقى، وأُلْطُنْقُش[3]، وأَنَس، وأَيدمُر دُقَاق[4]، وطَيبغا[5] المَجْدى، وخير بك[6]، وقُطز أمير آخور[7]، وبَيْدَمُر، وأَيْنبك[8]، وأَيْدَمُر العُمَرِى، ويحيى بن طَايَربُغا، ومسعود الحاجب، ونُوروز وبَحكلى، وبُرلُغى، وبكجا، ويوسف الدَّوادار، وقُطْلُقْتَمُر السلاح دار، وآناق[10]، وساطُلْمُش، وبُغَاتَمُر، ومحمد بن جَنكلى، وعلى بن أيدُغْمُش، وألاجا، وآق سُنقُر، وقَرَا، وعلاء الدين على بن هلال الدولة، وتَمُربُغَا العقيلى، وقُمَارِى الحَسَنِى[11]، وعلى بن أيدَمُر الخطيرى، وطُقْتَمُر اليوسفى، وهؤلاء مقدّمون وطلبخاناه. ومن العشرات على بن السعيدى، وصاروجا النقيب، وآق سُنقُر الرومى، وإياجى الساقى، وسُنقُر الخازن، وأحمد بن بَكْتَمُر، وأرْغُون العلائى، وأرْغُون الإسماعيلى، وتكا[12]، وقُبْجَق[13]، ومحمد بن الخطيرى، وأحمد بن أيدُغْمُش،

(١) فى الأصلين: «جركتمر وبهادر». وتصحيحه عن السلوك والدرر الكامنة.
(٢) فى الأصلين هنا: «وملك». وما أثبتناه عن السلوك وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٣ من هذا الجزء.
(٣) فى أحد الأصلين: «وألطقش». وفى الأصل الآخر: «وأطلقش». وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك والدرر الكامنة.
(٤) فى الأصلين: «وأيدمر ودقاق». وتصحيحه عن الدرر الكامنة والسلوك وتاريخ سلاطين المماليك.
(٥) فى السلوك: «طنبغا المجدى» بالنون بعد الطاء.
(٦) لم يذكر أحد الأصلين هذا الاسم. وفى السلوك: «جناد بك».
(٧) فى الأصلين: «طقز أمير آخور». وتصحيحه عن تاريخ سلاطين المماليك وابن إياس والسلوك والدرر الكامنة.
(٨) فى الأصلين: «وأيك». وتصحيحه عن السلوك وهامش الدرر الكامنة والمنهل الصافى.
(٩) فى أحد الأصلين: «بحكلى». وفى الأصل الآخر: «نوروز الكعكى» وكلاهما تحريف. والصواب ما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك.
(١٠) فى أحد الأصلين: «آنوق».
(١١) فى أحد الأصلين: «الحسينى».
(١٢) فى السلوك: «بكا» بالباء الموحدة بدل التاء.
(١٣) فى الأصل الآخر: «بجق». وفى السلوك: ...

١٥ ٢٠ ٢٥

وطَشْبُغا، وقلنجى[1]. وحجّ مع السلطان أيضا قاضى القضاة جلال الدين القَزْوِينىّ[2] الشافعىّ، وابن الفُرات الحنفىّ وفخر الدين النُّوَيْرِىّ المالكى، وموفّق الدين[3] الحنبلىّ، وكانوا أربعتهم ينزلون فى خَيْمة واحدة، فإذا قُدّمت لهم فَتْوَى كتبوا عليها الأربعة؛ وقدّم السلطانُ الأميرَ أيْتَمُش إلى عَقَبة أيْلة ومعه مائةُ رجل من الحجّارين حتى

٥ وسّعوا طريق العَقَبة وأزالوا وَعْرَها، ومن يومئذ سَهُل صعودُها .

ولما قُرب السلطان من عَقَبة أيلة بلغه اتفاقُ الأمير بَكْتَمُر الساقى على الفَتْك به مع عِدّة من المماليك السلطانية، فتمارض السلطان وعزّم على الرجوع إلى مصر ووافقه الأمراء على ذلك إلّا بَكْتَمُر الساقى، فإنّه أشار بإتمام السفر وشنّع عَوْدَه قبل الحجّ . فعند ذلك عَزَم السلطان على السَّفَر، وسيّر ابنَه آنوك وأُمّه خَوَنْد طُغاى

١٠ إلى الكَرَك صحبةَ الأمير مَلِكْتَمُر السَّرْجَوانِىّ[4] نائب الكَرَك، فإنّه كان قَدِم إلى العقبة ومعه ابنا السلطان الملك الناصر : أبو بكر وأحمد اللّذان كان والدهما الناصر أرسلهما إلى الكَرَك قبل تاريخه بسنين لِيَسْكُنا بها . ثم مضَى السلطان إلى سَفَره وهو محترِز غاية التحرّز، بحيث إنّه ينتقل فى الليل عِدّة مِرار من مكان إلى مكان، ويُخْفِى موضع مَبِيته من غير أن يُظْهِر أحدًا على ما فى نفسه ممّا بلغه عن بَكْتَمُر الساقى إلى

١٥ أن وصل إلى يَنْبُع، فتلقّاه الأشرافُ من أهل المدينة، وقَدِم عليه الشريف أسد الدين رُمَيْثَة من مكة ومعه قُوّاده وحريمُه فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى

(١) فى أحد الأصلين : «وقليجى» . (٢) هو قاضى القضاة محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم جلال الدين القزوينى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٣٩ هـ .

(٣) هو موفّق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقى الربعى المقدسى الحنبلى . ولى

٢٠ قضاء الديار المصرية للحنابلة فى سنة ٧٣٨ هـ فى جمادى الآخرة واستمر إلى أن مات فى المحرم سنة ٧٦٩ هـ . (عن الدرر الكامنة) . (٤) فى أحد الأصلين والدرر الكامنة : «السرخوانى» بالخاء المعجمة . وما أثبتنا عن الأصل الآخر وتاريخ سلاطين المماليك والسلوك .

أن نزل على خُلَيص[1] فرّ منه نحوُ ثلاثين مملوكًا إلى جهة العِراق فلم يتكلّم السلطان ، وسار حتّى قَدِم مكّة ودخلها فأنعم على الأمراء، وأنفق فى جميع مَن معه من الأجناد والمماليك ذَهَبًا كثيرًا، وأفاض على أهل مكّة بالصدقات والإنعام .

فلمّا قضَى النُّسُكَ عاد يريد مصر، وعَرَّج إلى زيارة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بالمدينة فسار حتّى وصلها فلمّا دخلها هبّت بها ريح شديدة فى اللّيل ألقت الخِيَم كلّها وتزايد اضطرابُ الناس واشتدّت ظُلْمة الجوّ فكان أمرا مهولا ؛ فلمّا كان النهار سكَن الريح فَظفِر أمير المدينة بمَن فرّ من المماليك السلطانية نخلع السلطان عليه، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مالٍ وغيره ، وبعث بالمماليك إلى الكَرَك، فكان ذلك آخر العهد بهم .

ثم مَرِض الأمير بَكْتَمُر الساقى وولدُه أحمد ، فمات أحمد فى ليلة الثلاثاء سابع المحرّم سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة، ومات أبوه الأمير بَكْتَمُر الساقى فى ليلة الجمعة عاشر المحرّم بعد ابنه أحمد بيومين وحُمِل بَكْتَمُر إلى عُيونُ القَصَب[2] فدُفِن بها، واتُّهِم السلطانُ أنّه سمّهما . و[ذلك أنه[3]] كان قد عظُم أمرُ بَكْتَمُر، بحيث إنّ السلطان كان معه فى هذه السَّفْرة ثلاثةُ آلاف ومائةُ عَلِيقة، ومعَ بَكْتَمُر الساقى ثلاثةُ آلاف عِليقة، وبلغت عِدّة خيوله الخاصّة مائة طِوَالة [بمائة سايس بمائة سَطْل[3]]، وكان عَلِيق خيول إسطبله دائمًا ألفًا ومائةَ عَلِيقة كلّ يوم ، ومع هذا لم يُقْنِعْه ذلك .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٠ من هذا الجزء .

(٢) عيون القصب، هى منزلة فى طريق الحج المصرى ببلاد الحجاز، تكلم عليها المقريزى فى كتاب السلوك فقال : إنه أدرك فى المنزلة المعروفة بعيون القصب بطريق الحجاز ماء يخرج من بين جبلين يسيح على وجه الأرض فينبت حوله من القصب الفارسى وغيره شىء كثير، ولذلك عرفت بعيون القصب . وتكلم عليها صاحب درر الفرائد المنظمة فقال : إنها منزلة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح . ولا تزال هذه المنزلة بأرض الحجاز قريبة من شاطئ البحر الأحمر بعد العقبة وفى شمال المويلح على بعد ثمانين كيلومترا منها .

(٣) زيادة عن السلوك .

وأخذ يُدَبِّر فى قتل السلطان، وبلغ السلطانَ ذلك بعد أن خرج من القاهرة فتحرّز على نفسه بدُرْبة وعقل ومعرفة ودَهَاء ومَكْر، حتّى صار فى أعظم حجابٍ من بَكْتَمُر وغيره. ثم أخذ هو أيضًا يدبِّر على بَكْتَمُر، وأخذ يلازمه فى الليل والنهار، بحيث إنّ بَكْتَمُر عجز فى الطريق أن ينظُر إلى زوجته، فإنّه كان إذا رَكِب أخذ يُسايره بجانبه

٥ ويكالِمه من غير جفاء، وإذا نزل جلس معه، فإن مضَى إلى خيامه(١) أرسل السلطان فى الحال خلفه، بحيث إنّه آستدعاه — مرّة وهو يتوضّأ — بواحد بعد آخر حتّى كمل عنده آثنا عشر جمدار. فلمّا ثارت الريح بالمدينة قصَد السلطان قتل بكتمر وولده أحمد تلك الليلة وهجموا على ولده أحمد فلم يتمكّنوا منه، وآعتذروا بأنّهم رأَوْا حرامية وقد أخذوا لهم متاعا فمرّوا فى طلبهم، فداخل الصبىّ منهم الفزَع، ثم زاد آحتراز السلطان

١٠ على نفسه، ورَسم للأمراء أن يناموا بمماليكهم على بابه، ولـمّا سار من المدينة عظُم عنده أمر بَكْتَمُر، فلمّا كان فى أثناء الطريق سَقَى أحمدَبن بَكْتَمُر ماءً باردًا فى مسيره، كانت فيه منيّته، ثم سَقَى بَكْتَمُر بعد موت ولده مشروبًا فلحِق بآبنه، وآشتهر ذلك، حتّى إنّ زوجة بَكْتَمُر لـمّا مات صاحت وقالت للسلطان بصوت سَمِعها كلّ أحد: ياظالم، أين تروح من الله! ولدى وزوجى، فأمّا زوجى كان مملوكك، وولدى،

١٥ إيش كان بينك وبينه! وكرّرت ذلك مرارًا فلم يُجِبْها.

قلت: ولولا أنّ الملك الناصر سَقَى ولده أحمد قبله، وإلّا كانت حيلة الناصر لا تتمّ، فإنّ بكتمر أيضا كان آحترز على نفسه وأعلم أصحابه بذلك. فلمـا آشتغل بمُصاب آبنه أحمد آنتهز الملك الناصر الفُرْصة وسقاه فى الحال. وأيضا لو بقى ولده ربمـا وثب حواشى بَكْتَمُر به على السلطان، وهذا الذى قلتُه على الظنّ منّى. والله

٢٠ أعلم. ويأتى أيضا بعضُ ذكر بَكْتَمُر الساقى فى الوَفَيات. انتهى.

(١) فى الأصلين: «إلى خامه».

ثم وصل إلى القاهرة مبشّر الحاج فى ثامن المحرّم سنة ثلاث وثلاثين تُلُك[١] المظفّرى الجمدار وأخبر بسلامة السلطان، فدقّت البشائر وخُلع عليه خلعٌ كثيرة وآطمأنّ الناس بعد ما كان بينهم أراجيف . ثم وصل السلطان إلى الديار المصريّة فى يوم السبت ثامن عشر المحرّم بعد ما خرج معظمُ الناس إلى لقائه ، ومدّ شرفُ الدين النّشو[٢] شقاق الحرير والزّر بفْت[٣] من بين العروستين[٤] إلى باب الإسطبل، فلمّا توسّط بين الناس صاحت العوامّ : هو إيّاه ما هو إيّاه ! بالله آكشف لنا لِثامَك، وأرِنا وجهَك ! وكان قد تلثّم ، فعند ذلك حسَر اللثامَ عن وجهه فصاحوا بأجمعهم : الحمد لله على السلامة ، ثمّ بالغوا فى إظهار الفَرَح به والدعاء له وأمعنوا فى ذلك، فسُرّ السلطان بهذا الأمر، ودخل القلعة ودُقّت البشائر وعُملت الأفراح ثلاثة أيام. وهذه حِجّةُ السلطان الملك الناصر الثالثة ، وهى التى يُضرب بها المثل . وجلس السلطان على كرسيّ المُلك وخلَع على الأمراء قاطبةً . وكان بلغ السلطانَ أنّ أُلْماس الحاجب كان آتّفق مع بَكْتَمُر الساقى على الفَتْك بالسلطان .

قلت : وبكْتَمُر وأُلْماس كلاهما مملوكه ومشتراه . انتهى .

ثم أخذ السلطان يُدبِّر على أُلْماس حتّى قبَض عليه وعلى أخيه قرَا فى العشرين من ذى الحجّة سنة ثلاث وثلاثين، وحُمل قَرَا من يومه إلى الإسكندرية . وسبب معرفة السلطان آتّفاق أُلْماس مع بَكْتَمُر أنّ الملك الناصر لمّا مات بَكْتَمُر الساقى

(١) فى الأصلين : « سنة ثلاث وثلاثين بكتمر المظفرى الجمدار » . وتصحيحه عن السلوك . وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٣ ج ٤ من هذا الجزء . (٢) هو شرف الدين عبد الوهاب آبن التاج فضل الله المعروف بالنشو . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٠ هـ . (٣) الزر بفت : كلمة فارسية مركبة من كلمتين : «زر» ومعناها الذهب ، و «بفت» آسم مفعول من الفعل الفارسيّ بافتن ومعناها منسوج ، فمعنى زر بفت : نسيج مذهب وهو الديباج أو السندس . (عن القاموس الفارسيّ الانجليزى لاستينجاس) . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء .

مُحبته بطريق الحجاز آحتاط على موجوده ، فكان من جملة الموجود جَمْدانٌ[1] ففتحه السلطان فوجد فيه جَوَابا من الأمير أَلْمَاس إلى بَكْتَمُر الساقى يقول فيه : إنّنى حافظ القاهرة والقلعة إلى أن يَرِدَ علىّ منك ما أعتمده، فتحقّق السلطان أَمْرَه وقبض عليه ، ولمّا قبضَ السلطان على أَلْمَاس أَخَذ جميع أمواله وكان مالًا جزيلا إلى الغاية ، فإنّه كان ولى الحجوبيّة وباشرها وليس بالديار المصرية نائب سلطنة ، فإن الملك الناصر لم يُوَلّ أحدًا معه بعد الأمير أَرْغُون. فعظُم أمْرُ أَلْمَاس فى الحجوبيّة لذلك فصار هو فى محلّ النيابة ، ويركبون الأمراء وينزلون فى خدمته ويَجلِس فى باب القلعة فى منزلة النائب، والحجّابُ والأمراء وقوفٌ بين يديه . وكان أَلْمَاس رجلًا طُوَالًا غُتْمِيًّا لا يفهم بالعربية ، يفعل ذلك عامدًا لإقامة الحُرمة ويُظهِر البخل ولم يكن كذلك ، بل كان يفعل ذلك خوفًا من الملك الناصر، فإنّه كان يُطْلِق لمماليكه الأرباع والأملاك المثمّنة وليس البخيل كذلك . ويأتى أيضا من ذكره شيءٌ فى الوَفَيات .

ثم فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة قَدِم تَنْكِز إلى القاهرة وأقام بها أيّاما ثم عاد إلى محلّ ولايته فى يوم الخميس ثالث شهر رجب من سنة أربع وثلاثين وسبعمائة . وفى هذه السنة أفرج السلطان عن الأمير بهاء الدين أَصْلَم وعن أخيه قُرْمُجِى وعن بَكْتُوت القَرَمَانى ، فكانت مدّة آعتقال أَصْلَم وقرمُجِى ست سنين وثمانية أشهر . ثم خلَع السلطان على الأمير آقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بنيابة طرابُلُس بعد موت قَرَطاى .

قلت : وإخراجُ آقوش نائب الكرك المذكور من مصر لأمور ، منها : صحبته مع أَلْمَاس ، ومنها ثِقَلُه على السلطان ، فإنّ السلطان كان يُجِلُّه ويحترمه ويقوم له

(١) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . وفى كترمير والسلوك . « حومدان » . وهما بمعنى الجراب الذى تحمل فيه الكتب والدراهم (عن دوزى) .

كلمّا دخَل عليه لِكبر سِنّه . ومنها معارضته للسلطان فيما يرومه ، فأخرجه و بعث له
بألف دينار وخرج معه بَرْسُبُغَا[1] مسفّرا له ، فلمّا أوصله إلى طرابُلُس وعاد خَلَع عليه
السلطان ، وآستقرّ به حاجبًا صغيرًا . وخَلع على الأمير مسعود [بن أوحد][2] بن الخطير
[بدر الدين][2] وآستقرّ حاجبًا كبيرًا عوضًا عن أُلْمَاس . وورد الخبر على السلطان من
بغداد بأنّ صاحبها أَمَر النصارَى بلُبْس العمائم الزُّرق واليهود الصُّفْر آقتداءً بالسلطان ٥
الملك الناصر بهذه السُّنّة الحسنة .

وفى يوم الأحد رابع المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبعمائة قبَض السلطان
على الطواشى شُجاع الدين عَنْبَر السَّحَرْتى مقدّم المماليك بسِعاية النَّشْو ناظر الخاصّ ،
وأنعم بإقطاعه[3] وهى إمْرة طبلخاناه على الطواشى سُنْبُل ، وآستقرّ نائب مقدّم المماليك
وخلَع على الأمير آقبغا عبد الواحد وآستقرّ مقدّم المماليك السلطانية مضافًا للأُستادارية ١٠
عِوضًا عن عَنْبَر السَّحَرْتى كما كان أوّلا . فلمّا تولّى آقبغا تَقْدِمَة المماليك عَرَض الطباق
وَوَضع[4] فيهم وضَرَب جماعة من السِّلاح داريّة والجَمَدارية[5] لأمتناعهم عنه ونفاهم إلى
صَفَد فأعجب السلطانَ ذلك . وفى شهر رجب من سنة خمس وثلاثين أفرَج السلطان
عن الأمير بيبَرْس الحاجب ، وكان له فى السجن من سنة خمس وعشرين ، وأفرَج
أيضا عن الأمير طُغُلُق[6] التتارى ، وهو أحد الأمراء الأشرفيّة وكان له فى السجن ١٥
ثلاث وعشرون سنة فمات بعد أسبوع من قدومه .

---

(١) هو سيف الدين برسبغا بن عبد الله الناصرى الحاجب ، ولاه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون الجوبية . توفى سنة ٧٤٢ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) . (٢) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك . (٣) عبارة السلوك : «وأنعم بطبلخاناه على الطواشى سنبل قلى وآستقر نائب المقدم» . وعبارة تاريخ سلاطين المماليك : «وأخذ منه إقطاعه وإمرته» . ٢٠
(٤) فى الأصل الآخر : «ووضع فيهم فضرب جماعة ...إلخ» . (٥) فى السلوك : «لأمتناعهم فى إخراج أتباعهم» . (٦) فى الدرر الكامنة أن طغلق هذا كان من مماليك الأشرف خليل ، ثم تأمر وقبض عليه الناصر بعد فرار المظفر بيبرس فسجنه ، فلما كان فى رجب سنة ٧٣٧ أفرج عنه فمات بعد أسبوع .

قلت : لعلّه مات من شدّة الفرح .

ثم أفرج السلطان عن الأمير غانم بن أَطْلَس خان[(١)] ، وكان له فى السجن خمس وعشرون سنة ، وأفرج عن الأمير بُرُلْغى[(٢)] الصغير وله فى السجن ثلاث وعشرون سنة ، وأفرج عن جماعة أخر ، وهم : أَيْدَمُر اليُونُسِىّ أحد أمراء البُرْجيّة المظفّريّة والأمير لاچين العُمَرى والأمير طَشْتَمُر أخو بَتْخاص والأمير بيبَرْس العَلَمِى ، وكان من أكابر الأمراء البُرْجيّة من حواشى المظفّر بيبَرْس ، والأمير قُطْلُو بَك الأَوْجاقى[(٣)] والشيخ على مملوك سَلّار والأمير تَمُـر السّاقى نائب طَرابُلُس أحد المنصوريّة ، وكان قُبِض عليه سنة أربع عشرة ، والجميع كان حبسهم فى ابتداء سلطنة الملك الناصر الثالثة بعد سنة عشر وسبعمائة ، وأنعم السلطان على تَمُر الساقى بطبلخاناه بالشام ، وأنعم على بيبَرْس الحاجب بإمرة فى حلب ، وأنعم على طَشْتَمُر بإمرة بدِمَشْق وعلى أَيْدَمُر اليُونُسِىّ وبَلاط بإمْرة فى طَرابُلُس .

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأوّل أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة ، وركِب بشُرْبُوش من إسطبل[(٤)] الأمير قوصون ، وسار من

(١) فى الأصلين : « حاتم بن أطلس خان » . وتصحيحه عن الدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك والسلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من هذا الجزء. (٣) فى تاريخ سلاطين المماليك : «قطلوبك الوشاقى» . (٤) يستفاد مما ذكره المقريزى وغيره عند الكلام على الإسطبلات أن الإسطبل هنا مجموعة من مبان كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتى المماليك لأجل سكنى الأمير هو وأسرته ومماليكه وخيوله ، فكان الإسطبل يشمل قصر السكنى وبيوتا لمماليكه وإسطبلات لخيوله ومخازن لمؤنتها وحفظ سروجها . وهذا الإسطبل هو من هذا النوع ذكره المقريزى فى خططه باسم إسطبل قوصون (ص ٧٢ ج ٢) فقال إنه بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان أحدهما من الشارع بجوار حدرة البقر، والثانى تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة . أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقدار فأخذه منه الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون وأدخل فيه عدة عمائر ما بين دور وإسطبلات فجاء قصرا عظيما .

وذكر مؤلف هذا الكتاب فيما سيأتى فى ص ١٢١ من هذا الجزء أن إسطبل قوصون هو البيت المعد لسكن كل من صار أتابك العساكر، وبابه تجاه باب السلسلة .

الرميلة[1] الى باب القرافة[2]، فطلع إلى القلعة، والأمراء والخاصكية في خدمته، وعمل لهم الأمير قوصون مهمًّا عظيماً في إسطبله. ثم إن السلطان قبض على الأمير جمال الدين

= وورد في الضوء اللامع للسخاوى في ترجمة الأمير يشبك من مهدى الدوادار أنه أخذ بيت قوصون في سنة ٨٨٠ هـ وزاد عليه. ولما عين الأمير فخر الدين أقبردى بن على باى الدوادار أتابكا في سلطنة الملك الأشرف قايتباى سكن في هذه الدار كغيره من الأتابكية.

وبالبحث تبين لى أن إسطبل قوصون مكانه اليوم المنطقة التي تشتمل على (١) القصر الأثرى الباقى إلى اليوم خلف جامع السلطان حسن المعروف بقصر يشبك أو بقصر الأمير أقبردى الدوادار، وقد حرف العامة الاسم الى بردق فأصبح يعرف بقصر بردق. (٢) الأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر التي كانت تعرف بحوش بردق. (٣) الأرض القائم عليها الآن مدرسة عثمان باشا ماهر الواقعة خلف القصر بشارع قره قول المنشية. (٤) الأرض القائم عليها النصف الغربي من عمارة والدة الخديو إسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا المطلة على ميدان صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن بالقاهرة.

(١) يستفاد من مختلف الشواهد الواردة في غضون الحديث عن الرميلة في الخطط المقريزية، وفي تاريخ مصر لابن إياس وفي الخطط التوفيقية أن الرميلة اسم يطلق على المنطقة التي تشمل اليوم ميدان محمد على وميدان صلاح الدين وميدان السيدة عائشة وما بينه وبين ميدان صلاح الدين من مجموعة المبانى الحالية بقسم الخليفة بالقاهرة.

وكانت الرميلة أرضا فضاء وكان بها الميدان السلطانى أو ميدان القلعة الذى كان يسمى قره ميدان أى الميدان الأسود، وكان في الجزء الشمالى منها سوق الخيل تجاه جامع السلطان حسن. والرميلة تعرف الآن بالمنشية حيث ميدان محمد على وصلاح الدين تحت القلعة.

(٢) هذا الباب هو من أبواب القاهرة الخارجية القديمة مثل باب اللوق وباب البحر وباب الحسينية. ويستفاد مما ذكره المقريزى في الجزء الثانى من خططه عند الكلام على السبع قاعات بالقلعة (ص ٢١٢) وعلى دار النيابة (ص ٢١٤) وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨) ومما ذكره مؤلف هذا الكتاب في هذا الجزء من أن جامع وخانقاه قوصون واقعان خارج باب القرافة، ومما ورد في كتاب وقف السلطان الغورى الوارد في الخطط التوفيقية (ج ٥ ص ٦٥)، وكتاب وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى الوارد في الجبرتى (ج ٢ ص ٦)، يستفاد من كل ذلك أن باب القرافة المشار اليه هو بذاته باب القرافة الحالى الواقع في نهاية شارع السيدة عائشة من الجهة القبلية بالقاهرة، ويقال له باب قايتباى، لأن السلطان قايتباى جدد بابه الحالى في سنة ٨٨٩ هـ كما هو ثابت عليه أو باب السيدة عائشة لقربه من جامعها.

وهذا الباب كان يخرج منه أهل القاهرة إلى جبانة (قرافة الإمام الشافعى) والجبانات الأخرى المجاورة لها. ولما فتح شارع الفتح الجديد خلف جامع السيدة عائشة أصبح الترمواى والسيارات والعربات وجميع الناس الذاهبون الى القرافة المذكورة يمرون من شارع الفتح لسعته، وأصبح المرور من باب القرافة المذكورة قاصرا على الراجلين.

آقوش الأشرفىّ المعروف بنائب الكرك، وهو يوم ذاك نائب طرابلس فى نصف جمادى الآخرة وحُبس بقلعة صَرْخَد، ثم نُقل منها فى مستهلّ شوّال إلى الإسكندرية، ونزل النَّشْوُ إلى بيته (١) [بالقاهرة] (٢) وأخذ موجودَه وموجود حريمه وعاقب أُستاداره، وٱستقرّ عوضه فى نيابة طرابُلُس الأمير طَيْنَال. ثم ٱشتغل الملك الناصر بضَعْف مملوكه ومحبوبه أَلْطُنْبُغا المارِدانىّ، وتولّى تمريضه بنفسه إلى أن عُوفى فأحبّ أَلْطُنْبُغا أن يُنشئ له جامعا (٣) تُجاه ربع الأمير طُغْجِى خارج باب زُوَيلة، وٱشترى عِدّةَ دُور من أربابها بغير رضاهم (٤)، فندَب السلطانُ النَّشْوَ لعمارة الجامع المذكور، فطلب النشو أرباب الأملاك وقال لهم: الأرض للسلطان ولكم قيمةُ البناء، ولا زال بهم حتّى ٱبتاعها منهم بنصف ما فى مكاتيبهم من الثمن، وكانوا قد أنفقوا فى عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتدّ لهم النَّشْوُ منها بشىء، وأقام النشو فى عمارته حتّى تمّ فى أحسن هِنْدام، فجاء مصروفه ثلثمائة ألف درهم ونيّف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرُّخام

(١) بيت آقوش الأشرفى، ذكره المقريزى فى خططه بٱسم دار نائب الكرك (ص ٥٥ ج ٢) فقال: إن هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصورى وهى من جملة أرض ميدان القصر. وبالبحث عن هذه الدار تبين لى أنها ٱندثرت وكانت واقعة بشارع خان أبى طاقية فى المسافة التى بين جامع محب الدين أبى الطيب من بحرى وبين عطفة الذهبى من قبلى بقسم الجمالية بالقاهرة.

(٢) زيادة عن السلوك.

(٣) جامع ألطنبغا، ذكر المؤلف أن هذا الجامع تجاه ربع الأمير طغجى خارج باب زويلة، والصواب أنه لم يكن أمام هذا الربع الذى كان مكانه بشارع الحلمية، بل إنه يقع فى شارع التبانة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة خارج باب زويلة كما ذكر المقريزى. وأما ربع الأمير طغجى فكان واقعا بجوار المدرسة الطغجية التى تعرف اليوم بزاوية الشيخ عبد الله والست ملكة بشارع الحلمية، ولا علاقة للجامع المذكور بتلك الجهة. وقد ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع الماردانى (ص ٣٠٨ ج ٢) فقال: إن هذا الجامع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة. فلما كان فى سنة ٧٣٨ هـ أخذت الأماكن اللازمة لإقامة الجامع على أرضها من أربابها وتولى شراءها النشو ولم ينصف فى أثمانها، ثم هدمها وبنى فى مكانها الجامع فجاء من أحسن الجوامع، وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠ هـ.

وهذا الجامع لا يزال موجودا إلى اليوم وعامرا بإقامة الشعائر الدينية بشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة.

(٤) فى السلوك: «من أربابها برضاهم».

وغيره . وخطب به الشيخ ركن الدين [عمر بن إبراهيم] (١) الجَعْبَرِيّ من غير أن يتناول له معلوما .

ثمّ جلس السلطان بدار العدل فوجد به رُقْعة تتضمّن الوقيعة في النّشو وكثرة ظُلْمه وتَسَلُّط أقاربه على النـاس وكثرة أموالهم وتعشّق صهره وليّ الدولة لشابّ تركيّ ، فكان قبـل ذلك قد ذكر الأمير قَوْصون للسلطان أن عُمَيْراً الذي كان شـغف به الأمير أَلْمـاس قد وَلِـع به أقاربُ النّشو وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة ، فلم يقبـل السلطانُ فيـه قولَ الأمراء لمعرفته لكراهتهم له ، فلمّا قُرِئت عليـه القصة قال : أنا أعرف مَنْ كتبها ، وآستدعى النّشو ودفعها [إليه] (٢) وأعاد له ما رماه به الأمير قَوْصُون ، فحلف النّشوُ على براءتهم من هذا الشاب ، وإنّمـا هذا ومثله ممّـا يفعله حواشي الأمير قَوْصُون ، وقصدُ قَوْصُون تغيُّر خاطر السلطان عليّ وبكى وآنصرف . فطلب السلطان قَوْصُونَ وأنكر عليـه إصغاءه لحواشيه في حقّ النشو وأخبره بحَلِف النّشو ، فحلف قَوْصُونُ أنّ النّشوَ يَكذِب في حَلِفه ولئن قَبض السلطانُ على الشاب وعُوقِبَ لَيَصْدُقَنّ السلطانَ فيمَن يُعاشره من أقارب النّشو ، فغضِب السلطان وطلب أمير مسعود الحاجب وأمَره بطلب الشابّ وضَرْبه بالمقارع حتّى يعترِف بجميع مَنْ يصحبُه وكتابة أسمائهم وألزمه ألّا يكتُمَ عنه شيئا ، فطلبه وأحضر المعاصير فأملى عليه الشابُّ عِدّةً كثيرةً من الأعيان ، منهـم : وليّ الدولة فخَشِيَ مسعود على الناس من الفضيحة ، وقال للسلطان : هذا الكذّاب ما ترك أحدًا في المدينة حتّى آعترف عليه ، وأنا أعتقد أنّه يَكْذِب عليهـم ، وكان السلطان حَشِيم النفس يكره الفُحش ، فقال لمسعود : يا بدرَ الدين ، مَنْ ذكر من الدواوين؟ فقال : والله يا خوَنْد ما خَلّى أحدًا من خوفه حتّى ذكَره ، فرسم السلطان بإخراج عُمَـيْر المذكور ووالده إلى غَزّة ،

(١) زيادة عن خطط المقريزي (ج ٢ ص ٣٠٨) . (٢) زيادة عن السلوك .

ورسم لنائبها أن يُقطِعهما خُبزًا بها . وكان ذلك أوّل أنحطاط قَدْر النَّشْو عند السلطان . ثم آتّفق بعد ذلك أن طَيْبُغا[1] القاسمى الناصرىّ ، وكان يسكن بجوار النَّشْو وله مملوك جميلُ الصورة فآعتشر به ولىّ الدولة وغيرُه من إخوة النَّشْو ، فترصد أستاذُه طَيْبُغا حتى هجم يومًا عليهم وهو معهم فأخذه منهم وخرج و بلغ النَّشْوَ ذلك ، فبادره بالشَّكْوَى إلى السلطان بأنّ طَيْبُغا القاسمىّ يتعشّــق مملوكَه ويُتْلِف عليــه ماله ، وأنّه هجم وهو سكرانُ على بيتى وحريمى وقد شَهَر سيفَه و بالغ فى السبّ ، وكان السلطان يمقُت على السكر فأمر فى الحــال بإخراج طَيْبُغا ومملوكَه إلى الشام . وكان السلطان مشغولًا فى هذه الأيام بعمارة قناطر شِبين القَصْر[2] على بحر أبى المُنجَّا[3] فأُنشِئت تسعُ قناطر . ثم توجّه السلطان فى شهر ربيع الآخر من سنة ستّ وثلاثين وسبعمائة إلى الوجه القبلى للصّيد ، ثم عاد إلى القاهرة بعــد أن غاب خمسة وأربعين يوما . كلّ ذلك وأمرُ النَّشْو فى إدبار بالنسبة لمــا كان عليه . ثم جلس السلطان يوما بالمَيْدان فسقَط عليه طائرُ حمــام وعلى جَناحه ورقةٌ تتضمن الوقيعــةَ فى النَّشْو وأقاربه والقَــدْح فى السلطان بأنه قد أخرب دولته ، فغَضِب السلطان غضبًا شــديدا وطلب النَّشْو

(١) فى الســلوك : « طنيغا القاسمى » بالنون والباء . (٢) قناطر شبين القصر ، ذكر آبن إياس هــذه القناطر فى كتاب تاريخ مصر فقال فى حوادث ســنة ٧٣٥ هـ : فى هذه السنة رسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعمارة قنطرة على بحر أبى المنجا عند شبين القناطر .

وأقول (أوّلا) : إن شبين القصر هى التى تعرف اليوم بآسم شبين القناطر قاعدة مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر ، وعرفت بشبين القناطر نسبة إلى القناطر المذكورة . (ثانيا) إن القناطر التى أنشأها الملك الناصر كانت واقعة على ترعة الشرقاوية (بحر أبى المنجا سابقا) فى المكان الذى يمر عليه اليوم كوبرى السكة الحديدية الموصلة ما بين قليوب والزقازيق . وقد تراءى للهندسين فى عهد محمد على باشا الكبير تعديل موقع هــذه القناطر فهدموها وأقاموا بدلا عنها قنطرة أخرى إلى جهة الترب فى القطعة الفاصــلة بين ترعة الشرقاوية وبين بحر الخليلى وهى المعروفة الآن بقنطرة فم الخليلى (آمتداد بحر أبى المنجا) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . وأضيف إلى ما سبق أن بحر أبى المنجا مكانه اليوم ترعة الشرقاوية من فمها القــديم إلى شبين القناطر ثم بحر الخليلى إلى ناحية ميت بشار ثم بحر أبى الأخضر إلى نهايته بترعة الوادى .

وأوقفه على الورقة وتمّر عليه لكثرة ما شُكِىَ منه، فقال النّشْو : يا خَوَنْد، الناس معذورون وحقّ رأسك ! لقد جاءنى خبرُ هذه الورقة ليلةَ كُتِبت ، وهى فِعْلُ المعلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها فى بيت الصّفِىّ كاتب الأمير قَوْصُون، وقد آجتمع هذا وأقاربُه فى التدبير علىّ ، ثم أخذ النّشْو يُعرِّف السلطان ما كان من أمر سعيد الدولة فى أيّام المظفّر بيبرس الجاشنكير وأغراه به حتّى طلبه وسلّمه إلى الوالى علاء الدين علىّ بن المَرْوانِىّ[(1)]، فعاقبه الوالى عقوبةً مؤلمة . ثم طلب السلطان الأمير قَوْصُون وعنّفه بفعل الصّفِىّ كاتبه، ثم تتّبع النّشْو حواشى أبى شاكر وقبض عليهم وسلّمهم إلى الوالى وخرّب بيوتهم وحرثها بالمِحْراث ، وآشتدّت وطأة النّشْو على الناس وآستوحش الناسُ منه قاطبةً، وصار النّشْوُ يدافع عن نفسه بكلّ ما يمكن والمقاديرُ تُمْهِله .

ثم بَدَا للسلطان أن ينقُل الخليفة من مناظر الكَبْش إلى قلعة الجبل فنُقِل فى ثالث عشرين ذى القعدة من سنة ستّ وثلاثين . والخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان، وسكن الخليفة بالقلعة حيث كان أبوه الحاكم نازلًا بُرْج السّبّاع[(2)] بعياله ، ورُسم على الباب جاندار بالنّوْبة، وسكن آبنُ عمّه إبراهيم فى بُرْج بجواره بعياله، ورُسم عليه جاندار آخر ومُنِعا عن الآجتماع بالناس، كلّ ذلك لأمرٍ قيل .

ثمّ إن السلطان فى سابع عشر محرّم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة عقد عَقْدَ آبنه أبى بكر على آبنة الأمير سيف الدين طُقُزْدَمُر الحموىّ الناصرى أمير مجلس بدار الأمير قَوْصون . ثم قَدِم الأمير تَنْكِز نائب الشام ثانى شهر رجب من سبع وثلاثين المذكورة

(1) فى الأصلين : «ابن البروانى» . وتصحيحه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك .

(2) برج السباع ، بالبحث تبين لى أن هذا البرج هو أحد أبراج قلعة القاهرة فى سورها الشرقى، وقد هدم وقت تجديد السور فى أيام الملك الظاهر برقوق .

على السلطان وهو بسِرْياقوس فخلَع عليه وسافر فى ثانى عشرينه إلى محلّ ولايته .
ثم فى هذه السنة زاد ظُلْمُ النَّشْو على التّجّار، ورَمَى على التّجار الخشب بأضعاف ثمنه، فكثُرت الشَّكْوَى منه إلى أن توصّل بعض التجار لزوجة السلطان خَوَنْدطُغاى أمّ آنوك، وقال لها : رَمَى علىّ النَّشْوُ خَشَبًا يُساوِى ألفى درهم بألفى دينار، فعرّفت أمُّ آنوك السلطانَ بذلك، فأمر السلطان بطلب التاجر وقد آشتدّ غضبُه على النَّشْو ٥
وبَلَغ النَّشْوَ الخبرُ، ففى الحال أرسل النَّشْوُ رجلاً إلى التاجر وسأله فى قرْض مبلغ من المال، فعرّفه التاجر أمْرَ الخشب وما هو فيه من الغرامة، فقال له الرجل : أرِنى الخشب فإنى محتاج إليه، فلما رآه قال : هذا غرضى وآشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر، وفَرِح التاجرُ بخَلاصه من الخشب وأشهد عليــه بذلك، وأخذ الخشبَ
وأتى بالمُعــاقدة إلى النَّشْو، فأخذها النَّشْوُ وطَلَع إلى السلطان من فوْره، وقال ١٠
للسلطان : يا مولانا السلطان، نزلتُ آخُذ الخشب من التاجر وجدتُه قد باعه بفائدة ألف درهم، فلم يُصَدِّقه السلطان وعَوّق النَّشْوَ وقد آمتلأ عليه غضبًا، فطلب التاجرَ وسأله عمّا رماه عليه النَّشْوُ من الخشب فآعترّ التاجر بأمّ آنوك وأخذ يقول : ظلمنى النَّشْــوُ وأعطانى خشبًا بألفى دينــار يُساوِى ألفى درهم، فقال له السلطان : وأين
الخشب ؟ فقال : بعتُه بالدَّيْن، فقال النَّشْوُ : قل الصحيح، فهذه معاقدتك معه، ١٥
فلم يجد التاجر بُدًّا من الاعتراف، فحَنِق عليه السلطان وقال له : ويلك ! تقيم علينا القالة، وأنت تبيع بضاعتنا بفائدة؛ وسلّمه إلى النشو وأمره بضربه، وأَخْذ الألفى دينار منه مع مثلها، وعظُم عنده النَّشو وتحقّق صدق ما يقوله، وأن الذى يَحْمِل الناسَ على التكلُّم فيه الحسد . ثم عبَر السلطان إلى الحريم وسبَّهُنّ وعرّفهنّ بمــا جَرى من
كَذِب التاجر وصِــدق النَّشْو، وقال : مسكين النشــو، ما وجدتُ أحدا يحبّه . ٢٠
ثم أفرج السلطان عن الأمير طُرُنْطاى المحمّدى بعد ما أقام فى السجن سبعا وعشرين

سنة وأُخْرِج إلى الشام . ثم في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان رَكِب النَّشْو على عادته في السَّحَر إلى الخدمة فاعترضه في طريقه عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي[1] المعزول عن ولاية قُوص، فضربه بالسيف فأخطأ رأسَ النَّشْو وسقطت عمامتُه عن رأسه، وقد جُرِح كَتِفُه وسقَط على الأرض ونجا الفارِسُ بنفسه، وفي ظنّه أن رأس النَّشْو قد طاح عن بدنه لِعظَم ضربه، وبلغ السلطانَ ذلك فَغضِب ولم يحضُر السِّماط، وبعث إلى النَّشْو بعدّة من الجَمَدارية والجرايحية فقُطِّبَت ذراعُه بست إبر وجبينُه باثنتي عشرة إبرة، وألزم والي القاهرة ومصر بإحضار غَريم النشو. وأغلظ السلطان على الأمراء بالكلام، وما زال يشتدُّ ويحتدُّ حتّى عادت القُصّادُ بسلامة النَّشْو فسكَن ما به؛ ثم بعث النَّشْوُ مع أخيه رِزْق الله[2] إلى السلطان يُعلِمه بأن هذا من فِعل الكُتّاب بموافقة لؤلؤ[3]. فطلب السلطانُ الوالي وأمَره بمعاقبة الكُتّاب الذين هم في المصادرة مع لؤلؤ حتى يعترفوا بغَريم النَّشْو. وكان السلطان قد قَبض على لؤلؤ وكُتّابه وصادره قبل تاريخه بموافقة[4] النَّشْو، فنزل الوالي وعاقب لؤلؤًا وضربه ضربا مُبرِّحًا، وعاقب المُعَلِّم أبا شاكر وقرموطًا عقابًا شديدا. فلم يعترفوا بشيء. وعُوفِي النَّشْوُ وطلَع إلى القلعة وخلع السلطان عليه، ونزل من القلعة بعد أن رتّب

(١) في الدرر الكامنة : « عبد المؤمن بن عبد الوهاب البغدادى المعروف بابن المجير التاجر الموصلي الأصل البغدادي الرافضي ، قدم القاهرة فقربه الناصر وعمل عنده ثم أبعده إلى قوص فاستقر بها واليا عليها . مات في أواخر شعبان سنة ٧٤٢ هـ . (٢) هو رزق الله بن فضل الله مجد الدين بن تاج أخو النشو ، كان نصرانيا ينوب عن أخيه إذا غاب ، وكان فيه ميل إلى المسلمين . ثم أسلمه السلطان في سنة ٧٣٦ هـ توفي سنة ٧٤٠ هـ (عن الدرر الكامنة وتاريخ ابن الوردي) . (٣) هو لؤلؤ بن عبد الله الحلبي الأمير بدر الدين ضامن حلب . ثم ولي شدّ الدواوين بالقاهرة فساءت سيرته وضم وزاد في الظلم إلى أن عزل وأخرج إلى حلب . مات في سنة ٧٤٢ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي) .

(٤) في الأصلين : (بمرافعة النشو) . وما أثبتناه عن السلوك .

السلطان المقدّم إبراهيم بن أبى بكر بن شدّاد بن صابر[1] أن يَمشى فى ركابه ومعه عشرة من رجاله فى ذَهابه و إيابه، ثم قبَض النَّشْوُ بعد ذلك على [تاج الدين][2] آبن الأزرق وصادره حتّى باع أملاكه، وكان من جمـلة أملاكه مِلْكٌ بشاطئ النيـل، فآشتراه منه الأمير عزّ الدين أَيْدَمُر الخَطِيرىّ، وكان بجانبه ساقيةٌ فهَدَم الخطيرى الدار والساقية وعمرهما جامعا بخُطّ[3] بولاق على شاطئ النيل .

قلت : وكان أصل موضع هذا الجامع المذكور أنّه لمـّا أُنْشئت العمائر ببولاق عَمّر الحاج محمد بن عِزّ الفراش بجوار الساقية المذكورة داراً على النيل، ثم آنتقلت بعـد موته إلى آبن الأزرق هـذا فكانت تُعرف بدار الفاسقين ، من كثرة آجتماع النصارَى بهـا على ما لا يُرْضِى الله تعالى ، فلمّا صادره النَّشْو باعها فيما باعه فآشتراها الخَطِيرى بثمانية آلاف درهم ، وهَدَمها وبَنى مكانها ومكانَ الساقية جامعا أنفق فيه أموالًا جزيلةً فى أساساته مخافةً من زيادة النيل، وأخذ أراضى حوله من بيت المال، وأنشأ عليها الحوانيتَ والرِّباع والفَنادق . فلمّـا تمّ بناؤه قَوِىَ عليه ماءُ النيل فهَدَم جانبًا منه فأنشأ تُجاهه زريبة رمى فيهـا ألف مَرْكَب موسوقة بالحجارة، قاله الشيخ تقىّ الدين المقريزى رحمـه الله وهو حجة فيما ينقُله . لكن أقول لعله وَهِمَ فى هـذا وأراد أن يقول : وسَـقْ ألف مركب بالحجارة فسبَق قلمُه بمـا ذكرناه ، قال : وسُمّى هـذا الجامع بجامع التوبة، وجاء فى غاية الحسن، فلما أُفْرِج عن آبنِ الأزرق من المصادرة آدّعَى أنّه كان مُكْرَهًا فى بيـع داره، فأعطاه الأميرُ أَيْدَمُر الخَطِـيرىّ

(١) كان أصله من الغربية، ولى أبوه تقدمة بالمحلة . ثم ترقى حتى ولى تقدمة الدولة، وآشتهر فى دولة الناصر وتمكن جدا بحيث إنه كان يحدث مع السلطان بغير واسطة . مات تحت العقوبة فى صفر سنة ٧٤٢هـ . (عن الدرر الكامنة) . (٢) زيادة عن خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣١٢) .

(٣) هذا الجامع هو المعروف بجامع الخطيرى بشارع فؤاد الأول ببولاق مصر. وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٢٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ثمانيــة آلاف درهم أُخرى حتى آسترضاه ، ولا يكون جامعه بنى فى أرض مُكْرَهَة انتهى . وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى أمر الملك الناصر .

وأمّا النشو فإنّه لا زال على آبن الأزرق هذا حتّى قَبَض عليه ثانيا وعاقبه حتى مات، وذلك فى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

٥ ثمّ فى سنة ثمــانٍ وثلاثين وسبعمائة أنعم السلطان الملك الناصر فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمــائتى ألف دينار مصريّة، وهم : قَوْصُون وأَلْطُنْبُغَا المــاردانىّ ومَلِكْتَمُر الحجازىّ و بَشْتَك . وفى هذه السنة وُلِد للسلطان آبنه صالح من بنت الأمير تَنْكِز نائب الشام . فعَمِل لها السلطان بَشْخَاناه[1] ودائر بيت زَرْكَش، وتكملة البَذْلة من المخــدّات والمقاعد بمــائتى[2] ألف دينار وأربعين ألف دينار، وعَمِل لهــا الفَرَح سبعة أيام . وفى هــذه السنة وقَع للملك الناصر غريبة، وهو أنّه آستدعَى من بلاد ١٠ الصعيد بألفى رأس من الضّأن، وآستدعَى من الوجه البحرىّ بمثلها لتتمّة أربعة آلاف رأس. وشرع السلطان فى عَمَل حُوش[3] برسمها و برسم الأبقار البُلْق ، فوقَع آختياره على موضع بقلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قُطعت منه الحجارة لعمارة القاعات

(١) بشخاناه : الكلة (الناموسية) المزركشة (عن دوزى) . (٢) فى السلوك : « بمائة ألف وأربعين ألف دينار » . (٣) ذكره المقريزى فى خططه بآسم الحوش بقلعة الجبل ١٥ (ص ٢٢٩ ج ٢) فقال : كان موضع هذا الحوش حفرة واسعة مساحتها أربعة أفدنة ، وكانت عميقــة بسبب ما قطع من الأحجار لعمارة قاعات القلعة ، حتى صارت غورا كبيرا . وفى سنة ٧٣٨ﻫ أمر الملك الناصر محمــد بن قلاوون بردم هذه الحفرة فجمعوا لذلك عددا عظيما من الرجال ، وآستعملت معهم الشدة فتم ردم الحفرة وتسوية أرضها فى مدة ٣٦ يوما . ثم أحضروا للملك الناصر من بلاد الصعيد ومن الوجه البحرى ٢٠ ألفى رأس غنم وكثيرا من الأبقار، نزلت كلها فى هــذا الحوش من القلعة . ثم بطل آستعماله للحيوانات . فى أيام الملك الظاهر برقوق كان يحتفل فيه بعمل المولد النبوى الشريف . و بالبحث تبين لى أن هــذا الحوش مكانه اليوم القسم المنخفض من مبانى القلعة فى الجهة القبلية الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كتخدا ، وهو قاعة كبيرة تسمى قاعة العدل ، أنشأها محمد على باشا الكبير فى سنة ١٢٢٩ﻫ . وكان يجلس فيها الكتخدا أى وكيل الوالى لنظر أمور الدولة ومصالح النــاس ، و يوجد أيضا فى الحوش المذكور دار ٢٥ الضرب القديمة المجعولة الآن مخازن لدار المحفوظات ، وكلها داخل سور القلعة بالقاهرة .

التى بالقلعة حتّى صار غَوْرًا عظيماً، فطلب كاتبَ الجيش ورتّب على كلّ من الأمراء المقدّمين مائة رجل ومائة دابّة لنقل التُّراب، وعلى كلّ من أمراء الطبلخاناه بحسب حاله . وأقام الأمير آقْبُغا عبد الواحد شادا وأن يُقيم معه من جهة كلّ أمير أُسْتادارُه بعِـدّة من جنده . وألزم الأسْرَى بالعمل . ورَسَم لوالى القاهرة بتسخير العامّة ، فنصب الأمير آقْبُغَا خَيْمَته على جانب الموضع، وآستدعَى استاداريّة الأمراء وآشتدّ عليهم، فلم يَمْض ثلاثة أيام حتّى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، ونزل كلُّ أُسْتادار بخَيْمته،ومعه دوابُّه ورجالُه فقسمت عليهم الأرضُ قِطَعاً معيّنة لكلّ واحد منهم، بفدُّوا فى العمل ليلًا ونهارًا وآستحثهم آقْبُغا المذكور بالضرب، وكان ظالمًا غَشوما، فعسف بالرجال وكلّفهم السُّرعة فى أعمالهم من غير رُخْصة ولا مكّنهم [من](١) الأستراحة، وكان الوقت صيفاً حارًّا فهلَك جماعة كثيرةٌ منهم فى العمل لعَجْز قدرتهم عمّا كُلِّفوه . ومع ذلك كلّه والولاةُ تُسخِّر من تَظْفَرُ به من العامّة وتسوقه إلى العمل ، فكان أحدهم(٢) إذا عجز ألقى بنفسه إلى الأرض، رَمَى أصحابُه عليـه التّراب فيموت لوقته . هـذا والسلطان يحضُر كلّ يوم حتّى ينظُرَ العمل ، وكان الأمـير أَلْطُنبغا المـارِدانى قد مَرِض وأقام أياما بالمَيْدان(٣) على النيـل حتّى عُوفِى وطلَع إلى القلعة من باب القرافة، فآستغاث به الناس وسألوه أن يخلِّصهم من هـذا العمل، فتوسّط لهم عند السلطان، حتى أعفى الناسَ من السُّخَر وأفرج عمّن قُبِض عليه منهم، فأقام العمل ستة وثلاثين يوما إلى أن فُرِغ منه ، وأُجْرِيَت إليه المياه، وأُقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البُلْق و بُنِيت به بيوت للإوز وغيرها .

---

(١) زيادة عن السلوك . (٢) عبارة السلوك : « وتسوقه إلى العمل فينزل به من البـلاء مالا قبل له به، ولا عهد له بمثله ، وكان أحدهم إذا ألقى نفسه رمى أصحابه عليه التراب فمـات لوقته » .

(٣) المقصود هنا الميدان الناصرى الذى أنشأه الملك الناصر على النيل بأرض بستان الخشاب . وسبق التعليق عليه بالحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء .

قلت : لعلّ هذا الموضع يكون هو الحوش الذى يلعب فيه السلطان بالكُرة تحت قاعة الدهيشة[١] . والله أعلم . وعند فراغ هذا الحوش آستدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطًا جليلًا، وخلع على جماعة ممّن باشر العمل وغيرهم .

ثم أنشأ السلطان لمملوكيه : الأمير يَلْبُغَا اليَحْيَاوى ولأمير أَلْطُنْبغا الماردانى لكلّ منهما قَصْرًا[٢] تجاه حمّام الملك السعيد قريبًا من الرُّمَيْلة تجاه القلعة ،وأخذ من إسطبل الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور قطعةً ، ومن إصطبل الأمير قَوْصُون[٣] قطعةً ، ومن إصطبل طَشْتَمُر الساقى قطعةً ، ونزل السلطان بنفسه حتّى قرّر أمره ، ورسم السلطان للأمير قَوْصُون أن يَشْتَرِىَ الأملاك التى حول إصطبله ويُضيفها فيه . ثم أمر السلطان أن يكون بابا الإصطبلين اللذين أمر بإنشائهما لِيَلْبُغَا وأَلْطُنْبُغا تجاه حمّام الملك السعيد، وأقام الأمير آقْبُغا عبد الواحد شادّ عمارة القصرين والإصطبلين المذكورين .

قلت : أمّا إصطبل قَوْصُون فهو البيت المُعَدّ لسكن كلّ من صار أتابَك العساكر فى زماننا هذا ، الذى بابه الواحد تجاه باب السلسلة[٤] . وأمّا

(١) سيأتى التعليق عليها فى الكلام على ولاية الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون سنة ٧٤٥ هـ .

(٢) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على قصر يلبغا اليحياوى (ص ٧١ جـ ٢) أن الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر ببناء قصرين أحدهما لسكنى الأمير يلبغا اليحياوى والثانى لسكنى الأمير ألطنبغا المارداني لتزايد رغبته فيهما وعظيم محبته لهما ، وليكونا بالقرب من قلعة الجبل .

وفى سنة ٧٣٨ هـ آختار الملك الناصر مكان هذين القصرين بسوق الخيل من الرميلة تحت القلعة تجاه حمام الملك السعيد وأمر بهدم الدور والإصطبلات التى كانت قائمة فى ذلك المكان وقام بتكاليف العمارة من ماله الخاص . وقد بدأ بناء قصر يلبغا اليحياوى فجاء فى غاية الحسن . وفى سنة ٧٥٧ هـ هدم السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون هذين القصرين وأدخل أرضهما فى مدرسته .

وبما أن مدرسة السلطان حسن لا تزال قائمة إلى اليوم بآسم جامع السلطان حسن بميدان محمد على بالقاهرة ، فمن ذلك يعلم مكان هذين القصرين .

وأما حمام الملك السعيد بركة خان فقد آندثر، وكان واقعا فى الجهة الشرقية من عمارة والدة الخديو إسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا المطلة على ميدان صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن .

(٣) سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من هذا الجزء .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من هذا الجزء .

بيت طَشْتَمُر[(١)] الساقى حمّص أخضر، هو البيت الذى الآن على مِلْك الأمير جَرِباش المحمّدى الأَتَابَك[(٢)]، الذى بابه الواحد من حدرة البقر، و بيت أَيْدُغْمُش[(٣)] أمير آخور لعلّه يكون بيت مَنْجَك اليُوسُفىّ الذى هو الآن على مِلْك تَمُربُغا الظاهرىّ رأس نوبة[(٤)] النُّوَب .

---

(١) هــذا البيت هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بٱسم دار البقر (ص ٦٨ ج ٢) فقال إن هذه الدار خارج القاهرة فيما بين قلعة الجبل و بركة الفيل بخط حدرة البقر ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون دارا و إصطبلا للأبقار التى برسم السواقى السلطانيــة ، وعرفت بدار الأمير طقتمر الدمشقى ثم عرفت بدار الأمير طشتمر حمص أخضر، ثم قال المقريزى وكانت باقية إلى زمنه .

و بالبحث تبين لى أن هــذا البيت أو دار البقر كانت واقعة فى المنطقة التى تحد اليوم من الغرب بشارع الحلمية فيما بين زاوية الشيخ عبد الله و بين مدخل شارع المدفر (المظفر) ومن الجنوب شارع المدفر وهــذا الشارع هو الذى كان يسمى قديما حدرة البقر ولا تزال طريقه منحدرة إلى اليوم ، ومن الشرق بحارة رفعت ، ومن الشمال خط تصورى يمتد من نهــاية حارة رفعت إلى زاوية الشيخ عبد الله السابق ذكرها . و يدخل الآن فى هذه المنطقة دار المرحوم على مبارك باشا صاحب الخطط التوفيقية وعمارته المجاورة لداره بشارع الحلمية ويدخل فيها أيضا حوش الجاموس الذى قسمت أرضه إلى قطع للبناء وأقيم عليها مبان حديثة بشارع المدفر بالقاهرة . (٢) فى أحد الأصلين : «أمير آخور» . (٣) لمــا تكلم المقريزى فى خططه عند الكلام على قصر يلبغا اليحياوى (ص ٧١ ج ٢) قال : إن هــذا البيت هو الذى يعرف بإصطبل أيدغمش أمير آخور . وكان واقعا تجاه حمام الملك السعيد، وأنه من ضمن المبانى التى أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون بهدمها و إدخالها فى قصر يلبغا اليحياوى .

و بمــا أن قصر يلبغا هدمه السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأدخله فى مدرسته المعروفة الآن بجامع السلطان حسن بميدان محمد على بالقاهرة، فيكون بيت أيدغمش ضمن ما دخل فى الجامع المذكور .

و بما أن حمام الملك السعيد الذى يعرف بحمام سوق الخيل كان واقعا فى الجهة الشرقية من عمارة حليل أغا فيكون موقع بيت أيدغمش فى الجزء الشرقى من الجامع المذكور . (٤) فى أحد الأصلين : « الدوادار » . ورأس نوبة : لقب على الذى يحدّث على ممــاليك السلطان أو الأمير، وتنفيــذ أمره فيهم ، ويجمع على رءوس نوب . والمراد بالرأس هنا الأعلى ، أخذا من رأس الإنســان لأنه أعلاه ، والنوبة واحدة النوب وهى المرة بعد الأخرى ، والعامة تقول لاعلاهم فى خدمة السلطان : « رأس نوبة النوب » . وهو خطأ ، لأن المقصــود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها . والصواب فيه أن يقال : رأس رءوس النوب » أى أعلاهم (من صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٥) .

وأمّا القصران والإسطبلان اللّذان عمّرهما السلطان ليَلْبُغَا اليَحْيَاوِىّ وأَلْطُنْبُغَا المَارِدَانِى أخذهما السلطان حسن، وجعل مكانهما مدرسته المعروفة بمدرسة السلطان حسن تُجاه قلعة الجبل. والله أعلم.(١)

---

(١) هذه المدرسة ذكرها المؤلف أيضا فى موضع آخر بهذا الجزء بأسم المدرسة الناصرية الحسنية، وذكرها المقريزى فى خططه بأسم جامع الملك الناصر حسن (ص ٣١٦ ج ٢) فقال: ويعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل. ابتدأ السلطان فى عمارته فى سنة ٧٥٧ هـ وآستمر العمل فيه ثلاث سنوات بدون آنقطاع، ثم قال: وفى هذا الجامع عجائب من البنيان، منها أن ذرع إيوانه الكبير خمس وستون ذراعا فى مثلها، ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمدائن من العراق. ومنها القبة العظيمة التى لا مثيل لها فى البلاد الإسلامية. ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له. ومنها البوّابة العظيمة والمدارس الأربع التى بدورقاعة الجامع.

وأقول: هذا الجامع لايزال موجودا بميدان محمد على تجاه باب العزب من قلعة الجبل، وهو أفخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنيانا وأكثرها فخامة وأحسنها شكلا وأجمعها لمحاسن العمارة وأدلها على عظم الهمة وغاية العناية التى بذلت فى إنشائه. طوله ١٥٠ مترا، وعرضه ٦٨ مترا، ومساحته ٧٩٠٦ متر مربع، وآرتفاعه عند بابه ٣٧,٧٠ مترا. وعلى جوانب صحن الجامع أربعة إيوانات معدّة لإقامة الشعائر الدينية. وفى كل زاوية من زواياه باب يوصل إلى إحدى المدارس الأربع التى شيدها منشئ الجامع ليدرس فى كل مدرسة منها مذهب من المذاهب الأربعة. وإيوانه الشرقى من أكبر الإيوانات، سقفه معقود عقدا ستينيا فوق نصف الدائرة وهو أكبر عقد بنى على إيوان بمصر. والثلاثة الإيوانات الأخرى سقف كل واحد منها على شكل نصف أسطوانة من الحجر، ومساحتها متقاربة، وفى وسط الإيوان الشرقى محراب جميل، وعلى يمينه منبر من الرخام الأبيض، وبجانبى القبلة التى فى الوجهة الشرقية بابان يوصلان إلى القبة العظيمة، مساحتها ٧٥١ مترا مربعا، وآرتفاع جدرانها ٣٠,٢٠ مترا إلى مبدأ القبة التى تبلغ ذروتها ٤٨ مترا. وبالجانب القبلى الشرقى المنارتان العظيمتان التى يبلغ آرتفاع كبراهما ٨١,٦٠ مترا.

وبالجملة فإن هذا الجامع من أحسن الآثار العربية، فإن جميع الزخارف وآثار الصناعة التى فى داخل المسجد وخارجه تسترعى النظر، وخاصة باب الدخول العام والوجهة القبلية الشرقية التى تعلوها المنارتان والرفرف الكبير المركب من ستة مداميك مقرنصات، والعلو الشاهق فى سائر الوجهات مع ما فيها من النوافذ على ثمانى طبقات. وهو من أهم الجوامع التى يعنى بزيارتها السائحون.

وفى هـذه السنة (أعنى سنة ثمـان وثلاثين وسبعمائة) عمـل السلطان جسرا[1] بالنيل على جسر ابن الأثير،[2] وحفر الخليج الكبير المعروف بخليج الخور[3] . وسببه أن

(١) هذا الجسر ذكره المقريزى فى خططه باسم الجسر بوسط النيل (ص ١٦٧ ج ٢) فقال : إن ماء النيل قوى رميه على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيرى، ثم جدّد وقويت عمارته، وتيار البحر لا يزداد من ناحية البر الشرقى إلا قوة، فأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٨ هـ بعمل هذا الجسر فيما بين بولاق بالبر الشرقى وناحية أنبوبة بالبر الغربى ليرد قوة التيار عن البر الشرقى إلى البر الغربى، ثم حفر فى الجزيرة خليج وطى. فلما جرى النيل فى أيام الزيادة مر فى ذلك الخليج ولم يتأثر الجسر من قوة التيار، وصارت قوة جرى النيل بالبر الغربى من ناحية أنبوبة ومن ناحية بولاق التكرورى . وكان هذا الجسر سبب انطراد الماء عن بر القاهرة حتى صار إلى ما صار الآن . وبالبحث عن موقع هذا الجسر بوسط النيل تبين لى ما يأتى :

أولا — أن قرية أنبوبة تعرف اليوم بإمبوبة وهى واقعة فى شمال مدينة إمبابة على بعد ثلاثة كيلومترات ومشتركة مع قرية وراق الحضر فى سكن واحد، وأن الجسر الذى أقامه الملك الناصر فى وسط النيـل بين بولاق وأمبوبة لم يكن متصلا بسكن أمبوبة كما يتصوّر القارئ، بل كان متصلا بأرضها الزراعية الواقعـة فى رأس جزيرة وراق الحضر من الجهة القبلية .

ثانيـا — أن الجزيرة التى أشار إليها المقريزى هى جزيرة وراق الحضر، وأن الخليج الذى حفر فيها لا يزال موجودا وفاصلا بينها و بين الشاطئ الغربى للنيل، كما يتبين من الاطلاع على خريطة مركز إمبابة .

ثالثـا — أن الجسر المذكور كان ممتدّا فى وسط النيـل بين بولاق ورأس جزيرة وراق الحضر وقد آندثر من قديم .

(٢) فى السلوك : «على حكر ابن الأثير» . (٣) يستفاد مما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على الخور (ص ١١٩) وعلى خط فم الخور فيما بين بولاق ومنشأة المهراق (ص ١٣١) وعلى خليج فم الخور وخليج الذكر (ص ١٤٤) وعلى خليج قنطرة الفخر (ص ١٤٦) وعلى قنطرة المقسى (ص ١٥٠) وعلى قنطرة الذكة (ص ١٥١) يستفاد مما ورد فى كل ذلك أنه تكلم على ثلاثة خلجان، وهى خليج الذكر وهو أقدمها وخليج فم الخور ثم خليج قنطرة الفخر .

أما خليج الذكر فأنشأه كافور الإخشيدى لرى البستان الكافورى والبساتين الأخرى التى كانت واقعـة تجاهه غربى الخليج الكبير (الخليج المصرى) علاوة على ما كانت تأخذه تلك البساتين من مياه الخليج المصرى الذى كان يفتح عادة بعد خليج الذكر. وكان يعرف فى أيام الدولة الأيوبية بخليج المقسى نسبة إلى البستان المقسى الذى كان يروى منه . ثم عرف بخليج الذكر، لأن شمس الدين الذكر الكركى أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس كان تولى تطهيره فى زمن الملك المذكور فعرف به .

النيل قَوِى على ناحيــة بولاق وهــدم جامع الخَطِيرىّ حتّى آحتاج أَيْدَمُر الخطيرىّ لتجديده ، فرسم السلطان للسكّان على شاطئ النيل بعمل زرابىّ لجميع مُلّاك الدور (١) بالقرب من فم الخور ، وألّا يُؤخَذ منهـم عليها حِكْرٌ ، فبنى صاحبُ كلّ دارٍ زربيّةً تُجاه داره فلم يُفِد ذلك شيئًا ، فكتب السـلطان بإحضار مهندسى البـلاد القبليّة والبحريّة ، فلمّـا تكاملوا رَكِب السلطان إلى النيل وهم معه وكَشَف البحر فآتفق ٥

= وبالبحث تبين لى أن خليج الذكر كان يأخذ مياهه من النيل وقت أن كان النيل يجرى تحت شارع عماد الدين ، وكان فم الخليج فى النقطة التى يتلاقى فيها الآن هذا الشارع بشارع قنطرة الدكة ، وكان الخليج يسير إلى الشرق فى شارع قنطرة الدكة فشارع القبيلة فشارع الجامع الأحمر إلى نهايته فشارع الشيخ حماد فحارة درب مصطفى إلى أن يصب فى الخليج المصرى تجاه مدرسة الفوير التى على رأس شارع الخرنفش .

وأما خليج فم الخور فإنه لمـا آنحسر ماء النيل عن المكان الذى كان ينتهى إليه بشارع عماد الدين ، ١٠ وأصبح شاطئ النيل تحت المكان الذى يمر فيه الآن شارع الملكة نازلى آنقطع وصول المـاء إلى فم خليج الذكر فأمر الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٤ هـ بإنشاء خليج آخر يغذى بمائه من النيل خليج الذكر وعرف الخليج الجديد بخليج فم الخور، فلما فتح هــذا الخليج وقت فيضان النيل كادت القاهرة أن تغرق فسدت القنطرة التى كانت عليه ومن ذلك الوقت عزم الملك الناصر على ترك هذا الخليج وحفر خليجا آخر هو الخليج الناصرى الذى علقنا عليه فى الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من هذا الجزء . ١٥

وبالبحث تبين لى أن خليج فم الخــور كان يأخذ ميــاهه من النيل من نقطة تقــع الآن فى أول شارع الملكة نازلى عند ديوان مصلحة المجــارى الرئيسية ثم يسير محاذيا للشارع المذكور من الجهة الشرقية إلى أن يصل إلى النقطة التى يتقابل فيها هــذا الشارع بشارع توفيق وشارع قنطرة الدكة وهناك كان يتــلاقى خليج فم الخور بخليج الذكر ثم يصيران خليجا واحدا لزيادة المـاء فى الخليج المصرى .

وأما خليج قنطرة الفخر فأنشئ فى سنة ٧٣٠ هـ وكان يبتدئ من ساحل النيل ببولاق وينتهى إلى حيث ٢٠ يصب فى الخليج الناصرى .

وبالبحث تبين لى أن هذا الخليج كان فمه من النيل الحالى تجاه مدخل شارع إصطبلات الطرق ببولاق ثم يسير بالشارع المذكور إلى أن يتلاقى بشارع فؤاد الأول . ومن هناك يسير إلى الشرق حتى يتلاقى بشارع الملكة نازلى تجاه مدخل شارع توفيق ، ومن هناك يسير فى جزء صــغير من المجرى القديم لخليج الذكر ومنه يصب فى الخليج الناصرى عند النقطة التى يتلاقى فيها شارع عماد الدين بشارع قنطرة الدكة . وقد زالت آثار ٢٥ هذه الخلجان الثلاثة ولم يبق الا ما ذكرناه من وصفها .

(١) فى السلوك : « لجميع تلك الدور » .

الرأىُ على أن يُحْفَر الرمل[1] الذى بالجزيرة المعروفة بجزيرة أَرْوَى[2] (أعنى الجزيرة الوسطى) حتّى يصير خليجًا يجرِى فيــه المــاء ، ويُعمل جسر[3] وسط النيل يكون سدًّا يتّصل

(١) المقصود به الرمل الذى فى قاع السـيالة التى كانت فاصلة من ذاك الوقت بين بولاق القاهرة وبين جزيرة أورى المذكورة فى الحاشية التالية .

وبسبب تحويل مجرى النيل من الغرب إلى الشرق فى عهد الخديو إسماعيل أصبح النيل الأصلى يجرى الآن فى مكان تلك السيالة بين بولاق والجزيرة الكبيرة .

(٢) ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٨٦ ج ٢) فقال : إنها تعرف بالجزيرة الوسطى ، لأنها واقعة فى وسط النيل بين بولاق وبر القاهرة وجزيرة الروضة وبر الجيزة . انحسر عنها الماء حول سنة ٧٠٠ هـ وبنى فيها الناس الدور الجليلة والأسواق والجوامع والطواحين والأفران وغرسوا فيها البساتين ، وحفروا الآبار وصارت من أحسن متنزهات القاهرة يحف بها المــاء من جميع جهاتها ثم تلاشى منها أغلب ما كان بها فى شراقى سنة ٨٠٦ هـ قال : وفيها إلى اليوم بقايا حسنة .

وبالبحث تبين لى أن جزيرة أروى (بسكون الراء وألف مقصورة فى آخرها) أو الجزيرة الوسطى أو الجزيرة الوسطانيــة هى المبينة على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ م باسم جزيرة بولاق ، وعرفت بهذا الاسم لوقوعها تجــاه بولاق ، وتعرف اليوم باسم الجزيرة أو الجزيرة الكبيرة أو جزيرة الزمالك أو جزيرة المعرض أو جزيرة السباق ، وهى الآن من أحسن المواقع للسكنى ومن أجل متنزهات القاهرة ، يشمل القسم البحرى منها المعروف بخط الزمالك قصورا وعمارات فاخرة ذات بساتين زاهرة ، ويشمل القسم المتوسط منها ميدان السباق وحديقة النهر وحديقة مورو . ويقع فى القسم الجنوبى منها سراى المعارض ودار الجمعية الزراعية الملكية والجزيرة الصغيرة . وبالإجمال فهى من أكبر وأحسن الأماكن المعدّة للرياضة والنزهة فى مصر .

ولمناسبة ذكر اسم الزمالك أقول : إن الزمالك كلمة تركية معناها العشش التى تنصب من القش أو البوص لإقامة العسكر بدلا من الخيام ، ويماثلها فى الوقت الحاضر العشش التى تقام سنويا للصيفين برأس البر بمصر .

(٣) هذا الجسر هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم جسر الخليلى (ص ١٦٩ ج ٢) وملخص ما قاله : أنه لمــا عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون جسرا بالنيل من بولاق إلى انبوبه انطرد المــاء عن بر القاهرة وانكشف ما تحت الدور من منشأة المهرانى إلى منية الشيرج فأمر الملك الناصر بعمل جسر آخر بين جزيرة الروضة وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى ، لكى يمر المــاء فى سيالة الروضة ثم فى السيالة التى تحت بولاق ، ويبقى المــاء تحت شاطئ القاهرة طول أيام الســنة ، ولكن هذا المشروع لم يتم إلى أن تولى الملك الظاهر برقوق حكم مصر فأمر فى سنة ٧٨٤ هـ بإعادة إنشاء الجسر فتولى إقامته الأمير جهاركس الخليلى ، ولذلك نسب إليــه ، ولكن عمله لم يأت بالغرض المقصود ، وازداد النيل بعــدا عن بر القاهرة بحالة لم يسبق لها مثيل ، فصعب نقل المــاء وبعدت مرمى المراكب عن القاهرة ، فأهمل أمر هذا الجسر إلى أن تلاشى .

ومــا ذكر يتضح أنه كان ممتدا فى النيل بين رأس جزيرة الروضة من بحرى وبين رأس الجزيرة الكبرى من قبلى وقد اندثر .

بالجزيرة (يعني من الروضة)[1] إلى الجزيرة الوسطانية، فإذا كانت زيادة النيل جرى
الماء في الخليج الذى حُفر وكان قدّامه سدٌّ عالٍ يرد الماء إليه، حتى يتراجعَ النيل
عن بَرّ بولاق والقاهرة إلى بَرّ ناحية منبابه[2]. وعاد السلطان إلى القلعة وخرجت البُرُد
من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال [للعمل][3] صحبة المشدّين وطلبت الجارون
بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل، ثم تُحمَل إلى الساحل وتُملأ بها المراكب وتُغرَق ٥
وهي ملآنة بالحجارة حيث يعمل [الجسر][3]. فلم يمضِ عشرة أيام حتى قَدِمت الرجال
من النواحى وتَسلّمهم آقبُغا عبد الواحد والأمير بَرْسبُغا الحاجب. ورَسَم السلطان
لوالى القاهرة ولوالى مصر بتسخير العامّة للعمل فركبا وقَبضا على عِدّة كثيرة
منهم، وزادوا في ذلك حتى صارت الناس تُؤخذ من المساجد والجوامع
والأسواق، فتستّر الناس ببيوتهم خوفاً من السُّخْرة، ووقع الاجتهاد في العمل ١٠
واشتدّ الاستحثاث حتى إن الرجل كان يَخُرّ الى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة
فتردُم رفقتُه عليه الرمل فيموت من ساعته. واتّفق هذا لخلائق كثيرة، وآقبُغا
عبد الواحد راكبٌ في حَرّاقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة، والسلطانُ يَنزِل
إليهم في كلّ قليل ويُباشرهم ويُغلِظ على آقبغا ويُحرّضه على السُّرعة واستنهاض

(١) المقصود من الروضة هنا جزيرة الروضة. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ من الجزء الخامس من ١٥
هذه الطبعة. (٢) هى بلدة امبابه قاعدة مركز امبابه بمديرية الجيزة بمصر، وسبق التعليق عليها
في الاستدراك الوارد في صفحة ٣٨٠ بالجزء السادس من هذه الطبعة، وذكرت في الاستدراك المذكور بأنه
لا يوجد في جداول النواحى المصرية بلدة باسم امبابة، وإنما يطلق هذا الاسم على مجموعة مساكن خمس
قرى متجاورة وهى: تاج الدول وميت كردك وكفر الشوام وكفر الشيخ إسماعيل وجزيرة امبابه، كما أن
اسم امبابه يطلق أيضا على مركز امبابة وعلى المصالح الأميرية الأخرى بالمركز المذكور. ٢٠
وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ أصدرت وزارة الداخلية قرارا بضم الخمس قرى السابق ذكرها بعضها
إلى بعض وجعلها بلدة واحدة باسم امبابه، وبذلك عاد إليها اسمها القديم بعد أن بطل استعماله من سنة ٧١٥ هـ
إلى سنة ١٣٥٨ هـ أى مدة سبعة قرون تقريبا، وقد ترتّب على توحيد التسمية حذف أسماء الخمس قرى
المذكورة من جدول وزارة الداخلية وحل محلها اسم امبابة، وبذلك تحققت رغبتى التى سعيت اليها وهى
إعادة اسم امبابه كما كان قديما. (٣) زيادة عن السلوك. ٢٥

العمال[1] حتّى كمل فى مدّة شهر بعد أن غرِق فيه آثنتا عشرة مركبا بالحجارة ، وَسْق كلّ مَرْكَب ألفُ إردبْ . وكانت عِدّة المراكب التى أُشْحِنت بالحجارة المقطوعة من الجبل ورُمِيَت فى البحر حتّى صار جسرًا يُمْشَى عليه، ثلاثا وعشرين ألف مركب حجر سوى ما عُمِل فيه من آلات الخشب والسَّرْيَاقات[2] والحَلْفَاء ونحو ذلك . وحُفِر الخليج بالجزيرة؛ فلمّــا زاد النيل جَرَى فى الخليج المذكور وتراجع المــاء حتّى قَوِى على بَرّ منبابة وبَرّ بولاق التَّكْرُورىّ[3] ، فسُرّ السلطان والناسُ قاطبةً بذلك ، فإنّ الناس كانوا على تَخَوُّف كبير من النيل على القاهرة . وأنفق السلطان على هذا العمل من خزانته أموالا كثيرة . كلّ ذلك فى سنة ثمــانٍ وثلاثين وسبعمائة المذكورة .

---

(١) فى الأصلين : «وآستنهاض العمل» . وما أثبتناه عن السلوك . (٢) السرياقات : جمع سرياقة ، وهى السوط يصنع من جلد فرس البحر (عن دوزى) . (٣) أصلها من القرى القديمة ذكرها المقريزى فى خططه عند ذكر جامع التكرورى (ص ٣٢٦ جـ ٢) فقال : إن هذه الناحية من قرى الجيزة كانت تعرف بمنية بولاق ، ثم عرفت ببولاق التكرورى بعد أن نزل بها الشيخ أبو محمــد يوسف بن عبد الله التكرورى من زمن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمى . وذكر صاحب تاج العروس أن آسمها الأصلى بلاق كغراب والعامة يقولون بولاق كطوبار . وأقول : إن الصواب فى شكلها بلاق (بكسر أولها) ، وهى كلمة مصرية قديمة معناها المرساة أو الموردة ثم صرفت إلى بولاق ، ولمــا أنشأ الملك الناصر محمــد بن قلاوون فى سنة ٧١٣ هـ مدينة جديدة على النيل سماها بولاق لأنها كانت لا تزال الى اليوم الموردة التى ترسو فيها السفن القادمة إلى القاهرة والقائمة منها . وكانت مساكن قرية بولاق التكرورى التى تعرف اليوم ببولاق الدكرور هذه واقعة على الشاطئ الغربى للنيل فى المنطقة الواقعة بين سراى وزارة الزراعة وبين سراى متحف فؤاد الزراعى فى شمال سكن قرية الدق ، كما هو مبين على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠ ، وفى سنة ١٨٦٣ أصدر الخديوى إسماعيل أمرا بتحويل مجرى النيل من الغرب الى الشرق لإمكان توفر وجود المــاء اللازم لشرب سكان القاهرة تحت شاطئ بولاق القاهرة طول أيام السنة . وذلك قبل وجود شركة مياه القاهرة التى أنشئت فى سنة ١٨٦٥ ، ولمــا نفذت عملية تحويل مجرى النيل إلى شاطئه الغربى الحالى ، حيث يمتد شارع الجيزة الآن أصبحت مساكن قرية بولاق الدكرور بعيدة عن شاطئ النيل . وفى سنة ١٨٦٨ أمر الخديوى بهدم مساكن هذه القرية مع تعويض سكانها فانتقلوا إلى مكانها الحالى بجوار محطة بولاق الدكرور من الجهة الغربية ، وأنشئوا هناك قرية جديدة هى التى تعرف اليوم باسم بولاق الدكرور .

ومــا يلاحظ على خريطة القاهرة وضواحيها رسم البعثــة الفرنســية السابق ذكرها أن الذى رسم تلك الخريطة أخطأ فى كتابة آسم قريتى بولاق الدكرور والدق ، إذ وضــع آسم الأولى على مكان الثانيــة وبالعكس ، وقد نشأ عن هــذا الغلط ظهور قرية الدق على الخريطة المذكورة فى شمال بولاق الدكرور ، فى حين أن الحقيقة عكس ذلك .

فلمّا ٱستهلّت سـنة تسع وثلاثين وسبعمائة حضر فيها الأمير تنكِز نائب الشام ورَسَم بسكناه فى داره بالكافورى[1] على عادته[2]، وخلع عليـه خِلعة الآستمرار على نيابة دِمَشْق . وبعد أيّام تكلّم تَنْكِز فى يَلْبُغا نائب حلب فعزله السلطان عن نيابة حلب وأنعم عليه بنيابة غزّة . وقدّم تَنْكِز فى هذه المرّة للسلطان تقـدِمةً عظيمة تَجِلّ عن الوصف، فيها من صنْف الجَوْهَر فقط ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن الزَّرْكَش عشرون ألف دينار ، ومن أوانى البَـلُّور وتعابِى القُماش والخيـل والسُّرُوج والجمال البَخَاتِى ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار مصريّة ، فلمّا ٱنقضت التَّقْدِمةُ أخذ السلطانُ تَنْكِزَ وأدخله إلى الدور السلطانية حتى رأى ٱبنته زوجةَ السلطان ، فقامت اليه وقبّلت يدَه، ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأَمَرهنّ بتقبيل يد تَنْكِز المذكور وهو يقول لهنّ واحدة بعـد واحدة : بوسى يد عمّـك، ثم عَيَّن منهنّ بنتين لولدى الأمير تَنْكِز فقبّل تَنْكِز الأرض وخرج من الدور، والسلطان يُحادثه .

وأَمَر السلطان بالآهتمام إلى سفر الصعيد للصَّيْد على عادته وتَنْكِز صحبته؛ وكان من إكرامه له فى هذه السَّـفْرة ما لا عهـدَ من مَلِك مثله ، فلمّا عاد السلطان من الصعيد أمر النَّشْوَ بتجهيز كُلْفَة عقد ٱبنى تنكِز على ٱبنتيه، وكُلْفة سفر تَنْكِز إلى الشام،

---

(١) هذه الدار ذكرها المقريزى فى خططه باسم دار تنكز (ص ٥٤ ج ٢) فقال : إنها بخط الكافورى، أنشأها الأمير تنكز نائب الشام، وهى من أجل دور القاهرة وأعظمها، بيعت فى سنة ٨٢١ ه إلى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى، بجدد باءها وبنى جامعه تجاهها .
وأقول : إن الجامع الذى أنشأه القاضى زين الدين عبـد الباسط بن خليل فى سنة ٨٢٣ ه لا يزال قائما إلى اليوم باسم جامع القاضى عبد الباسـط أو جامع الباسطى بسكة الخرنفش بقسم الجمالية بالقاهرة، وأن دار تنكز الواقعة تجاه الجامع مكانها اليوم سراى آل البكرى وهى من الدور الكبيرة بخط الخرنفش . تكلم عليها بالتفصيل على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ٤٦ ج ٣) وهى باقية إلى يومنا هذا بيد ورثة آل على البكرى .

(٢) هو ٱسم خط من أخطاط القـاهرة القديمة . راجع الحاشـية رقم ٢ ص ٤٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

فجهّز النَّشْوُ ذلك كلَّه، وعُقِد لأبنى تَنْكِز على ابنتى السلطان فى بيت الامير قَوْصُون، لكون قوصون أيضا متزوّجا بإحدى بنـات السلطان ، بحضرة القضاة والأمراء . ثم ولدَتْ بنت الأمير تَنْكِز من السلطان بنتًا فسجَد شكرًا لله بحضرة السلطان، وقال : ياخَوَنْد، كنتُ أتمنى أن يكون المولود بنتًا فإنها لو وضعت ذَكَرًا كنتُ أخشى من تمام السعادة، فإنّ السلطان قد تصدّق علىّ بما غمرنى به من السعادة فخشيتُ من كمالها .

ثم جَهّز السلطان الأمير تَنْكِز وأنعم عليـه من الخيل والتعابى القُماش ما قيمته مائة وعشرون ألف دينار[1] . وأقام تَنْكِز فى هذه المرّة بالقاهرة مدّة شهرين، فلما ودع[2] السلطان سأله إعفـاء الأمير جُكُن من الخدمة وأشـياء غير ذلك فأجابه إلى جميع ما سأله . وكتب له تقليدًا بتفويض الحكم فى جميع الممـالك الشامية بأسْرها، وأن جميع نوابها تُكاتَبـه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته : «أعزّ الله أنصـار المَقَرّ الشريف»، بعد ما كانت . « أعزّ الله أنصار الجنـاب » وأن يُزاد فى ألقـابه : « الزاهدىّ العابدىّ العالمىّ كافل الإسلام أتابك الجيوش » . وأنعم السلطان على مُغَنِّية قَدِمت معه من دِمَشْق من جملة مغانيه بعشرة آلاف درهم ، ووصل لها من الدُّور ثلاث بَذْلات زَرْكَش وثلاثون تعبية قماش وأربع بَذْلات مَقَانِـع وخمسمائة دينار . ثم آخر ما قال السلطان لتَنْكِز: إيش بَقِى لك حاجة؟ بَقِى فى نفسك شىء، أَقْضيه لك قبل سفرك ؟ فقبّل الأرض وقال : والله ياخَوَنْد، ما بَقِى فى نفسى شىءٌ أطلبه إلّا أن أموت فى أيّامك ، فقال السلطان : لا ، إن شاء الله تعيش أنت وأكون أنا فِدَاءك، أو أكون بعدك بقليل، فقبّل الأرض وانصرف، وقد حَسَده سائر الأمراء، [وكثُر حديثهم][3] فيما حصـل له من الإكرام الزائد ، فاتّفق ما قال السلطان ، فإنّه لم يُقِم بعد موت تنكز إلّا مدّة قليلة .

(١) فى السلوك : «مائة وخمسون ألف دينار» . (٢) يريد : ودّعه . (٣) زيادة عن السلوك .

وأمّا أمرُ النَّشْو فإنّه لم يزل على الظلم والعَسْف فى الرّعية والأقدارُ تساعده إلى أن قَبَض عليه السلطان الملك الناصر فى يوم الآثنين ثانى صفر سنة أربعين وسبعمائة، وعلى أخيه مجد الدين رزق الله، وعلى [أخيه] المُخْلِص وعلى مُقَدّم الخاصّ و رفيقه.[1][2] وسبب ذلك أنّه زاد فى الظلم حتى قلّ الجالب إلى مصر وذهب أكثر أموال التجّار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطانُ الزيادة نخاف العجزَ، فرجع عن ظلم العامّ إلى الخاصّ، و رتّب مع أصحابه ذلك، وكانت عادتُه فى كلّ ليلة أن يجمع إخوتَه وصِهْره ومن يَثِق به فى النظر فيما يُحْدِثُه من المظالم، يقترح كلٌّ منهم ما يقترحه من مظالم ثم يتفرقون، فرتّبوا فى ليلة من الليالى أوراقًا تشتمل على فصول يتحصّل منها ألفُ ألف دينار عَيْنًا وقرأها على السلطان : منها التقاوى السلطانية المخلّدة بالنواحى من الدولة الظاهريّة بيبَرْس والمنصوريّة قلاوون فى إقطاعات الأمراء والأجناد، و جملتها مائة ألف إردب وستون ألف إردب سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، ومنها الرِّزَق الأحباسية الموقوفة على المساجد والجوامع والزوايا وغير ذلك، وهى مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان. وقرّر مع السلطان أن يأخذ التقاوى المذكورة، وأن يُلْزِم كلّ متولى إقليم بآستخراجها وحَمْلها، وأن يُقيم شادًّا يختاره لكشف الرِّزَق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر [بذكر الله][2] يُعطيه نصف ما يحصل و يأخذ من مُزارعيه فى النصف الآخر عن كلّ فدان مائة درهم.

قلت: ولم يصحّ ذلك للنَّشْو وصحّ مع أستادار زماننا هذا زَيْن الدين يحيى الأشقر[3] قريب آبن أبى الفرج لمّا كان ناظرَ[4] المفرد فى أُسْتادارية قِرْطُوغان فإنّه أحدث

(١) فى الأصلين : «وعلى أخيه شرف الدين». وتصحيحه عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى.
(٢) زيادة عن السلوك. (٣) هو القاضى يحيى بن عبد الرزاق الأمير زين الدين الأستادار الشهير بالأشقر و بقريب آبن أبى الفرج. ولد فى أوائل القرن (التاسع) تقريبا بالقاهرة. وولى نظر المفرد وغيره. توفى سنة ٨٧٤ هـ (عن الضوء اللامع والمنهل الصافى وتاريخ آبن إياس). (٤) فى الأصل الآخر: «ناظر الدولة».

هذه المظلمة فى دولة الملك الظاهر[1]، ودامت فى صحيفته إلى يوم القيامة، فأقول : كم ترك الأول للآخر. انتهى .

قال: ويُلزِم المزارع بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرِّزَق على موضع خراب[2]، أو على أهل الأرياف من الفقهاء والخطباء ونحوهم أخذوا[3]، وآستخرج من مزارعيه خراج ثلاث سنين . ومما أحدثه أيضا أرض [جزيرة] الرّوضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيـد أولاد الملوك ، فيستأجرها منهم الدواوين وينشوا بها سواقى الأقصاب وغيرها . ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان، وقرّر مع السلطان أخذ أراضى الرّوضة للخاصّ . ومنها أربابُ الرواتب السلطانية فإنّ أكثرهم عَبيـد الدواوين ، ونساؤهم وغِلْمانهم يكتبونها بآسم زيد وعمرو ؛ وذكر أشياء كثيرة من هذه المقولة إلى أن تعرض للأمير آقبغا عبدالواحد ولأمواله وحواصله ، وحسّن للسلطان القَبْض عليه وشَرَع فى عمل ما قاله ، فعظُم ذلك على النـاس وترامَوا على خواصّ السلطان من الأمراء وغيرهم ، فكلّموا السلطان فى ذلك وعرّفوه قُبْح سيرة النّشو، وما قصده إلّا خراب مملكة السلطان. ثم رُمِيت للسلطان عِدّة أوراق فى حقّ النّشو، فيها مكتوب:

أمعنتَ فى الظلم وأكثرتَه * وزِدتَ يا نَشْوُ على العـالَم

تُرَى مَنِ الظـالمُ فيكم لنـا * فلعنـــةُ الله على الظـالِم

وأبيات أُخَر. وكان السلطان أرسل قُرمجى إلى تَنْكِز لكشف أخبار النّشو بالبلاد الشامية ، فعاد بمكاتبات تَنْكِز بالحطّ عليه ، وذَكَر قُبْحَ سيرته وظلمه وعَسْفه

---

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائى الظاهرى ، تولى السلطنة بعد خلع العزيز يوسف آبن الأشرف برسباى فى يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ . وتوفى سنة ٨٥٧ هـ . وتولى بعده السلطنة الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان . (عن آبن إياس) .

(٢) فى الأصلين : «على موضع خراب أو محل أهل الأرياف» . وما أثبتناه عن السلوك .

(٣) يريد أخذت الرزق .

وكان النَّشو قد حصل له قُولَنج انقطع منه أياما ، ثم طلَع إلى القلعــة وأثر المرض في وجهه ، وقرّر مع السلطان إيقاعَ الحَوْطه على آقبغا عبد الواحد من الغد ، وكان ذلك في أوّل يوم من صَفَر . وتقرّر الحال على أنه يَجْلِس النَّشو على باب الخزانة ، فإذا خَرَج الأمير بَشْتَك من الخِدْمة جلَس معــه ، ثم يتوجّهان إلى بيت آقبغـا ويَقْبِضان عليــه . فلمـا عاد النَّشو إلى داره عبَر الحَمّـام ليلة الاثنين ومعــه ٥
[شمس الدين محمّد][1] بن الأكفاني ، وقد قال له ابن الأكفانيّ : بأنّ على النشــو في هذا الشهر قَطْعًا[2] عظيمًا فأمر النَّشْوُ بعضَ عَبيده السودان أن يَحْلِق رأسه ويَجْرَحه بحيث يَسيل الدّم على جسده ليكون ذلك حَظَّه من القَطْع ، ففُعِـل به ذلك ، وتباشروا بمـا دَفَع الله عنــه من السوء . ثمّ خرج النَّشْو من الحَمّـام ، وكان الأمير يَلْبُغا اليَحْياوِيّ أحدُ خواصّ السلطان ومماليكه قـد توعّك جسدُه توعّكًا صعبا ١٠
فقَلِق السلطان عليه وأقام عنده لكثرة شَغَفه به ، فقال له يَلْبُغا فيما قال : يا خَوَنْد ، قد عظُم إحسانُك لى وَوَجَب نُصْحُك علىّ والمصلحةُ القبض على النَّشــو ، وإلّا دَخَل عليك الدخيل ، فإنّه ما عندك أحد من ممـاليكك إلّا وهو يترقّب غَفْلَةً منك ، وقـد عرّفتُك ونصحتك قبــل أن أموت ، وَبَكى وَبَكى السلطان لبكائه ، وقام السلطان وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوَهْم لِثقَته بمحبّة يَلْبُغا له ، وطَلَب بَشْتَك ١٥
في الحال وعرّفه أنّ الناس قد كَرِهوا هذا النشو ، وأنه عَزَم على الإيقاع به ، فخاف بَشْتَك أن يكون ذلك امتحانا من السلطان ، ثم وجد عزْمَه قويًّا في القبض عليه ، فاقتضى الحال إحضار الأمير قَوْصُون أيضًا فحضر وقوّى عزمَ السلطان على ذلك ، وما زالا به حتى قرّر معهما أخذَه والقَبض عليه . وأصبح النشو وفي ذهنه أنّ القطع

(١) زيادة عن السلوك . (٢) عبارة السلوك : « لحذره الفاضل شمس الدين محمد بن ٢٠
الأكفاني من قاطع مخوف في أول صفر يخشى منه إراقة دمه » .

الذى تخوّف منـه قد زال عنه بما دبّره ٱبن الأكفانى من إسالة دَمه . ثم عَلّق عليه عِدّةً من العُقُود والطِّلّسْمات والحُرُوز ورَكب إلى القلعة وجلَس بين يدى السلطان على عادته ، وأخذ معـه فى الكلام على القبض على آقبغا عبـد الواحد . ثم نهض النَّشْو وتوجّه إلى باب الخزانة ، وجلَس عليها ينتظر مُواعدةَ بَشْتَك . فعند ما قام النَّشْوُ طَلَب السلطان المُقَـدَّمَ ٱبن صابر[1] ، وأسَرّ إليـه أن يَقف بجماعته على باب القلعـة وعلى باب القرافة ، ولا يَدَع أحدًا به من حواشى النَّشْو وجماعته وأقاربه وإخوته أن ينزلوا ويقبضوا عليهم الجميع . وأمر السلطانُ بَشْتَك وبَرْسُبُغا الحاجب أن يَمضِيَا إلى النَّشْو ويَقبِضا عليه وعلى أقاربه ، فخرج بَشْتَك وجلس بباب الخزانة فطلب النَّشْو من داخلهـا فظَنّ النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتّى يحتاطا على موجود آقبغا ، فساعة ما وَقَع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه فأخذوه إلى بيته بالقلعة ، وبعث إلى بيت الأمير مَلِكْتَمُر الحجازىّ فقبَض على أخيه رِزْق الله ، ثم أخَذَ أخاه المُخلِصَ وسائر أقاربه . وطار الخبرُ فى القاهرة ومصر ، فخرج الناس كلُّهم كأنّهم جرادٌ مُنْتَشِر ، وَركب الأمير آقبغا عبـد الواحد والأمير طَيْبُغَا المجْـدِى[2] والأمير بَيْغَرَا والأمير بَرْسُـبُغا لإيقاع الحَوْطة على بيوت النَّشْو وأقاربه وحواشيه ، ومعهم عُدُوه [القاضى جمال الدين إبراهيم المعروف بـ][3] جمال الكُفاة كاتب الأمير بَشْـتَك وشهود الخزانة ، وأخذَ السلطانُ يقول للأمراء : كم تقولون ، النَّشْو يَنْهَب مال الناس ! الساعة ننظر المـال الذى عنده ! وكان السلطان يظنّ أنّه يُؤدّيه الأمانة ، وأنّه لا مال له ، فنَـدِم الأمراء على تحسينهم مَسْك النَّشو خوفا من ألّا يظهر له مال ، لا سيما

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٨ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٨ من هذا الجزء . (٣) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك والمنهل الصافى . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٥ هـ .

قَوْصُون و بَشْتَك من اجل أنّهما كانا بالغا فى الحطّ عليه ، فكثُر قلقُهما ولم يأ كلا
طعامًا نهارَهما و بَعثا فى الكَشْف على الخبر . فلما أوقع الأمراءُ الحَوْطَة على دُور
المسوكين بلغهم أنّ حريم النَّشْو فى بُستانٍ فى جزيرة الفِيل[(1)]، فساروا إليه وهجموا
عليه فوجدوا ستين جاريةً وأُمّ النَّشْو وآمرأته وإخوته وولديه وسائرَ أهله ، وعندهم
مائتا قنطار عنب وقِنْد[(2)] كثير ومِعْصَار وهم فى عَصْر العنب ، نختموا على الدّور ٥
والحواصل ، ولم يتهيّأ لهم نَقْلُ شىء [منها][(3)] . هذا وقد غُلِّقت الأسواق بمصر
والقاهرة ، وآجتمع الناس بالرُّمَيْلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال وقد
أشعلوا الشموع ورفعوا على رءوسهم المصاحف ونشروا الأعلام وهم يصيحون
آستبشارًا وفرحًا بقَبْض النَّشْو ، والأمراء تُشِير إليهم أن يُكْثِروا ممّا هم فيه ،
وآستمرّوا ليلة الثلاثاء على ذلك ، فلمّا أصبحوا وقَع الصوت من داخل القلعة بأنّ ١٠
رِزْق الله أخا النَّشْو قد قَتَل نفسَه ، وهو أنّه لما قَبَض عليه قَوْصُون وكّل به أمير
شِكارِه ، فسجَنَه ببعض الخزائن ، فلمّا طَلَع الفجر قام الأميرُ شِكار إلى صلاة
الصبح فقام رزْق الله وأخَذَ من حِياصته سكينا ووضعها فى نَحْره حتّى نَفَذَت منه
وقَطَعَتْ ورائده[(4)] ، فلم يَشْعُر أميرُ شِكار إلّا وهو يشخّر وقد تَلِف ، فصاح حتّى بلغ
قَوْصُون فآنزعج لذلك وضَرَب أميرَ شِكاره[(5)] ضربًا مُبرّحًا إلى أن عَلِم السلطان الخبر ، ١٥
فلم يَكْترِث به .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) القند : عسل قصب السكر إذا جمد ، فارسى معرب « كند » . (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) .
(٣) زيادة عن السلوك . (٤) يريد الأوردة . (٥) فى السلوك : « وضرب أمير آخور ... الخ » . ٢٠

وفى يوم الاثنين المذكور أفرج السلطانُ عن الصاحب شمس الدين موسى[1] ابن التاج إسحاق وأخيــه[2] ونزلا من القلعة إلى الجامع[3] الجديد بمصر . وكان شمس الدين هذا قد وَشَى به النّشو حتّى قبض عليه السلطان ، وأجرى عليه العقوبة أشهرا إلى أن أشِيعَ موتُه غير مرّة، وقد ذكرنا أمرَ عقــوبة شمس الدين هــذا وما وقع له فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، فإنّ فى سيرته عجائب فليُنظر هناك . قال الشيخ كمال الدين جعفر [بن ثعلب][4] الأُدْفُوِىّ فى يوم الاثنين هذا، وفى معنى مَسْك النّشو وغيره هذه الأبيات :

إنّ[5] يومَ الاثنين يومٌ سعيدُ * فيــه لا شَــكّ للبرية عِيــدُ
أخذ اللهُ فيه فِرْعون مصر[6] * وغَدَا النِّيــل فى رُباه يزيدُ

وقال الشيخ شمس الدين محمــد [بن عبد[7] الرحمن بن على الشهير با] بن الصائغ الحنفى فى معنى مَسْك النّشو والإفراج عن شمس الدين موسى وزيادة النيل هــذه الأبيــات :

لقد ظهرتْ فى يوم الاثنين آيةٌ * أزالت بنُعماها عن العالَم البُوسَا
تزايدَ بحرُ النيل فيــه وأُغرِقتْ * به آلُ فرعونٍ وفيه نجا موسى

---

(١) هو موسى بن عبد الوهاب بن عبد الكريم الوزير شمس الدين بن تاج الدين إسحاق القبطى المصرى وقد تسمى والده إسحاق بعبد الوهاب . توفى سنة ٧٧١ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .

(٢) هو المعلم إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم علم الدين أخو موسى .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣ من هذا الجزء . (٤) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وشذرات الذهب . توفى سنة ٧٤٨ هـ . (٥) رواية أحد الأصلين :

* يوم الاثنين فهو يوم سعيــد *

وما أثبتناه عن السلوك . (٦) فى السلوك :

* أخذ الله فيــه فرعون جهرا *

(٧) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وشذرات الذهب . توفى سنة ٧٧٦ هـ .

وفي المعنى يقول أيضا القاضي علاء الدين علي [بن يحيي](1) بن فضل الله كاتب السّرّ :

في يوم الاثنين ثاني الشهر من صفرٍ * نادى البشيرُ إلى أنْ أسمعَ الفَلَكا

يا أهلَ مصر نجا موسى ونيلُكُمو * طغى وفرعونُ وهو النَّشْوُ قد هَلَكا

ثم في يوم الثلاثاء نُودِي بالقاهرة ومصر : بيعوا وآشتروا وآحْمَدُوا الله تعالى على خَلاصِكم من النَّشْو . ثم أُخرِجَ رِزْق الله أخو النَّشْو ميّتًا في تابوت آمرأة حتى دُفِن في مقابر النصارى خوفا عليه من العامة أن تحرقه . ثم دَخَل الأميرُ بَشْتَك على السلطان وآستعفَى من تسليم النشو خشيةً ممّا جَرَى من أخيه ، فأمر السلطان أن يهدّده على إخراج المال ، ثم يُسلّمه لابن صابر فأوقفه بَشْتَك وأهانه فالتزمَ إن أُفرِج عنه جَمَع للسطان من أقاربه خزانةَ مال ثم تَسلّمه آبنُ صابر فأخذه ليَمضي به إلى قاعة الصاحب(2) ، فتكاثرت العامة لرَجْمِه حتى طردهم نقيبُ الجيش وأخرجه والجنزير في عنقه حتى أدخله قاعةَ الصاحب(3) ، والعامةُ تحمل عليه حَمْلَةً بعد حملة والنقباء تطرُدُهم . ثم طلب السلطانُ في اليوم المذكور جمال الكُفاة إبراهيم كاتب الأمير بَشْتَك وخَلَع عليه وآستَقرّ في وظيفة نظر الخاصّ عِوَضًا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المعروف بالنَّشو بعد تمنّعه ، ورَسَم له أن ينزل للحَوْطة على النشو وأقاربه ، ومعه الأميرُ آقبغا عبد الواحد و بُرسُبُغا الحاجب وشهود الخزانة ، فنزَل بتشريفه وركب بغلةَ النَّشو حتى أخرجَ حواصلَه ، وقد أغلقَ الناس الأسواق وتجمّعوا ومعهم الطبولُ والشموعُ وأنواعُ الملاهي وأربابُ الخيال ، بحيث لم يبقَ

(1) زيادة عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . توفي سنة ٧٦٩ هـ .

(2) ذكرها المقريزي في خططه ضمن مباني القلعة بالقاهرة (ص ٢٢٣ ج ٢) ولم يتكلم عليها . وبالبحث تبين لي أن هذه القاعة قد آندثرت وكانت بجوار دار النيابة التي سيأتي الكلام عليها في هذا الجزء ، أي أنها كانت واقعة في الحوش الداخل للقلعة وهو الذي فيه الآن تكنات الجيش .

(3) في أحد الأصلين والسلوك : « والزنجير في عنقه » والجنزير والزنجير واحد ، معروف .

حانوتٌ بالقــاهرة مفتوحٌ نهارهم كلّه ، ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة وصاحوا صيحة واحدة، حتى آنزعج السلطان وأمر الأميرَ أيْدُغْمُش بطَرْدهم، ودخلوا الأمراء على السلطان بمـا وجدوه للنشو، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية . وألفان وخمسمائة حبة لؤلؤ ، قيمة كلّ حَبّة ما بين ألفى درهم إلى ألف درهم . وسبعون فَصّ بَلَخْش قيمة كلّ فصّ [ما بين][1] خمسة آلاف درهم إلى ألفى درهم . وقطعة زُمُرُّد فاخر[2] زِنتُها رِطل . ونيّف وستون حَبْلًا من لؤلؤ كِبار، زنة ذلك أربعمائة مثقال. ومائة وسبعون خاتَم ذَهب وفِضّة بفصوص مثمّنة. وكَفّ مَرْيم مُرصّع بجوهر . وصليب ذهب مرصّع . وعِدّة قطع زَرْكَش؛ سوى حواصل لم تُفتح . فَخَجِل السلطان لمّـا رأى ذلك ، وقال للامراء : لَعَن الله الأقباطَ ومَن يأمَنُهم أو يُصدِّقهم! وذلك أنّ النّشو كان يُظْهِر له الفاقة بحيث إنّه كان يقترض الخمسين درهما والثلاثين درهما حتى يُنْفِقها . وبعث فى بعض اللّيالى إلى جمال الدين إبراهيم [بن أحمد][3] بن المغربى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، ويذكر له أنه طَرَقَه ضَيْفٌ ولم يَجِد له ما يُعشّيه به، وقصد بذلك أن يكون له شاهدٌ عند السلطان بما يَدّعيه من الفقر . فلمـا كان فى بعض الأيام شكا النّشوُ الفاقة للسلطان وآبنُ المغربىّ حاضر ، فذكر للسلطـان أنه آقترض منه فى ليلة كذا مائةَ درهم ، فَمَشَى ذلك على السلطان وتقرر فى ذهنه أنّه فقير لا مال له . انتهى .

وآستمر الأمراءُ تنزل كلّ يوم لإخراج حواصل النّشو فوجدوا فى بعض الأيام من الصِّينِىّ والبَلُّور والتُّحَف السنيّة شيئًا كثيرًا . وفى يوم الخميس [خامسه][4] زُيِّنت القاهرة ومصر بسبب قَبْض النشو زينةً هائلةً دامت سبعة أيام ، وعُمِلت أفراح

(١) تكلة عن السلوك . (٢) فى السلوك : «قطعتا زمرد فاخر» . (٣) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى . وقد توفى عام نيف وأربعين وسبعمائة كما فى المنهل الصافى . وفى الدرر الكامنة أن وفاته كانت سنة ٧٥٦ هـ . (٤) أى خامس شهر صفر . والزيادة عن السلوك .

كثيرة . وعَمِلت العامّة فيـه عِدّة أزجال وبَلَالِيـق[1] ، وأظهروا مِن الفَـرَح واللّهو والخيال ما يَجِـلّ وصفُه ، ووُجِدت مآكلُ كثيرة في حواصل النَّشْو ، منها : نحو مائتي مطر مُلوحة[2] وثمانين مطر جُبْن وأحمـال كثيرة من سـوّاقة الشام . ووُجد له أربعمائة بَذْلة قُماش جديدة وثمانون بَذْلة قُماش مستعمل ، ووُجد له ستّون بَغْلَطَاق[3] نساويّ[4] مُزَرْكَش ومناديل زَرْكَش عِدّة كثيرة . ووُجد له صناديق كثيرة فيها قُمـاش سَكَنْدَرِيّ ممّا عُمِل برسم الحُرَّة جهةَ ملك المغرب قد آختلسه النَّشْو ، وكثير من قُماش الأمراء الذين ماتوا والذين قُبِض عليهم . ووُجِد له مملوك تُرْكيّ قد خَصَاه هو وآثنين معه ماتا ، وخَصَى أيضا أربعة عَبِيد فماتوا ، فطلب السلطان الذى خصاهم وضَرَبه بالمقارع ، وجُرِّس وتُتُبِّعت أصحابُهُ وضَرَب منهم جمـاعة . ثم وُجِد بعد ذلك بمدّة لإخوة النشو ذخائرُ نفيسة ، منهـا لِصهره ولِيّ الدولة صندوق فيه مائة وسـبعون فصّ بَلَخْش . وستٌّ وثلاثون مُرْسَلَة[5] مكلّلة بالجوهر . وإحدى عشرة عَنْبَرِينَـة[6] مكلّلة بلؤلؤ كِبَار . وعشرون طِراز زَرْكَش ، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزُمُرُّد وكوافي زَرْكَش ، قُوِّموا بأربعة وعشرين ألف دينار . وضُرِب المُخْلِص أخو النَّشْو ومُفْلِح عبده بالمقـارع ، فأظهر المُخْلِص الإسلام . ثم في يوم الثلاثاء ثاني عشرين

---

(١) البلاليق : جمع بليق وهو أغنية شعبية هزلية (عن دوزى) . (٢) ورد في كتاب الرحمة الغيثية في مناقب الإمام الليث بن سـعد طبع بولاق ص ٥ : « المطر : عشرون ومائة رطل » . وورد في هامشه : « المطر : وعاء معروف عند بعض أهل مصر يسع نحو مائة رطل مصرى تقريبا » . وورد في دوزى : المطر : أصـله في أثينـا ، وهو مكيال للسوائل . وكان العرب يستعملونه في كيل الزبدة . والمطر الحديث وعاء للماء من الجلد أو الخشب يسع من أربعة لترات إلى ستة لترات ويطلق في تونس الآن على أى وعاء للماء أو الزيت أو اللبن . (٣) بغلطاق أو بغلوطاق ، لفظ فارسىّ : معنـاه القباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جدا ، يلبس تحت الفرجية . وكان يصنع من القطن البعلبكى أو من السنجاب أو من الحرير اللامع ، وكثيرا ما يزين بجواهر ثمينة (عن كترمير) . (٤) كذا في أحد الأصلين . وفي الأصل الآخر والسلوك : « نساوى » بالسين . (٥) المرسلة : هى أجزاء العقد من الجوهر اثنين تتدلى على الصدر (عن القاموس الفارسى والإنجليزى لاستينجاس) . (٦) العنبرينة : نوع من حلىّ المعنبر تلبسه النساء حول الرقبة (عن استينجاس) .

شهر ربيع الأوّل وُجدت ورقةٌ بين فَرْش السلطان فيها : المملوك بَيْبَرس ناصح السلطان يُقبِّل الأرض ويُنهى : إنّى أكلتُ رزقك وأنت قِوامُ المسلمين، ويجب على كلّ أحد نُصْحُك، و إنّ بَشْتَك وآقبغا عبـد الواحد آتّفقا على قتلك مع جماعة من المماليك فآحْتَرِس على نفسك ، وكان بَشْتَك فى ذلك اليـوم قد توجّه بكرة النهـار إلى جهة الصعيد ، فطلب السلطان الأميرَ قَوْصـون والأميرَ آقبغا عبد الواحد وأوقفهما على الورقة ، فكاد عقلُ آقبغا أن يَخْتَلِط من شِدّة الرُّعب ، وأخذ الأمير قوصون يُعرِّف السلطان أن هـذا فِعل مَن يُريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه . فأخرج السلطان البريدَ فى الحال لردّ الأمير بَشْتَك فأدركه بإطْفِيح وقد مَدّ سماطه، فلمّا بلغه الخـبرُ قام ولم يَمُدّ يده إلى شىء منه . وجَدّ فى سَيْره حتى دخل على السلطان، فأوقفه السلطان على الورقة فتنصّل ممّـا رُمِى به كما تنصّل آقبغا وآستسلم ، وقال : هذه نفسى ومالى بين يدى السلطان . و إنما حَمَل مَنْ رمانى بذلك الحسدُ على قُرْبى من السلطان، وعِظَمُ إحسانه إلىّ ونحو هذا، حتى رَقّ له السلطان وأمره أن يعود إلى الصيد إلى جهة قَصْده .

ثم طَلَب السلطان [ناظر] ديوان الجيش، ورَسَم له أن يكتب كلَّ من آسمه بَيْبَرس ويُحضره إلى آقبغا عبد الواحد ، فآرتجّت القلعة والمدينـة ، فطلب ناظرُ الجيش المذكورين وعَرَضهم وأَخَذ خطوطَهم ليقابل بها كتابة الورقة فلم يجِدْه . فلمّا أعيا آقبغا الظَّفَرُ بالغريم آتّهم النَّشْو أنّها من مكايده ، وآشتدّ قلقُ السلطان وكثُر آنزعاجه بحيث إنه لم يستطع أن يَقَرّ بمكان واحد ، وطلب والى القاهرة وأمره بهـدم ما بالقاهرة من حَوانيت صُنّاع النُّشّاب ويُنَادِى مَن عَمِـل نُشّابًا شُنِق ، فآمتثل ذلك . وخَرِب جميع مرامى النُّشّاب ، وغُلِّقت حوانيت القَوّاسين، ونزل الأميرُ بُرْسُبُغا إلى الأمراء جميعهم، وعرّفهم عن السلطان أنّ مَن رَمَى من مماليكم بالنُّشّاب أو حَمَل

قوسًا كان أستاذه عوضًا عنه فى التلاف، وألاّ يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تَرْكَاش[1]،
وبينما الناس فى هذا الهول الشديد إذ دخل رجلٌ يُعْرَف بآبن الأزرق —
كان أبوه ممن مات فى عقوبة النَّشو لما صادره ، وقد تقدّم ذكر آبن الأزرق
فى أمر بناء جامع الخَطِيرى — على جمال الكُفاة وطلَب الورَقة ليُعَرِّفهم من كتبها ،
فقام بجمال الكُفاة إلى السلطان ومعه الرجل ، فلما وقَف عليها قال : يا خَوَنْد ، ٥
هذه خَطُّ أحمد الخطائى[2] ، وهو رجل عند ولىّ الدولة صِهْر النَّشْو يلعب معه النَّرْد
ويُعاقره الخمر ، فطلب المذكور وحاققه الرجل محاققةً طويلة فلم يَعترِف ، فعُوقب
عقوبات مُؤْلمة إلى أن أقَرَّ بأنّ ولىّ الدولة أمَره بكتابتها ، فجمَع بينه و بين ولىّ الدولة
فأنكر ولىّ الدولة ذلك ، فطلَب أن يَرَى الورقة فلما رآها حَلَف جهْدَ أيمانه أنها خطّ
آبن الأزرق الشاكى ، لينال منه غَرضه ، من أجل أنّ النَّشْو قتل أباه ، وحاققه ١٠
على ذلك ، فآقتضى الحال عقوبة آبن الأزرق فآعترف أنها كتابته وأنه أراد أن
يأخذ بثأر أبيه من النَّشو وأهله ، فعفا السلطان عن آبن الأزرق ورَسَم بحبس
ابن الخطائى[3] . ورَسَم لبَرْسُبُغا الحاجب وآبن صابر المقدّم أن يُعاقبا النَّشْو وأهله حتى
يموتوا . وأذِن السلطان للأجناد فى حَمْل النُّشّاب فى السَّفر دون الحضَر ، فصارت
هذه عادة إلى اليوم . ١٥

ويقال إنّ سبب عقوبة النَّشو أنّ أمراء المَشُورة تحدّثوا مع السلطان ، وكان
الذى آبتدأ بالكلام سَنْجَر الجاولى وقَبّل الأرض ، وقال : حاشى مولانا السلطان
من شغل الخاطر وضيق الصدْر ، فقال السلطان : يا أمراء ، هؤلاء مماليكى
أنشأتُهم وأعطيتُهم العطاء الجزيل ، وقد بلغنى عنهم ما لا يليق ، فقال الجاولى :

(١) تركاش ، فارسى الأصل معناه : الكنانة أو الجعبة التى يوضع فيها النشاب (عن كترمير) .
(٢) فى السلوك هنا : « الخطابى » بالباء الموحدة بعد الألف .
(٣) فى السلوك هنا : « وأمر بحبس الخطابى » .

حاشى لله أن يبدُوَ من مماليك السلطان شيء من هـذا، غير أنّ علم مولانا السلطان
محيط بأنّ مُلْك الخلفاء ما زال إلّا بسـبب الكُتّاب ، وغالبُ السـلاطين ما دخل
عليهم الدّخيل إلّا من جهـة الوزراء ، ومولانا السلطان ما يحتاج فى هـذا إلى أن
يعرِّفه أحدٌ بما جَرَى لهم، ومن المصلحة قتلُ هذا الكلب وإراحة الناس منه، فوافقه
٥ الجميع على ذلك، فضُرِب المُخْلِص أخو النّشو فى هـذا اليوم بالمقـارع ، وكان ذلك
فى يوم الخميس رابع عشرين شهر ربيع الأوّل حتّى هَلَك يوم الجمعة العصر، ودُفِن
بمقابر اليهود . ثم ماتت أُمُّهُ عَقيبه . ثم مات ولىّ الدولة عامل المَتْجَر تحت العقوبة
ورُمِى للكلاب؛ هذا والعقوبة تتنوّع على النّشو حتّى هَلَك يوم الأربعاء ثانى شهر
ربيـع الآخر من سـنة أربعين وسبعمائة فوُجِد النّشو بغير خِتَان ، وكُتِب به محضر
١٠ ودُفِن بمقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم ووُكِّل بقبره من يحرسه مدّة أسبوع خوفا
من العامّة أن تَنْبُشَه وتُحْرِقه . وكان مدّة ولايته وجَوْره سبعَ سـنين وسبعةَ أشهر،
ثم أُحضِر ولىُّ الدولة صِهْرُ النّشو . وهـذا بخلاف ولىّ الدولة عامل المَتْجَـر الذى
تقدّم ، وأمر السلطان بعقوبته ، فدلّ على ذخائر النّشو ما بين ذهب وأَوَانٍ ،
فطُلِبت جماعة بسبب ودائع النّشو، وشَمِل الضررُ غيرَ واحد . وكان موجودُ النّشو
١٥ سوى الصندوق الذى أخذه السلطان شيئًا كثيرا جدًّا ، عُمِـل لبيْعه تسعٌ وعشرون
حلْقة ، بلغت قيمتُه خمسةً وسبعين ألف درهم . وكان جملة ما أُخذ منـه سوى
الصندوق نحو مائتى ألف دينار . ووُجِد لولىّ الدولة عامل المَتْجر ماقيمتُه خمسون
ألف دينار . ووُجِد لولىّ الدولة صِهْر النّشو زيادة على مائتى ألف دينار . وبِيعت
للنشو دُورٌ بمائتى ألف درهم . ورَكِب الأمير آقبغا عبد الواحد إلى دُور آل النّشو
٢٠ فخرّبها كلّها ، حتى ساوَى بهـا الأرض وحَرَثها بالمحاريث فى طَلَب الخبايا، فلم يَجِد
بها من الخبايا إلا القليل . انتهى .

وأمّا أصل النشو هذا أنه كان هو ووالده وإخوته يَخْدُمون الأمير بَكْتَمُر الحاجب، فلمّا آنفصلوا من عنده أقاموا بَطّالين مدّة، ثم خَدَم النَّشْو هذا عند الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور فأقام بخدمته إلى أن جمع السلطان في بعض الأيام كُتّاب الأمراء لأمرٍ ما، فرآه السلطان وهو واقف من وراء الجماعة وهو شابٌّ طويلٌ نَصْرَانيّ حُلْو الوجه، فآستدعاه وقال له : إيش آسمك؟ قال: النَّشْو. فقال : أنا أجعلك نَشْوِى ورتّبه مستوفيًا في الجيزة، وأقبلت سعادتُه فيما ندبه إليه وملا عينه، ثم نَقَلَه إلى آستيفاء الدولة فباشر ذلك مدّة حتى آستسلمه الأمير بَكْتَمُر الساقي وسلّم إليه ديوان سيدي آنوك، ثم نَقَله بعد ذلك إلى نظر الخاصّ بعد موت القاضي فخر الدين ناظر الجيش. فإنّ شمس الدين موسى آبن التاج وَلِي الجيش، والنَّشْو هذا ولي عِوضه الخاص. انتهى.

وفي آخر شهر ربيع الآخر نُودِي على الذهب أن يكون صَرْفُ الدينار بخمسة وعشرين درهما، وكان بعشرين درهما. وفي هذه السنة فرغت مدرسة[1] الأمير آقبغا عبد الواحد بجوار الجامع الأزهر، وأَبْلَى الناس في عمارتها ببلايا كثيرة، منها : أنّ الصُّنّاع كان قَرَّرَ عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يومًا في الأُسبوع بغير

(١) هذه المدرسة هي التي ذكرها المقريزي في خططه اسم المدرسة الآقبغاوية (ص ٣٨٣ ج ٢) فقال : إنها بجوار الجامع الأزهر على يسرة من يدخل إليه من بابه الكبير البحري الغربي تجاه المدرسة الطيبرسية. كان موضعها ميضأة الجامع الأزهر ودار الأمير عز الدين أيدمر الحلي نائب السلطنة في أيام الملك الظاهر بيبرس، فهدمها الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وأنشأ مكانها مدرسة.

ولم يذكر المقريزي تاريخ إنشاء هذه المدرسة، وبمعاينتها تبين لي أن الأمير آقبغا بدأ في عمارتها في سنة ٧٣٤ هـ وأتمها في سنة ٧٤٠ هـ كما هو ثابت بالنقش في التجويف العلوي لباب المدرسة، وعلى باب القبة وبدائر المئذنة. وفي سنة ١١٦٧ هـ ألحقها الأمير عبد الرحمن كتخدا القاصد غلى بالجامع الأزهر فأصبحت داخل بابه الغربي المعروف بباب المزينين على يسار الداخل من الباب المذكور. وفي أيام الخديوي عباس حلمي الثاني وقع تعديل في مبانيها الداخلية وجعلت مكتبة عامة للجامع الأزهر.

وذكر المقريزي أن منارة هذه المدرسة هي ثاني منارة بنيت بالحجر في مصر بعد منارة المدرسة المنصورية، والصواب أنه بني قبلها بالحجر منارات أخرى نذكر منها منارة الجامع الطولوني ومنارتي جامع الحاكم.

أجرة، ثم حمل إليها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية، فكانت عمارتُها ما بين نَهْب وسرقة، ومع هذا فإنّه ما نزل إليها قطّ إلا وضَرَب بها أحدًا زيادة على شدّة عَسْف مملوكه الذى أقامه شادًّا بها، فلمّا تمّت جَمَع بهـا القضاة والفقهاء ولم يُوَلِّ بها أحدٌ، وكان الشريف المحتسب قَدّم بها سِماطا بنحو ستة آلاف درهم على أن يلى تدريسها فلم يتمّ له ذلك .

ثم إنّ السلطان نزل إلى خانقاه سِرْياقوس[1] التى أنشأها فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة أربعين وسبعمائة، وقد تَقَدَّمهُ إليها الشيخ شمس الدين محمد [بن][2] الأصفهانى وقوَام الدين الكِرْمانىّ وجماعةٌ من صوفية سعيد السعداء، فوقف السلطان على باب خانقاه سـعيد السعداء بفَرَسه[3]، وخرج إليـه جميعُ صوفيّتهـا ووقفوا بين يديه، فسألهم من يختارونه شيخًا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى

(١) الخانقاه، كلمة فارسية معناها الدار التى يختلى فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعالى . وخانقاه سرياقوس ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٤٢٢ ج ٢) فقال : إن هذه الخانقاه خارج القاهرة من شماليها على نحو بريد منها بأول تيه بنى اسرائيل بسماسم (غضاء) سرياقوس . أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون على بعد فرسخ (فى الشمال الشرقى) من بلدة سرياقوس . بدأ فى عمارتها فى شهر ذى الحجة سنة ٧٢٣ هـ وجعل فيها مائة خلوة لمـائة صوفى وبنى بجانبها مسجدا تقام به الجمعة وحماما ومطبخا تحت هذه العمارة، واحتفل بافتتاحها يوم ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ بحضور الملك الناصر ورتب لهـا الأوقاف الكافية وقد أقبل الناس على البناء والسكنى بجوار هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والخانات والحمامات حتى صارت بلدة كبيرة بأسم خانقاه سرياقوس نسبة إلى هـــذه الخانقاه . وأقول : إن المؤلف ذكر أن هذه الخانقاه أنشئت سنة ٧٤٠ هـ والصواب أن تاريخ إنشائها والاحتفال بافتتاحها هما ما ذكره المقريزى .

ويستفاد ممـا ورد فى كتاب وقف الملك الأشرف برسباى المحرر فى سنة ٨٤١ هـ أن الجامع الذى أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سرياقوس يحـــده من البحرى الغربى الخانقاه النـاصرية وهى خانقاه سرياقوس .

وبالبحث والمعاينة تبين لى أن الخانقاه المذكورة (أى دار الصوفية) قد اندثرت، وكانت واقعة فى الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية أى جنوبى سكن ناحية الخانكة التى كانت تعرف قديما باسم خانقاه سرياقوس وهى اليوم إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وعلى بعد عشرين كيلومترا فى الشمال الشرقى من مدينة القاهرة .

(٢) زيادة عن السلوك. (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ٱبن أحمد بن محمد الأَقْصَرائِيّ فلم يُعَيِّنُوا أحدا، فَوَلَّى السلطان بها الرُّكنَ المَلَطِيَّ خادمَ المجد الأقصرائيّ المتوفّى . وٱنقطع السلطان في هذه الأيام عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوما بسبب شغل خاطره لمرض مملوكه يَلْبُغَا اليَحْيَاوِيّ وملازمته له إلى أن تَعَافَى، وعَمِل السلطان لعافيته سِماطًا عظيمًا هائلًا بالمَيْدَان[1] وأحضر الأمراء، ثم ٱستدعى بعدهم جميع صوفيــة الخوانق والزوايا وأهــل الخير وسائر الطوائف، ومَدّ لهم الأسمطة الهــائلة، وأخرج من الخزائن السلطانية نحوَ ثلاثين ألف درهم، أفرج بها عن المسجونين على دَيْن، وأخرج للأمير يَلْبُغَا المذكور ثلاث حُجُورة[2] بمائتي ألف درهم، وحِياصة ذهب مرصّعة بالجوهر ـ كلّ ذلك لعافية يَلْبُغَا المذكور .

ثمّ في هذه السنة تغيّر خاطرُ السلطان على مملوكه الأمير تَنْكِز نائب الشام، وبلغ تَنْكِز تَغَيُّرُ خاطر السلطان عليه، فجهّز أمواله ليحملها إلى قلعة جَعْبَر[3] ويخرج هو إليها بعــد ذلك بحُجّة أنّه يتصيّد ، فقدِم إليــه الأميرُ طَاجَار الدّوادار قبل ذلك في يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة[4] وعتبه وبلّغه عن السلطان ما حمله من الرسالة، فتغيّر الأمير

---

(١) المقصود هنــا ميدان سر ياقوس الذي ذكره المقريزي في خططه (ص ١٩٩ ج) فقال : إنه واقع شرق ناحيــة سر ياقوس بالقرب من الخانقاه . أنشأه الملك النــاصر محمد بن قلاوون في ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ وبنى فيه قصورا جليلة وعدة منازل للأمراء، وغرس فيه بستانا كبيرا وتم ذلك في سنة ٧٢٥هـ قال : وقد أهمل أمر الميدان حتى خرب وبيعت القصور في صفر سنة ٨٢٥ هـ . ولمــا تكلم المؤلف على المدرسة الرحمانية في هذا الجزء قال : إن بينها وبين الخانقاه ميدانا كبيرا . وقد ذكر في كتاب وقف الملك الأشرف برسباي أن الخانقاه تقع في الحــد البحري (الغربي) للجامع الذي أنشأه الملك الأشرف بناحيــة الخانقاه، وأن المدرسة العبد الرحمانية تقع على الطريق التي عليها باب الجامع المذكور .

وممــا ذكر ومن المعاينة والبحث تبين لي أن ميــدان سر ياقوس كان واقعا في المنطقة التي فيها الآن قرية الخانكة أي في شمال جامع الأشرف برسباي الذي لا يزال موجودا في هــذه القرية الواقعة في شمال القاهرة على بعد ٢٠ كيلومترا منها . (٢) حجورة ، جمع حجر . والحجر : الفرس الأنثى لم يدخلوا فيها الهــاء ، لأنه ٱسم لا يشركها فيه المذكر (عن لسان العرب) . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : «في يوم الأحد رابع عشرين ذي القعدة» . وما أثبتناه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

تَنْكِز و بدأت الوحشة بينه و بين السلطان. وعاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر[1] ذى الحِجّة فأغرى السلطانَ على تَنْكِز وقال : إنه عزم على الخروج من دِمَشْق ، فطلب السلطان بعد الصلاة الأميرَ بَشْتَك والأميرَ بِيبَرْس الأحمدى والأميرَ جَنْكَلِى بن البابا والأميرَ أُرُقْطاى والأمير طُقُزْدَمُر فى آخرين ، وعرّفهم أنّ تنكِز قد خرج عن الطاعة ، وأنه يبعث إليه تجريدةً مع الأمير جَنْكَلِى والأمير بَشْتَك والأميرَ أُرُقْطاى والأمير أرنبغا أمير جانْدار والأمير قُمارِى أمير شِكار والأمير قُمارى أخو بَكْتَمُر[2] الساقى والأمير بَرْسبُغا الحاجب، ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة وخمسون نفرًا من مقدّمى الحلقة وأربعمائة من المماليك السلطانية وجلس وعَرَضهم . ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشرين ذى الحِجّة الأمراء جميعَهم وحلّف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده، وطُلِبت الأجناد من النواحى للحلف، فكانت بالقاهرة حركات عظيمة، وحمّل السلطان لكلّ مقدّم ألف مبلغ ألف دينار، ولكلّ طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حَلْقة ألف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرسًا، وقرقلًا[3] وخوذةً[4]، فاتّفق قدومُ الأمير موسى بن مُهَنّا فقرّر مع السلطان القبضَ على الأمير تَنْكِز، وكتَب إلى العُرْبان بأخذ الطرقات من كلّ جهة على تَنْكِز . ثم بعث السلطانُ بهادُر[5] حَلاوَة من طائفة الأوجاقيّة على البريد إلى غَزّة وصَفَد وإلى أمراء دِمَشْق بملطّفات كثيرة . ثم أخرج موسى بن مُهَنّا لتجهيز العربان و إقامته على حِمْص ، واهتمّ السلطان بأمر تَنْكِز اهتمامًا زائدا جدًّا .

---

(١) فى الأصلين : «فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى القعدة» . وما أثبتناه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية . (٢) فى الأصلين : «ومع هذه الأمراء سبعة وثلاثون أمير طبلخاناه ... الخ» وما أثبتناه عن السلوك . (٣) قرقل : نوع من الدروع (عن دوزى) . (٤) الخودة : المغفر فارسى معرب ويجمع على خوذ . (٥) هو بهادر بن عبد الله الأوجاقى الناصرى الأمير سيف الدين المعروف بحلاوة . ولى إمرة طبلخاناه . توفى سنة ٧٤٤ ﻫ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .

قلت : على قَدْر الصعود يكون الهبوط، ما لتلك الإحسان[1] ؟ والعظمة والمحبة الزائدة لتَنْكِز قبل تاريخه إلا هذه الهمّة العظيمة فى أَخْذه والقَبْض عليه، ولكن هذا شأن الدنيا مع المُغْرَمِين بها ! .

ثم إنّ الملك الناصر كَثُر قلقُه من أمر تَنْكِز وتنغّص عيشه وخرج العسكر المعيّن من القاهرة لقتال تَنْكِز فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذى الحِجّة من سنة أربعين وسبعمائة . وكان حلاوة الأوجاق قَدِم على الأمير أَلْطُنْبُغا[2] الصالحىّ نائب غَزّة بملطّف . وفيه أنّه آستقرّ فى نيابة الشام عِوضًا عن تَنْكِز، وأنّ العسكر واصلٌ إليه ليسيروا به إلى دِمَشْق .

قلت : وأَلْطُنْبُغا نائب غَزّة هو عَدُوُّ تَنْكِز الذى كان تَنْكِز سعى فى أمره حتى عَزَله السلطان من نيابة حلب وولاه نيابة غَزّة قبل تاريخه .

ثمّ سار حلاوة الأوجاق إلى صَفَد وإلى الشام وأوصل الملطّفات إلى أمراء دِمَشْق . ثم وصلتْ كُتُب أَلْطُنْبُغا الصالحىّ إلى أمراء دِمَشْق بولايته نيابة الشام . ثمّ رَكِب الأمير طَشْتَمُر الساقى المعروف بحُمّص أخضر نائب صَفَد إلى دِمَشْق فى ثمانين فارسًا، وآجتمع بالأمير قُطْلُوبُغَا الفخرىّ وسَنْجَر البَشْمَقْدَار[3] و بِيبَرْس السِّلاح دار وآتّفق ركوب الأمير تَنْكِز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق مَيْدان الحصى فى خواصه للنزهة، وبينا هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صَفَد، فعاد إلى دار السعادة[4] وألبس مماليكه السلاح، فأحاط به فى الوقت أمراء دِمَشْق،

(١) كذا فى الأصلين والسلوك . (٢) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٢ ھ .

(٣) البشمقدار، هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير، وهو مركب من لفظين، أحدهما من اللغة التركية وهو بشمق ومعناه النعل . والثانى من اللغة الفارسية وهو دار، ومعناه ممسك فيكون المعنى ممسك النعل (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩) . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من هذا الجزء .

ووقع الصوت بوصول نائب صَفَد ، فخرج عسكر دِمَشْق إلى لقائه وقد نزل بمسجد القَـدَم ؛ فأمر نائب صـفد جماعةً من المماليك الأمراء أن يعـودوا إلى تَنْكِز ويُحرجوه إليـه ، فدخل عليـه جماعة منهم تَمُر الساقى والأمير طُرْنطاى البِشْمقْدار وبيبَرْس السـلاح دار وعرّفوه مرسـوم السلطان فأذْعَن لقِـلّة أُهْبته للركوب ، فإنّ نائب صَـفَد طرَقه على حين غفلة باتّفاق أمراء دِمَشْق ، ولم يجتمع على تَنْكِز إلا عدّةٌ يسيرةٌ من ممـاليكه ، فلذلك سَلّم نفسه فأخذوه وأركبوه إكْدِيشًا وساروا به إلى نائب صَفَد ، وهـو واقف بالعسكر على مَيْـدان الحصى فقبَض عليـه وعلى مملوكَيْـه : جنغاى[2] وطُغاى[3] وسُجِنا بقلعة دِمَشْق ، وأُنْزل تَنْكِز عن فرسـه على ثوب سَرْج وقيّـده وأخذه الأمير بيبَرْس السـلاح دار وتوجّه به إلى الكسوة[4] ، فحصل لتَنْكِز إسهالٌ ورِعْدَةٌ خيف عليه الموت ، فأقام بالكُسْوة يومًا وليـلة ثم مضى به بيبَرْس ، ونزلَ طَشْتَمر حمّص أخضر نائب صَـفَد بالمدرسة النَّجِيبِيّة[5] ، فتقدّم بهادرُ حلاوة عند ماقَبَض على تَنْكِز ليُبشّر السلطان بمَسْك تَنْكِز ، فوصَل إلى بلبيس ليلًا والعسكر نازل بهـا وعرّف الأمير بَشْتَك . ثم سار حتى دخل القـاهرة ، وأعلم السـلطان الخبرَ فسُرّ سرورا زائدا ، وكتب بعَوْد العسـكر من بلبيس إلى القاهرة ما خلا بَشْتَك وأَلْطُنْبُغا وقُطلوبُغا... (sic) خلا بَشْتَك وأُلْقُطاى وبرسبُغَـا الحاجب ، فإنهم يتوجّهون إلى دِمَشْق للحَوْطة

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) هو جنغاى مملوك تنكز . وسط بسوق الخيل بدمشق فى المحرم سـنة ٧٤١ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) .
(٣) هو طغاى أمير آخور تنكز . وسط بسوق الخيل بدمشق على يد بشتك سنة ٧٤١ هـ (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٥) هى لصق مدرسة الشهيد نور الدين محمود وضريحه من جهة الشمال بدمشق . أنشأها الأمير الكبير جمال الدين آقوش بن عبد الله النجيبى الصالحى . وكان آقوش هذا محبا للعلماء كثير الصدقات عنده فضل وبر . توفى فى خامس ربيع الآخر سنة ٦٦٧ هـ كما فى المنهل الصافى ومختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس . وفى شـذرات الذهب والنجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية أنه توفى سـنة ٦٧٧ هـ وقد درّس بهذه المدرسة أجلة من العلماء منهم شمس الدين ابن خلكان وابن كثير .

على مال تَنْكِز وأن يُقيم الأمير بيغرا أمير جاندار والأمير قُمارِى أمير شِكار بالصالحية[1] إلى أن يَقْدَم عليهما الأمير تَنْكِز. وعاد جميع العسكر إلى الديار المصرية، وسار بَشْتَك ورفيقاه إلى غَزة فركب معهم الأمير أَلْطُنبُغا الصالحىّ إلى نحو دِمَشْق فلقُوا الأمير تَنْكِز على حُسْبان[2] فسلّموا عليه وأكرموه، وكان بَشْتَك لما سافر من القاهرة صحبة العسكر كان فى ذلك اليوم فراغ بناء قصره[3] الذى بناه ببين القصرين فلم يدخله برِجله، وآشتغل بما هو فيه من أمر السفر، فشرَع السلطان فى غَيْبته فى تحسين القصر المذكور. وكان سبب عمارة بَشْتَك لهذا القصر أنّ الأمير قَوْصُون لمّا أخذ قصر بَيْسَرِى[4] وجدّده أحبّ الأمير بَشْتَك أن يعمل له قصرا تجاه قصر بَيْسَرِى ببين القصرين، فدُلّ على دار الأمير بَكْتَاش الفخرى أمير سلاح. وكانت[5] أحد قصور الخلفاء

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٢) فى السلوك: «على بيسان». وحسبان قاعدة عمل البلقاء، وهى بلدة صغيرة ولها واد، وأشجار وزروع (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل وصبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٦). (٣) هذا القصر هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم قصر بشتاك (ص ٧٠ ج ٢) فقال: إن هذا القصر هو من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان مسكنا للخلفاء الفاطميين واقع تجاه الدار البيسرية أصله دار الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح. ثم آشتراها الأمير بشتاك من ورثة بكتاش المذكور وأضاف إليها قطعة من حقوق بيت المال. ثم دار أقطوان الساقى، وبنى الجميع قصرا بجاء من أعظم مبانى القاهرة، فإن آرتفاعه أربعون ذراعا والماء يجرى من أعلاه، وله شبابيك تشرف على شارع القاهرة.

بدأ بشتاك فى بنائه والحوانيت التى بأسفله والخان المجاور له فى سنة ٧٣٥ هـ وأتمه فى سنة ٧٣٨ هـ. وذكر مؤلف هذا الكتاب أن بشتاك أتمه فى سنة ٧٤٠ هـ.

وأقول: إنه مع مضى أكثر من ستة قرون على هـذا القصر لا يزال قائما يشرف على شارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقا) بالقاهرة. وكان بابه القديم مكان باب البحر أحد أبواب القصر الكبير الشرقى. وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضى تجاه جامع الملك الكامل بشارع المعز لدين الله. وأما الباب الحالى للقصر فهو على يمين الداخل بدرب قرمز. ومما يلفت النظر فى هذا القصر آرتفاعه والقاعة الكبيرة التى فى الدور الأول فوق زاوية بين القصرين والدكاكين المجاورة لها وهى من أكبر وأفخم القاعات القديمة فى القاهرة.

(٤) هو بداخله دار بيسرى السابق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١٨٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.
(٥) فى الأصلين: «وكان أحد قصور الخلفاء الفاطميين الذى اشتراه ... الخ». وما أثبتناه عن السلوك.

الفاطميين التى آشتراها من ذريتهم وأنشأ بها الفخرى دورا وإسطبلات، وأبقى ما كان بها من المساجد، فشاور بَشْتَك السلطان على أخذها فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بَكْتَاش وأرضاهم وأنعم عليهم، وأنعم السلطان عليه بأرض كانت داخلها برسم الفراشخاناه[1] السلطانية. ثم أخذ بَشْتَك دار أقطوان الساقى بجوارها، وهدم الجميع وأنشأه قصرا مطلًّا على الطريق وآرتفاعه أربعون ذراعا، وأجرى إليه الماء يترل إلى شَاذَرْوَان[2] إلى بركة به. وأخرب فى عمله أحد عشر مسجدا وأربعة معابد أدخلها فيه، فلم يجدد منها سوى مسجد[3] رَفَعَه وعَمِله معلّقا[4] على الشارع.

---

(١) الفراش خاناه، ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على الفرش من البسط والخيام، ولها مهتار (كبير أمناء مخزن الفراش خاناه) يعرف بمهتار الفراش خاناه، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصدون للخدمة فيها فى السفر والحضر، يعبر عنهم بالفراشين، وهم من أمهر الغلمان وأنهضهم، ولهم دربة عظيمة فى نصب الخيام، حتى إن الواحد منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له فى ذلك. ولهم معرفة تامة بشد الأحمال التى تحمل فى المراكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمس عشرة ذراعا. (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١١). (٢) الشاذروان، هو الذى ترك من عرض الأساس خارجا، ويسمى تأزيرا، لأنه كالإزار للبيت وهو دخيل (عن شفاء الغليل والألفاظ الفارسية المعرّبة).

(٣) هذا المسجد هو الذى ذكره المقريزى فى خططه باسم مسجد الفجل (ص ٤١٣ ج ٢) فقال: إنه بخط بين القصرين، أصله من مساجد الخلفاء الفاطميين. ثم جدده على ما هو عليه الأمير بشتاك لما أخذ قصر أمير سلاح ودار أقطوان الساقى وأحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من عمارة الخلفاء وأدخلها كلها فى قصره ولم يترك من المساجد والمعابد سوى هذا المسجد، ويجلس فيه بعض نواب القضاة المالكية للحكم بين الناس وتسميه العامة مسجد الفجل لأن الذى كان يقوم به يعرف بالفجل. وأقول: إن هذا المسجد لا يزال موجودا الى اليوم تحت قصر بشتاك، وقد جدده هذا الأمير فى سنة ٧٣٥ هـ، كما هو ثابت بالحفر على بابه المكتشف حديثا بشارع المعز لدين الله. وللمسجد باب آخر بأوّل درب قرمز ويعرف هذا المسجد بزاوية قصر بشتاك أو زاوية بين القصرين أو زاوية محمد الكخية. ولما تكلم صاحب الخطط التوفيقية على درب قرمز (ص ١٣ ج ٢). قال: وبأوله زاوية جديدة لم يكمل بناؤها فى حين أن هذه الزاوية واقعة تحت قصر بشتاك الذى لا يزال قائما من سنة ٧٣٥ هـ الى اليوم. ثم لما تكلم صاحب الخطط المذكورة على مسجد الفجل (ص ٤٧ ج ٦) قال: إنه هو الذى يعرف اليوم بزاوية معبد موسى فى حين أن هذا المعهد واقع بأوّل شارع التمبكشية ومسجد الفجل بأوّل درب قرمز وكلاهما موجود. وقد ذكرهما المقريزى، ومما ذكره يتبين أن ما ورد فى الخطط التوفيقية بشأن مسجد الفجل ليس بصحيح. (٤) أى إنه مبنى فوق دور أرضى، يشمل زاوية للصلاة وعدة دكاكين وليس على الأرض فى مستوى الطريق كما هو الجارى.

وفى هـذه الأيام ورَد الخبر على السلطان من بلاد الصعيد بموت الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان بقُوص فى مستهلّ شعبان، وأنّه قد عَهِدَ إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عَدْلًا، وأثبت قاضى قُوص ذلك، فلم يُمْضِ السلطان عهدَه، وطلَب إبراهيم بن محمد المستمسك آبن أحمد الحاكم بأمر الله فى يوم الآثنين ثالث [عشر][1] شهر رمضان، وآجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرّفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم فى الخلافة وأمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليّته، وأنّ المستكفى عَهِد إلى ولده، وآحتجُّوا بما حَكَم به قاضى قُوص، فكتَب السلطان بقدوم أحمد المذكور. وأقام الخُطباء بالقاهرة ومصر نحوَ أربعة أشهر لا يذكرون فى خطبتهم الخليفة. فلمّا قَدِم أحمد المذكور من قُوص لم يُمْضِ السلطان عَهْده وطلَب إبراهيم وعرّفه قُبْحَ سيرته فأظهر التّوبة منها، وآلتزم سلوك طريق الخير، فآستدعَى السلطانُ القُضاة وعرّفهم أنه قد أقام إبراهيم فى الخلافة، فأخذ قاضى القضاة عِز الدين [عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله][2] بن جماعة يُعرّف السلطان عدم أهليّته، فلم يَلْتفِت السلطان اليه، وقال: إنّه قد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنبَ له؛ فبايعوه ولُقّب بالواثق، وكانت العامة تُسمّيه المستعطى، فإنه كان يستعطى من الناس ما يُنفِقه.

ثم وصل الأمير تَنْكِز إلى الديار المصرية فى يوم الثلاثاء ثامن[3] المحرّم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وهو مُتَضَعّف صحبةَ الأمير بِيبَرْس السّلاح دار، وأُنْزِل بالقلعة فى مكان ضيّق، وقصد السلطانُ ضَرْبه بالمقارع، فقام الأمير قَوْصُون فى شفاعته حتّى أُجيب إلى ذلك. ثم بعث السلطان إليه يُهَدّده حتّى يَعترف بما له

(١) تكملة يقتضيها المقام لأن أول رمضان سنة ٧٤٠ هـ كان يوم الأربعاء كما فى التوفيقات الإلهامية.
(٢) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة. توفى سنة ٧٦٧ هـ.
(٣) فى الأصلين: «سابع». وما أثبتناه عن التوفيقات الإلهامية.

من المـال ويذكُرَله مَنْ كان موافقًـا له من الأمراء على العِصْيان، فأجاب بأنّه لا مالَ له سوى ثلاثين ألف دينـار وَدِيعةً عنـده لأيتام بَكْتَمُر الساقى، وأنكر أن يكون خَرَج عن الطاعة، فأمر به السلطانُ فى اللّيـل فأُخْرِج مع المُقَدّم آبن صابر وأمير جَانْدار فى حَرّاقة إلى الإسكندرية، فقتله بها المقدّم آبن صابر فى يوم الثلاثاء نصف المحرّم من سـنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وتأتى بقيّـة أحواله . ثم لمّا وصل الأميرُ بَشْتك إلى دِمَشْق قَبَض على الأمير صارُوجا[(1)] والجيبغا[(2)] [بن عبـد الله][(3)] العادلى وسُلّما إلى الأمير بَرسبُغَا فعاقبهما أشدّ عقوبة على المـال، وأوقع الحَوْطَة على موجودهما . ثم وَسَّطَ بَشْتَك جنغاى وطغاى مملوكى تَنْكِز وخواصّـه بسوق خَيْل دِمَشْق ، وكان جنغاى المذكور يُضاهى أُسـتاذَه تَنْكِز فى موكبه وَبَرْكه، ثمّ أَكْحَل صارُوجا وتَتَبّـعَ أموال تَنْكِز فوجد له ما يَجِلّ وصفُه ، وعُمِلت لبيع جواصله عدّةُ حِلَق، وتَوَلّى البيعَ فيها الأميرُ أُلْطُنْبُغَا الصالحىّ نائب دِمَشْـق والأمير أَرُقْطَاى وهما أعدى عدوّ لتَنْكِز . وكان تَنْكِز أميرًا جليـلًا محترمًا مُهابًا عفيفا عن أموال الرعيّـة حسن المباشرة والطريقة، إلّا أنّه كان صَعْبَ المِراس ذَا سَطْوة عظيمة وحُرْمة وافرة على الأعيان من أرباب الدولة، متواضعًا للفقراء وأهل الخير، وأوقف عِدّة أوقاف على وجوه البِرّ والصدقة .

وقال الشيخ صلاح الدين الصَّفَدِىّ: جُلِب تَنْكِز إلى مصر وهو حَدَث فنشأ بها، وكان أبيضَ إلى السُّمْرة أقرب، رَشِيق القَدّ مليح الشعر خفيف اللّحيـة قليل الشيب حسن الشكل ظريفه . جَلَبه الخواجا علاء الدين السِّيوَاسِىّ فآشتراه الأمير

---

(١) هو صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفرى . توفى سنة ٧٤٣ هـ . (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) . (٢) كذا فى السلوك والدرر الكامنة . وفى الأصلين والمنهل " بافى : « الجبغا » وهو تحريف توفى سنة ٧٥٤ هـ . (٣) الزيادة عن المنهل الصافى .

لاجين، فلمّا قُتِل لاجين فى سلطنته صار من خاصّكيّة الملك الناصر وشهد معه وقعة ولدى الخازندار ثم وقعة شَقْحَب .

قلت : ولهذا كان يُعرف تَنْكِز بالحُسَامِىّ .

قال : وسَمِع تَنْكِز صحيحَ البخارى غيرَ مرّة من ابن الشِّحْنَة[1] وسَمِع كتابَ [معانى][2] الآثار للطّحاوِىّ ، وصحيحَ مُسْلِم ، وسمع من عيسى المُطَعِّم[3] وأبى بكر بن عبد الدائم[4]، وحدّث وقرأ عليه بعض المحدّثين ثُلاثيّات البخارى بالمدينة النبويّة[5]. قال : وكان الملك الناصر أمّره إمْرة عشرة قبل توجّهه إلى الكَرَك ، ثم ساق توجُّهَه مع الملك الناصر إلى الكرك وخروجَه من الكَرَك إلى مصر وغيرهما إلى أن قال : وولّاه السلطان نيابة دمشق فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة فأقام بدِمَشق نائبا ثمانيا وعشرين سنة، وهو الذى عمّر بلاد دِمَشق ومهّد نواحيها ، وأقام شعائر المساجد بها بعد التتار .

قلت : وأمّا ما ظهر له من الأموال وُجِدله من التُّحَف السنيّة ومن الأقمشة مائتا منديل زَرْكش . وأربعمائة حِياصة ذهب . وستمائة كَلُفتاه زَرْكَش . ومائة حِياصة ذهب مرصّعة بالجوهر . وثمان وستون بقجة بدلات ثياب زركش . وألفا ثوب

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أبى طالب بن أبى النعيم نعمة بن حسن بن على بن بيان الدمشقى الصالحى الحجار المعروف بابن الشحنة وبالحجار . ولد سنة ٦٢٤ هـ، وتوفى فى صفر سنة ٧٣٠ هـ . (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى وشرح القاموس) . (٢) زيادة عما تقدم ذكره فى الكلام على وفاة الطحاوى فى الجزء الثالث ص ٢٣٩ من هذه الطبعة . وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية إحداهما مخطوطة فى أربعة أجزاء تحت رقم [٤٦١ حديث] . والأخرى فى مجلدين مطبوعة فى الهند سنة ١٣٢٩ هـ . تحت رقم [١٧٠٢ حديث] . ويوجد منها بعض أجزاء من نسخ أخرى غير كاملة بأرقام مختلفة . والطحاوى هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك تقدمت وفاته فى سنة ٣٢١ هـ .

(٣) هو عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن أحمد أبو محمد المقدسى ثم الصالحى الحنبلى السمسار المطعم كان يطعم الأشجار، وسار الى بغداد وطعم بستان المستعصم . توفى فى ذى الحجة سنة ٧١٧ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٤) هو أبو بكر ابن الشيخ المسند المعمر زين الدين أبى العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧١٨ هـ . (٥) فى الأصلين والمنهل الصافى : « وحدّث وقرأ عليه المقريزى ثلاثيات البخارى بالمدينة النبوية » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن الدرر الكامنة .

أطلس ، ومائتا تخفيفة زركش ، وذهب مختوم أربعمائة ألف دينار مصرية . ووُجد له من الخيل والهُجُن والجمال البَخَاتِيّ وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتى رأس؛ وذلك غيرُ ما أخذه الأمراء ومماليكهم ، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبا . ووُجد له من الثياب الصوف ومن النَّصافى[1] ما لا ينحصر . وظَفِر الأمير بَشْتك بجوهر له ثمين آختصّ به . وحُمِلت حُرَمُه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بَيْغَرا ، بعد ما أُخِذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزَّرْكش شىءٌ كثير .

وأمّا أملاكه التى أنشأها فشىء كثير . وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبك الصفدىّ فى تاريخه — وهو معاصره — قال : ورد مرسومٌ شريفٌ إلى دِمَشْق بتَقْويم أملاك تَنْكِز فعُمِل ذلك بالعدول وأرباب الخِبْرة وشهود القيمة، وحضرت بذلك محاضر إلى ديوان الإنشاء لتجهّز إلى السلطان ، فنقلتُ منها ما صورتُه :

« دار الذهب بمجموعها وإسطبلاتها ستمائة ألف درهم . دار الزُّمُرُّد مائتا ألف وسبعون ألف درهم . دار الزَّرْدكَاش [وما معها][2] مائتا ألف وعشرون ألف درهم . الدار التى بجوار جامعه[3] بدِمَشْق مائة ألف درهم . الحمّام التى بجوار جامعه مائة ألف درهم . خان العرصة مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم . إسطبل حِكْر السماق عشرون ألف درهم . الطبقة التى بجوار حمّام آبن يُمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم . قَيْسارية المرحّلين[4] مائتا ألف وخمسون ألف درهم . الفرن والحوض بالقَنَوات من غير أرض عشرة آلاف درهم . حوانيت التعديل ثمانية آلاف درهم[5] . الأهْرَاء من

(١) النصافى جمع نصفية ، وهى ثياب تصنع من نسيج مأخوذ من الحرير والكتّان (عن دوزى) .
(٢) زيادة عن المنهل الصافى وفوات الوفيات لآبن شاكر .
(٣) أنشأ هذا الجامع الأمير تنكز بحكر السماق بدمشق سنة ٧١٧ هـ . (عن الدرر الكامنة وكتاب مختصر تنبيه الطالب) .
(٤) فى فوات الوفيات : « قيسارية المرحليين » .
(٥) فى فوات الوفيات : « عشرة آلاف درهم » .

إسطبل بَهَادُرَص[1] عشرون ألف درهم . خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة آلاف درهم . حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم . حمّام القابون[2] عشرة آلاف درهم . حمّام العُمَرِىّ ستة آلاف درهم . الدهشة[3] والحمّام مائتا ألف وخمسون ألف درهم . بُستان العادل مائة ألف وثلاثون[4] ألف درهم . بُستان النّجيبىّ والحمّام والفُرْن مائة ألف درهم وثلاثون ألف درهم . [بستان الحلبى[5] بحَرَستا[6] أربعون ألف درهم] . الحدائق بها مائة ألف وخمسة[7] وستون ألف درهم . بستان القُوصىّ[8] بها ستون ألف درهم . بستان الدردوزية[9] خمسون ألف درهم . الجُنَيْنة المعروفة بالحمّام سبعة آلاف درهم . بستان الرزاز[10] خمسة وثمانون[11] ألف درهم . الجنينة وبستان غيث ثمانية[12] آلاف درهم . المزرعة المعروفة بتهامة بها (يعنى دمشق) ستون ألف درهم . مزرعة الركن النوبىّ والعِبْرى[13] مائة ألف درهم . الحصّة بالدفوف القبلية بكَفَر بَطْنا[14] ، ثلثاها ثلاثون ألف درهم . بستان السفلاطونى[15] خمسة وسبعون ألف درهم . الفاتكيات والرشيدى والكروم بزَمَلْكا[16] مائة ألف درهم وثمانون ألف

---

(١) فى فوات الوفيات : « عشرة آلاف درهم » . (٢) فى فوات الوفيات : « عشرون ألف درهم » . (٣) فى فوات الوفيات : « الدهيشة » .

(٤) فى فوات الوفيات : « وثمانون ألف درهم » . (٥) زيادة عن المنهل الصافى وفوات الوفيات . غير أن رواية فوات الوفيات « بستان الجيلى بحرستا ألف درهم » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٧) فى فوات الوفيات : «وخمسة وأربعون ألف درهم» . (٨) فى أحد الأصلين : «بستان الفرضى» . وأما الأصل الآخر فلم ترد فيه هذه العبارة . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وفوات الوفيات . (٩) كذا فى الأصلين . وفى المنهل الصافى : « الدردوز يدين » . وفى فوات الوفيات : « الدردور يز يدين » .

(١٠) فى فوات الوفيات : « بستان الرزال » . (١١) فى فوات الوفيات : « وخمسة وثلاثون ألف درهم » . (١٢) فى فوات الوفيات : « ثمانون ألف درهم » .

(١٣) فى فوات الوفيات : « البوق والعنبرى » . وفى المنهل الصافى : « البوق والبرى » .

(١٤) كفر بطنا : من قرى غوطة دمشق (معجم البلدان لياقوت) . (١٥) فى المنهل الصافى : « بستان السقلاطونى » بالقاف . (١٦) زملكا هى زملكان . وأهل الشام يقولون زملكا بفتح أوله وثانيه وضم لامه والقصر . لا يلحقون به النون ، قرية بغوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

درهم . مزرعة المريع[1] بقابون[2] مائة ألف وعشرة آلاف درهم . الحصّة من غِراس غيضة[3] الأعجام عشرون ألف درهم . نصف الضيعة[4] المعروفة بزرنيـة[5] خمسة آلاف درهم . غِراس قائم فى جِوار دار الحالق ألفا درهم . النصف من خراج[6] الهـامة ثلاثون ألف درهم . الحوانيت التى قُبالة الحمّام[7] مائة ألف درهم . بَيْدَر تبـدين[8] ثلاثة وأربعون ألف درهم . الإصـطبلات التى عند الجامع ثلاثون ألف درهم . أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم . القصر وما معه خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم . ربع ضيعة القصرين[9] ثمانية[10] وعشرون ألف درهم . نصف بوّابة مائة وثمانون ألف درهم . العلانية بعيون الفارسنا[11] ثمانون ألف درهم . حِصّة دير آبن عصرون خمسة وسبعون ألف درهم . حصّة دُويرة الكُسْوة[12] ألف وخمسمائة درهم . الدَّيْر الأبيض خمسون ألف درهم . العديل[13] مائة ألف وثلاثون ألف درهم . حوانيت أيضـا داخل باب الفرج أربعون ألف درهم . التنورية آثنان وعشرون ألف درهم .

---

(١) كذا فى أحد الأصلين والمنهل الصافى . وفى الأصـل الآخر : « مزرعة المريع بقانون » . وفى فوات الوفيات : « مزرعة المرقع » . (٢) قابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى تصحيحات فوات الوفيـات : « من غراس غيطة الأعجـام » . (٤) فى فوات الوفيات : «نصف الغيطة» .

(٥) كذا فى المنهل الصافى وأحد الأصلين . وفى الأصل الآخر «بروينة» . وفى فوات الوفيات : « بزريـة » . (٦) فى فوات الوفيـات : « من غراس الهـامة » .

(٧) فى فوات الوفيات : «قبالة الجامع» . (٨) فى فوات الوفيات : «بيدرز بردين» .

(٩) فى الأصلين : « وربع القصرين ضيعة . الخ » وما أثبتناه عن فوات الوفيات .

(١٠) فى المنهل الصافى وفوات الوفيات : « مائة وعشرون ألف درهم » .

(١١) كذا فى الأصـلين . وفى المنهل الصافى : « الفارسيـا » وفى فوات الوفيات : « بعيون ألقاسها » . (١٢) فى المنهل الصافى : « حصة دوير اللبوة » . وفى فوات الوفيات « حصة دوير اللبن » . (١٣) فى فوات الوفيات : « العزيل » .

الأملاك التى له بحمص : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم . الحوانيت سبعة آلاف درهم . السريع[(١)] ستون ألف درهم . الطاحون الراكبة على العاصى ثلاثون ألف درهم . دور قبجق[(٢)] خمسة وعشرون ألف درهم . الخان مائة ألف درهم . الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم[(٣)] . الحوش الملاصق له ألف وخمسمائة درهم . المناح ثلاثة آلاف درهم . الحوش الملاصق للخندق ثلاثة آلاف درهم . حوانيت العريضة[(٤)] ثلاثة آلاف درهم . الأراضى المحتكرة سبعة آلاف درهم .

والتى فى بيروت : الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم . الحوانيت والفرن مائة وعشرون ألف درهم . المصبنة[(٥)] بآلاتها عشرة آلاف درهم . الحمام عشرون ألف درهم . المسلخ[(٦)] عشرة آلاف درهم . الطاحون خمسة آلاف درهم . قرية زلايا خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى التى بالبقاع : مرج الصفا سبعون[(٧)] ألف درهم . التل الأخضر مائة ألف وثمانون ألف درهم . المباركة خمسة وسبعون ألف درهم . المسعودية[(٨)] مائة[(٩)] ألف درهم . الضياع [الثلاث][(١٠)] المعروفة بالجوهرى أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم . السعادة أربعمائة ألف درهم . أبروطيا ستون ألف درهم . نصف بيرود[(١١)] والصالحية

(١) فى فوات الوفيات : « الربع » . (٢) كذا فى فوات الوفيات . وفى الأصلين : « زور قبجق » . (٣) فى فوات الوفيات : « ستون ألف درهم » . (٤) فى أحد الأصلين : « حوانيت العريصة » بالصاد ، وضبطت العين بضمة . (٥) كذا فى المنهل الصافى وتصحيحات فوات الوفيات . وفى الأصلين : « المصبة » . (٦) كذا فى الأصلين وفوات الوفيات . وفى المنهل الصافى : « زلابا » بالباء الموحدة . (٧) فى المنهل الصافى وفوات الوفيات : « سبعمائة ألف درهم » . (٨) فى أحد الأصلين : « الشفورية » . وفى الأصل الآخر : « الشنورية » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وفوات الوفيات . (٩) فى فوات الوفيات : « مائة ألف وعشرون ألف درهم » . (١٠) زيادة عن فوات الوفيات . (١١) فى فوات الوفيات : « نصف تبرود الصالحة والحوانيت » . وفى أحد الأصلين : « نصف يرود » .

والحوانيت أربعمائة ألف درهم . المباركة والناصرية مائة ألف درهم . رأس[١] الماء سبعة وخمسون ألف درهم . حصّة من خَربة[٢] روق آثنان وعشرون ألف درهم . رأس الماء والدلى بمزارعها خمسمائة[٣] ألف درهم . حمام صَرْخد[٤] خمسة وسبعون ألف درهم . طاحون الغور[٥] ثلاثون ألف درهم . السالمية ثلاثة[٦] آلاف درهم .

الأملاك بِقَارا[٧] : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم . الْمُرَى[٨] ستمائة ألف درهم . الصالحية والطاحون والأراضى مائتا[٩] ألف درهم وخمسة وعشرون ألف درهم . راسليا[١٠] ومزارعها مائة وخمسة وعشرون ألف درهم . القضيبة[١١] أربعون ألف درهم . القريتان المعروفة إحداهما بالمزرعة ، والأخرى بالبينسية[١٢] تسعون ألف درهم ؛ هذا جميعه خارج عما له من الأملاك على وجوه البر والأوقاف فى صَفَد وعَجْلُون والقدس ونابلس والرملة[١٣] والديار المصرية . وعمّر بصفد بمارستانا مليحا . وعمّر بالقدس رِباطا وحمامين وقياسر . وله بجلجولية[١٤] خان مليح ، وله بالقاهرة دار[١٥] عظيمة بالكافورى » .

---

(١) فى فوات الوفيات : «رأس المسابر الروس ... الخ» . (٢) فى فوات الوفيات : « من خربة روف » . (٣) فى فوات الوفيات : « خمسة آلاف درهم » .
(٤) فى فوات الوفيات : «خمسون ألف درهم» . (٥) فى المنهل الصافى وفوات الوفيات : « القوار » . (٦) فى المنهل الصافى وفوات الوفيات : « سبعة آلاف درهم » .
(٧) قرية كبيرة بين دمشق وحمص على نحو منتصف الطريق ، وهى منزلة للقوافل ، وغالب أهلها نصارى ، وهى عن حمص على مرحلة ونصف وعن دمشق على مرحلتين (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل وصبح الأعشى ج ٤ ص ١١٢ ومعجم البلدان لياقوت) . (٨) فى أحد الأصلين : « المرى » . وفى الأصل الآخر : « المزى » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وفوات الوفيات .
(٩) فى فوات الوفيات : «مائة ألف ... الخ» . (١٠) كذا فى الأصلين . وفى المنهل الصافى : « راسليا » . وفى فوات الوفيات : « راسليتا » . (١١) كذا فى أحد الأصلين والمنهل الصافى . وفى الأصل الآخر : «القصبية» . وفى فوات الوفيات : « القصيبية » . (١٢) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . وفى فوات الوفيات . « والأخرى بالنيسية » . (١٣) مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها ، وكانت قصبة فلسطين ، بينها و بين القدس مسيرة يوم و بينها و بين نابلس يوم (صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٩) . (١٤) فى شرح القاموس أن جلجوليا قرية بفلسطين . (١٥) راجع الحاشيتين رقمى ١ و ٢ ص ١٢٩ من هذا الجزء .

قلت : هى دار عبد الباسط بن خليل الآن . وحمّام وغير ذلك من الأملاك .
انتهى كلام الشيخ صلاح الدين بآختصار .

قلت : وكان لتغيّر السلطان الملك الناصر على تَنْكِز هذا أسباب، منهـا : أنه كَتَب يستأذنه فى سـفره إلى ناحية جَعْبَر[1] فمنعه السلطان من ذلك لمـا بتلك البلاد من الغلاء، فألحّ فى الطلب، والجوابُ يرد عليه [بمنعه][2] حتى حَنِق تَنْكِز وقال : والله لقد تغيّر عقلُ أستاذنا وصار يسمَع من الصبيان الذين حوله ،والله لو سَمِـع منى لكنتُ أشرتُ عليه بأن يُقيم أحدًا من أولاده فى السلطنة وأقوم أنا بتـدبير مُلْكه ، ويبقى هو مستريحًا . فكتب بذلك جَرِكْتَمُر إلى السلطـان، وكان السلطان يتخيّل بدون هذا فأثر[3] هذا فى نفسه، ثم آتفق أن أُرْتَنَا[4] نائب بلاد الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه ، ولم يكتب معه كتابا لتَنْكِز، فحَنِق تَنْكِز لعدم مكاتبته وردّ رسوله من دَمشق ، فكتب أُرْتَنَا يُعرِّف السلطان بذلك، وسأل ألّا يطّلع تَنْكِز على ما بينه وبين السلطان . ورماه بأمور أوجبت شدّة تغيّر السلطان على تَنْكِز،ثم آتفق أيضا غضبُ تنكز على جماعة من مماليكه ، فضربهم وسجنهم بالكَرَك[والشَّوبَك][5]فكَتَب منهم جُوبان وكان أكبرَ مماليكه إلى الأمير قَوْصُون يتشفّع به فى الإفراج عنهم من سجن الكَرَك ، فكلّم قَوْصُون السلطان فى ذلك فكتب السلطان إلى تَنْكِز يشفع فى جُوبان فلم يُجب عن أمره بشىء، فكتب إليه ثانيا وثالثا فلم يُجبه، فآشتدّ غضب السلطان حتّى قال للأمراء : ما تقولون فى هذا الرجل؟ هو يشفع عندى فى قاتل أخى فقبلتُ شفاعته،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) زيادة عن السلوك .
(٣) فى الأصل الآخر والسلوك : « فأثر فى نفسه منه شيئا » . ولعل كلمة « فأثر » محرفة عن كلمة «فأسر» بالسين أى كتم هذا فى نفسه . (٤) ولى أرتنا نيابة الروم من قبل القان بو سعيد التتارى ، وآستمر أرتنا نائبا لمملكة الروم إلى أن آستقل بها فى سنة ٧٣٨ هـ . ثم صار يوالى الناصر محمـد بن قلاوون وكتب له السلطان تقليدا فأرسل له خلعا وكان حسن الإسلام . توفى سنة ٧٥٣ هـ . (عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى) . (٥) زيادة عن السلوك .

وأخرجتُه من السجن وسيّرتُه إليه يعني (طَشْتَمُر أخا بَخَاص)، وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعتي! وكتَب السلطان لنائب الشَّوبك بالإفراج عن جُوبان المذكور فأُفرج عنه فكان هذا وما أشبهه الذي غيّر خاطر السلطان الملك الناصر على مملوكه تَنْكِز. انتهى.

ثم اشتغل السلطان بموت أعزّ أولاده الأمير آنوك في يوم الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر بعد مرض طويل، ودُفِن بتربته(١) الناصرية بين القصرين، وكان لموته يومٌ مهول، نزل في جنازته جميعُ الأمراء، وفعلتْ والدته خَوَنْد طُغاى خيراتٍ كثيرة وباعت ثيابَه وتصدّقت بجميع ما تحصّل منها.

ثم إنّ السلطان ركب في هذه السنة، وهي سنة إحدى وأربعين إلى بِرْكة(٢) الحبش خارج القاهرة، وصحبته عِدّةٌ من المهندسين وأمر أن يُحفر خليجٌ(٣) من البحر إلى حائط الرَّصد(٤)، ويُحفر في وسط الشرف المعروف بالرصد عشْر آبار،

(١) أي دفن بالمدرسة الناصرية التي أنشأها والده الملك الناصر محمد بن قلاوون. وقد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٢) سبق التعليق عليها في الاستدراك الوارد في ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٣) لما تكلم المقريزي على ذكر المياه التي بقلعة الجبل (ص ٢٢٩ ج ٢) قال: وأمر الملك الناصر بحفر خليج صغير يخرج من البحر (النيل) ويمر إلى حائط الرصد وأن ينقر في الحجر تحت الرصد عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور ثم تنقل المياه من الآبار بواسطة سواق لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة، فحفر الخليج ونقرت الآبار لزيادة [illegible] فيها. ومات الملك الناصر قبل تمام هذا العمل فبطل ذلك وأنطم الخليج وهدمت السواقي فجهل الناس أمرها ونسوا ذكرها. فمن هذا ومما ذكره المؤلف من أن الخليج شق من بحرى رباط الآثار ومروا به في وسط بستان المعشوق يتبين أن الخليج المذكور كان يخرج من النيل في شمال جامع أثر النبي بقرية أثر النبي الواقعة جنوبي مصر القديمة ثم يسير إلى الشرق إلى حائط جبل الرصد الذي يعرف اليوم بجبل إسطبل عنتر. (٤) تكلم المقريزي في خططه على الرصد (ص ١٢٥ ج ١) فقال: إن هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة، ومن قبليه على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يوصل إليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود. وكان يقال له الجرف، ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد. وبالبحث تبين لي أن جبل الرصد هو الذي يعرف اليوم بجبل إصطبل عنتر تجاه قرية أثر النبي جنوبي مصر القديمة، ويعلوه الآن مبنى حدده محمد على الكبير وجعله مخزنا للبارود باسم جبخانة أثر النبي، ويقال طابية أثر النبي وتسميه العامة إصطبل عنتر وإليه ينسب جبل الرصد المذكور. وأن حائط الرصد الذي يشير إليه المؤلف هو جبهة الجبل الغربية التي تشرف على قرية أثر النبي.

كلّ بئر نحو أربعين ذراعا تُرَكّب عليها السواقى، حتى يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة ليكثُر بها الماء ، وأقام الأميرَ آقبغا عبد الواحد على هذا العمل، فشقّ الخليج من بحرى رِباط الآثار (١) ومرّوا به فى وسط بُستان (٢) الصاحب تاج الدين ٱبن حِنّا المعروف بالمعشوق، وهُدِمت عدّةُ بيوت كانت هناك ، وجُعل عُمق الخليج أربع قصبات ، وجُمعت عدّة من الحجّارين للعمل ، وكان مُهمًّا عظيمًا . ثم أمَر السلطان بتجديد جامع (٣) راشدة فجُدِّد وكان قد تهدّم غالبُ جُدُرِه .

ثم ٱبتدأ توعُّك السلطان ومَرِض مَرَض موته، فلمّا كان يوم الأربعاء سادس ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة قَوِى عليه الإسهال، ومَنَع الأمراء من الدخول عليه فكانوا إذا طلعوا إلى الخدمة خرج إليهم السلام مع أمير جاندار عن

---

(١) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤٢٩ ج ٢) فقال : إنه خارج مصر (مصر القديمة) بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق ، عمره الصاحب تاج الدين محمد ٱبن الصاحب بهاء الدين على بن حنا (بكسر الحاء) ومات رحمه الله فى سنة ٧٠٧ هـ قبل أن يكمله فأكمله ولده ناصر الدين محمد ، وقيل له رباط الآثار، لأن الصاحب تاج الدين المذكور كان ٱشترى بعض القطع الأثرية من مخلفات النبى محمد صلى الله عليه وسلم ووضعها فى خزانة بهذا الرباط فعرف بها .

وهذا الرباط عمر عدّة مرات ، ولا يزال موجودا وعامرا بإقامة الشعائر الدينية باسم جامع أثر النبى بقرية أثر النبى الواقعة على النيل جنوبى مصر القديمة ومن ضواحى القاهرة .

(٢) ذكره المقريزى فى خططه (ص ١٥٩ ج ٢) فقال : إن المعشوق ٱسم بستان فيه أشجار بظاهر مصر (مصر القديمة) من جملة خط راشدة ، عرف أوّلا بجنان أبى القاسم كهمس بن معمر بن محمد بن معمر بن حبيب . ثم عرف بجنان المازرانى . ثم عرف بجنان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمى . ثم جدده الأفضل شاهنشاه ٱبن أمير الجيوش بدر الجمالى . ثم صار من وقف ٱبن الصابونى فأخذه الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن محمد بن على بن حنا ، وعمره ثم أوقفه على رباط الآثار النبوية .

وقال مؤلف هذا الكتاب : إن الخليج الذى شقه الملك الناصر محمد بن قلاوون لزيادة المياه بالقلعة كان يأخذ مياهه من النيل بحرى رباط الآثار . ويمر فى وسط بستان المعشوق .

ومن هذا الوصف يتبين أن هذا البستان كان واقعا على النيل بجوار سكن قرية أثر النبى من الجهة البحرية .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

السلطان فآنصرفوا . وقد كثُر الكلام ، ثم فى يوم الجمعة ثامنه [1] خفّ عن السلطان الإسهال ، فجلس للخدمة وطلع الأمراء إلى الخدمة ووَجْهُ السـلطان متغيّر ، فلمـا آنقضت الخدمة نُودِى بزينة القـاهرة ومصر ، وجُمعت أصحاب الملاهى بالقلعة وجُمِع الخبزُ الذى بالأسواق وعُمِل ألف قميص وتُصُدِّق بذلك كلّه مع جمـلة من المـال ، وقام الأمراء بعمل الولائم والأفراح سرورًا بعافية السلطان، وعَمِل الأمير مَلِكْتَمُر الحجازىّ الناصرىّ نفطا كثيرًا بسوق الخيل تحت القلعة والسلطان ينظره، وآجتمع [النـاس] [2] لرؤيته من كلّ جهة وقَدِمت عُربان الشرقية بخيولها وقبابهـا المحمولة على الجمال ولعبوا بالرماح تحت القلعه، وخرجت الركابة والكَلَابْزِيّة وطائفة الجحارين والعتّالين إلى سـوق الخيل للعب واللهو ، وداروا [على] [2] بيوت الأمراء وأخذوا الخِلَع منهم، وكذلك الطبلكية [3] حصل لهم شىء كثير جدًّا، بحيث جاء نصيبُ مِهتار الطبلخاناه [4] ثمانين ألف درهم . ولـمـا كان ليـلة العيد وهى ليلة الأحد عاشر ذى الحجة ، وأصبح نهار الأحد آجتمع الأمراء بالقلعة وجلسوا ينتظرون السلطان حتى يخرج لصـلاة العيد ، وقـد أجمع رأىُ السلطان على عدم صـلاة العيد لعَوْد الإسهال عليه، فإنه كان آنتكس فى الليلة المذكورة، فما زال به الأميرُ قَوْصون والأمير بَشْتَك [2] حتى ركب ونزل إلى الميدان ، وأمر قاضىَ القضاة عزّ الدين [عبد العزيز] آبن جماعة أن يُوجِز فى خطبته ، فعند ما صَلّى السلطان وجلَس لسماع الخطبة تحرّك باطنُه ، فقام وركب وطلع إلى القصر وأقام يومه به ، وبينا هو فى ذلك قَدِم الخبر من حلب بصحّة صُلْح الشـيخ حسن صاحب العراق مع أولاد صاحب الروم ، فآنزعج السلطانُ لذلك آنزعاجًا شـديدا وآضطرب مِزاجُه فحصل له إسهال دَمَوِىّ ،

---

(١) فى السلوك : «وقد كثر الكلام إلى يوم الآثنين ثانى عشره خف عن السلطان الإسهال... الخ».
(٢) زيادة عن السلوك . (٣) فى الأصلين : « الكجلكية » . وما أثبتناه عن السلوك .
(٤) كذا فى السلوك . وفى الأصلين : « الطشتخاناه » وهو محرف عما أثبتناه عن السلوك .

وأصبح يوم الاثنين وقد امتنع الناس من الاجتماع به ، فأشاع الأمير قَوْصُون والأمير بَشْتَك أنّ السلطان قد أعفى أجناد الحَلْقة من التجريد إلى تِبْرِيز ونُودِى بذلك ، وفَرِح الناس بذلك فرحًا زائدا، إلا أنه انتشر بين الناس أنّ السلطان قد انتكس فساءهم ذلك .

ثم أخذ الأمراء فى إنزال حُرَمِهم وأموالهم من القلعة [حيث سكنهم][1] إلى القاهرة ، فارتجّت القاهرة ومادت بأهلها واستعدّ الأمراء لا سيما قوصون وبَشْتَك ، فإن كلًّا منهما احترز من الآخر وجَمّع عليه أصحابه . وأكثروا من شراء الأزيار والدِّنان وملئوها ماء ، وأخرجوا القِرَب والرَّوايا والأحواض وحملوا إليهم[2] البَقْسماط[3] والرقاق والدقيق والقمح والشعير خوفا من وقوع الفتنة ، ومحاصرة القلعة ، فكان يوما مهولا ، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق ونهبوا الحوانيت التى تحت القلعة والتى بالصليبة[4] .

هذا وقد تنكّر ما بين قوصون وبشتك واختلفا حتى كادت الفتنة تقوم بينهما ، وبلغ ذلك السلطان فازداد مرضًا على مرضه ، وكثُر تأوّهه وتقلُّبه من جنب إلى جنب ، وتهوّس بذكر قوصون وبشتك نهاره . ثم استدعى بهما فتناقشا[5] بين يديه

---

(١) زيادة عن السلوك . (٢) فى الأصلين : «وحملوا إليه» . وما أثبتناه عن السلوك .

(٣) البقسماط : خبز يابس معروف مولد يؤخذ فى الرحلات (عن شفاء الغليل وكتاب الألفاظ الفارسية المعربة واستينجاس) . (٤) لما تكلم المقريزى على الشارع خارج باب زويلة (ص ١٠٠ ج ٢) قال : إن هذا الشارع آخره فى الطول الصليبة التى تنتهى إلى جامع ابن طولون وغيره . ولما تكلم على ظواهر القاهرة (ص ١٠٨ ج ٢) قال : وأما الشارع خارج باب زويلة فينتهى بالسالك إلى خط الصليبة وإلى خط الجامع الطولونى وخط المشهد النفيسى وغير ذلك . وأقول من هذا الوصف يتبين أن الدكاكين التى يشير إليها المؤلف بالصليبة هى الدكاكين التى كانت بشارع الصليبة الحالى وشارع شيخون وشارع الركبية وشارع السيوفية وكلها تتلاقى فى نقطة واحدة على شكل صليب ولذلك عرفت بالصليبة بمجموعها يطلق عليه خط الصليبة ويقال لها صليبة الجامع الطولونى لقربها منه وهى بقسم الخليفة بالقاهرة .

(٥) فى أحد الأصلين : «فتنافسا» .

فى الكلام فأُغمى عليه وقاما من عنده على ما همـا عليه، فآجتمع يوم الآثنين ثامن عشره الأمير جَنْكَلى والأمير آل ملك والأمير سَـنْجَر الجاولى و بِيبَرس الأحمـدى، وهم أكابر أمراء المَشُورَة فيما يدبرونه، حتى آجتمعوا على أن يبعث كلٌّ منهم مملوكه إلى قوصون و بشتك ليأخذا لهم الإذن فى الدخول على السلطان، فأخذالهم الإذن فدخلوا وجلسوا عندالسلطان، فقال الجاولى وآل ملك للسلطان كلاما، حاصله أن يعهد بالمُـلك إلى أحد أولاده فأجاب إلى ذلك، وطَلَب ولده أبا بكر وطَلَب قوصــون و بشــتك وأصلح بينهما. ثم جعل آبنــه أبا بكر سلطاناً بعـــده وأوصاه بالأمراء وأوصى الأمراء به، وعهد إليهم ألاّ يُخرِجوا آبنــه أحمد من الكَرَك، وحذّرهم من إقامته سلطانا. وجعل قوصون و بشتك وصيه، و إليهما تدبير أمر آبنه أبى بكر وحلّفهما، ثم حلّف الأمراء والخاصّـكيّة وأكّد على ولده فى الوصـية بالأمراء، وأفـرج عن الأمراء المسجونين بالشـام، وهم: طَيْبُغَا حاجى والجيبغا العـادلى وصاروجا، ثم قام الأمراء عن السلطان فبات السلطان ليلة الثلاثاء وقـد نحلت قوته، وأخذ فى النزع يوم الأربعاء فآشـتدّ عليه كَرْبُ المـوت، حتى فارق الدنيا فى أوّل ليـلة الخميس حادى عشرين ذى الحجة سـنة إحدى وأربعين وسـبعمائة، وله من العمر سبع وخمسون سـنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، فإنّ مولده كان فى الساعة السابعة من يوم السبت سادس عشر المحرّم سنة أربع وثمانين وستمائة. وأمه بنت سكّاى[1] بن قرا لاچين[2] بن جفتاى[3] التّتارىّ. وكان قدوم سكّاى مع أخيه قُرْمُجى من بلاد التتار إلى مصر فى سنة خمس وسبعين وستمائة. ثم حُمِـل السلطان

(١) كذا فى الأصلين والسلوك للقريزى (الجزء الأوّل قسم ثان طبع دارالكتب المصرية ص٦٢٥). وفى الحاشية رقم ٥ من الصفحة المذكورة أن اسمه «نيكاى» نقلا عن النهج السديد لآبن أبى الفضائل. وفى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٣٠٤): «وأمه أشلون بنة شنكاى». (٢) فى السلوك طبع دار الكتب: «ابن قراچين». (٣) فى السلوك طبع الدار: «ابن جيغان».

الملك الناصر ميتًا فى مِحَفّة من القلعة بعد أن رُسِم بغلق الأسواق ، ونزلوا به من وراء السور إلى باب النصر ، ومعه من أكابر الأمراء بَشْتَك ومَلِكْتَمُر الحجازى وأَيْدُغْمُش أمير آخور [1] ، ودخلوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصوريّة بين القصرين ، فغُسِّل وحُنِّط وكُفِّن من البِيمارِستان [2] المنصورىّ ، وقد اجتمع الفقهاء والقُرّاء والأعيان ودام القرّاء على قبره أيّاما .

وأمّا مدّة سلطنته على مصر فقد تقدّم أنّه تسلطن ثلاث مرار ، فأوّل سلطنته كانت بعد قتل أخيه الأشرف خليل بن قلاوون فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة فى المحرّم ، وعُمره تسع سنين وخُلِع بالملك العادل كَتْبُغا المنصورىّ فى المحرّم سنة أربع وتسعين ، فكانت سلطنته هذه المرّة دون السنة ، ثم توجّه إلى الكَرَك إلى أن أُعيد إلى السلطنة بعد قتل المنصور حُسام الدّين لاچين فى سنة ثمان [3] وتسعين وستمائة ، فأقام فى الملك ، والأمر إلى سَلّار وبِيبَرْس الجَاشْنَكِير إلى سنة ثمانٍ وسبعمائة ، وخلَع نفسه وتوجّه إلى الكَرَك وتسلطن بِيبَرْس الجَاشْنَكِير ، وكانت مدّته فى هذه المرّة الثانية نحو التسع سنين ، ثم خُلِع بِيبَرْس وعاد الملك الناصر إلى السلطنة ثالث مرّة فى شوّال سنة تسع وسبعمائة ، واستبدّ من يوم ذاك بالأمر من غير مُعارض إلى أن مات فى التاريخ المذكور . وقد ذكرنا ذلك كلّه فى أصل ترجمته من هذا الكتاب مفصّلا . فكانت مدّة تحكّمه [4] فى هذه المرّة الثالثة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما ، وهو أطول ملوك الترك مدّةً فى السلطنة ، فإنّ أوّل سلطنته من سنة ثلاث

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) فى الأصلين : « فى سنة تسع وتسعين وستمائة » . وما أثبتناه هو الصحيح كما تقدّم ذلك فى ترجمته الثانية سنة ٦٩٨ هـ ، ص ١١٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) تقدّم فى ص ٨ من هذا الجزء أنه جلس على كرسى الملك يوم الخميس ثانى شوّال سنة ٧٠٩ هـ .

وتسعين وستمائة إلى أن مات نحوا من ثمـانٍ وأربعين سنة، بما فيها من أيام خلعه، ولم يقع ذلك لأحد من ملوك الترك بالديار المصريّة، فهو أطولُ الملوك زمانًا وأعظمهم مهابةً وأغزرُهم عقـلا وأحسنُهم سياسـةً وأكثرهم دهاءً وأجودهم تدبيرًا وأقواهم بطشا وشجاعةً وأحذقهم تنفيـذًا ؛ مرّت به التجارب، وقاسى الخطوب، وباشر الحروب، وتقلّب مع الدهر ألوانًا ؛ نشأ فى الملك والسعادة، وله فى ذلك الفخرُ والسّيادة خليقا للملك والسلطنة. فهو سلطان وآبن سلطان وأخو سلطان ووالد ثمانى سلاطين من صلبه، والملك فى ذُرّيته وأحفاده وعَقِبه ومماليكه ومماليك مماليكه إلى يومنا هـذا، بل إلى أن تنقرض الدولة التركيّة، فهو أجلّ ملوك الترك وأعظمها بلا مدافعة، ومَنْ ولى السلطنة من بعده بالنسبة إليه كآحاد أعيان أمرائه.

وكان متجمّلا يَقْتَنِى من كلّ شىء أحسنه. أكثر فى سلطنته من شراء المماليك والجوارى، وطلب التجّار وبذَل لهم الأموال، ووصف لهم حُلَى المماليك والجوارى. وسيّرهم إلى بلاد أُزْبك خان وبلاد الجَارَكْس[1] والروم، وكان التاجر إذا أتاه بالجَلْبة من المماليك بذَل له أغلى القِيَم فيهم، فكان يأخُذهم[2] ويُحسِن تربيتهم ويُنعِم عليهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يُدْهِشهم، فأكثر التجار من جَلْب المماليك، وشاع فى الأقطار إحسانُ السلطان إليهم. فأعطى المُغُلُ أولادهم وأقاربهم للتجّار رغبةً فى السعادة، فبلغ ثمنُ المملوك على التاجر أربعين ألف درهم، وهذا المبلغ جملة كثيرة بحساب يومنا هذا. وكان الملك الناصر يدفع للتاجر فى المملوك الواحد مائة ألف درهم وما دونها.

---

(١) فى السلوك: «إلى بلاد أزبك وتوديز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد». والجاركس هم الجركس وبلادهم على بحر نيطش (البحر الأسود) من الجهة الشرقية (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٦٢).

(٢) فى أحد الأصلين: «يوحرم». وفى الأصل الآخر: «يأحرم». وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق.

وكان مشغوفا أيضا بالخيل فجُلبت له من البلاد ، لا سيّما خيول العرب آل مُهَنّا وآل فضل ، فإنه كان يقدّمها على غيرها ، ولهذا كان يُكْرِم العرب ويبذل لهم الرغائب في خيولهم، فكان إذا سَمِع العُرْبانُ بفَرَس عند بدَوِيّ أخذوها منه بأغلى القيمة ، وأخذوا من السلطان مِثْلَىْ ما دفعوا فيها . وكان له في كلّ طائفة من طوائف العرب عَيْنٌ يَدُلُّه على ما عندهم من الخيل من الفَرَس السابق أو الأصيل ، بل ربّما ذكروا له أصْلَ بعضها لعِدّة جُدود ، حتّى يأخذها بأكثر مما كان في نفس صاحبها من الثمن ، فتمكّنت منه بذلك العُرْبان ، ونالوا المنزلة العظيمة والسعادات الكثيرة . وكان يكره خيول بَرْقَة فلا يأخذ منها إلا ما بلَغ الغاية في الجَوْدة ، وما عدا ذلك إذا جُلبت إليه فرّقها . وكان له معرفة تامّة بالخيل وأنسابها ، ويذْكُر من أحضرها له في وقتها ، وكان إذا آستدعَى بفرس يقول لأمير آخور : الفَرَس الفلانية التي أحضرها فلان وآشتريتُها منه بكذا وكذا . وكان إذا جاءه شيءٌ منها عَرَضها وقلّبها بنفسه ، فإن أعجبتْه دفع فيها من العشرة آلاف إلى أن آشترى بنت الكرماء بمائتي[1] ألف درهم ، وهذا شيءٌ لم يَقَع لأحد من قبله ولا من بعده ، فإنّ المائتي ألف درهم كانت يوم ذاك بعشرة آلاف دينار . وأمّا ما آشتراه بمائة ألف وسبعين ألفا وستين ألفا وما دونها فكثير . وأقْطَعَ آلَ مُهَنّا وآلَ فضل بسبب ذلك عِدّة إقطاعات ، فكان أحدُهم إذا أراد من السلطان شيئًا قَدِم عليه في معنى أنه يدُلُّه على فَرَس عند فلان ويُعظِّم أمرَه ، فيكتب من فَوْره بطلب تلك الفَرَس فيشتدّ صاحبها ويمتنع [من قَوْدها][2] ثم يقترح ما شاء ، ولا يزال حتى يبلغَ غرضه من السلطان في ثمن فرسه .

(١) في السلوك : « بمائة ألف درهم » . (٢) زيادة عن السلوك .

وهو أوّل من اتّخذ من ملوك مصر ديوانًا للإسطبل السلطانىّ وعَمِل له ناظرا وشهودًا وكُتّابًا لضبط أسماء الخيل، وأوقات ورودها وأسماء أربابها ، ومبلغ أثمانها ومعرفة سُوّاسها وغير ذلك من أحوالها ، وكان لا يزال يتفقّد الخيول، فإذا أُصيب منها فرس أو كَبِر سنّه بَعَث به مع أحد الأوجاقية الى الجَشَّار(١) بعد ما يَحمِل عليها حِصانا يختاره ، ويأمر بضَبْط تاريخه ، فتوالدت عنده خيول كثيرة ، حتى أغنته عن جلب ما سواها . ومع هذا كان يرغب فى الفَرَس المجلوب إليه أكثر ممّا توالد عنده ، فعَظُم العربُ فى أيامه لجلب الخيل وشَمِل الغنى عامّتَهم ، وكانوا إذا دخلوا إلى مشاتيهم أو إلى مصايفهم يخرُجون بالحُلِى والحُلَل والأموال الكثيرة، ولبسوا فى أيامه الحرير الأطلس المعدنىّ بالطُّرُز الزَّرْكَش والشاشات المرقومة ، ولَبِسوا الخِلَع البابلىّ والإسكندرىّ المُطَرّز بالذهب، وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصّع وعَمِل لهم العناتر(٢) بالأكر الذهب والأساور المرصّعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث لهنّ بالقماش السكندرى وعمل لهنّ البراقع الزَّرْكَش، ولم يكن لُبْسُهم قبل ذلك إلا الخَشِنَ من الثياب على عادة العرب . وأجلّ ما لَبِس مُهَنّا أميرُهم أيام الملك المنصور لاچين طرد وحش . لمودّة كانت بين لاچين وبين مهنّا بن عيسى ، فأنكر الأمراء ذلك على الملك المنصور لاچين فاعتـذر لهم بتقدّم صحبته له وأياديه عنده، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك .

وكان الملك الناصر فى جُشّاره(٣) ثلاثة آلاف فرس، يُعْرَض فى كلّ سنة نِتاجُها عليه فيُسَلّمها للرّكّابين من العُرْبان [لرياضتها(٤)] ثم يُفَرّق أكثرها على الأمراء

(١) الجشار : صاحب مرح الخيل . والجشر : أن تنزو خيلك مرعاها أمام بيتك . «عن القاموس» .

(٢) فى الأصلين : « العنابر » . وما أثبتناه عن « دوزى » . والعناتر جمع عنترى ، وهو صديرى يتزل الى الركب و يلبس فوق القميص واللباس . (٣) الجشار « بالضم » : لعله الإصطبل

(٤) زيادة عن السلوك .

الخاصّكيّة، ويفرح بذلك ويقول: هذه فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان، عُمرها كذا، وشراء أمّها بكذا وشراء أبيها بكذا .

وكان يَرْسُم للأمراء فى كلّ سنة أن يُضَمِّروا الخيول، ويُرتِّب على كل أمير من أمراء الألوف أربعة أرؤس يُضَمِّرها . ثم يَرْسُم لأمير آخور أن يُضَمِّر خيلا من غير أن يفهم الأمراء أنّها للسلطان، بل يُشيع أنّها له، ويُرسلها للسّباق مع خيل الأمراء فى كلّ سنة . وكان للأمير قُطْلُوبُغَا الفخرىّ حِصانٌ أدهمُ، سَبَق خيل مصر كلّها ثلاث سنين متوالية، فأرسل السلطان إلى مُهَنّا وأولاده أن يُحضروا له الخيل للسّباق، فأحضروا له عِدّةً وضُمِّروا، فسبقهم حِصان الفخرىّ الأدهم .

ثم بعد ذلك ركب السلطان إلى ميدان القَبَق (١) ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقُبّة النصر، وهو أماكن الترب الآن، وأرسل الخيل للسَّبق، وعِدّتُها دائما فى كلّ سنة ما يُنيف على مائة وخمسين فرسا . وكان مُهَنّا بعث للسلطان حِجْرة شَهْبَاء للسّباق على أنها إن سَبَقت كانت للسلطان وإن سُبِقت رُدّت إليه بشرط ألّا يَرْكَبَها للسّباق إلا بدويّها الذى قادها إلى مصر . فلمّا ركب السلطان والأمراء على العادة ووقفوا ومعهم أولاد مُهنا [بالميدان (٢)] وأُرسلت الخيولُ من بركة الحاج كما جرت به العادة، وركب البَدَوىُّ حِجْرة مُهَنّا الشهباء عريا بغير سَرْج، ولبس قميصا ولاطئة (٣) فوق رأسه . وأقبلت الخيول يتبع بعضُها بعضًا والشهباءُ قُدّام الجميع، وبعدها على القرب منها حِصانُ الأمير أَيْدُغْمُش أمير آخور يُعرف بهلال، فلمّا وقف البَدَوىُّ بالشهباء بين يدى السلطان، صاح بصوت ملأ الخافقين : السعادةُ لك اليوم يا مُهَنّا، لاشقيتَ ! وألقى بنفسه إلى الأرض من شدّة التعب فقدّمها مُهَنّا للسلطان، فكان هذا دأب الملك الناصر فى كلّ سنة من هذا الشأن وغيره .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) زيادة عن السلوك . (٣) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس .

قلت : وترك الملك الناصر فى جُشاره ثلاثة آلاف فرس، وترك بالإسطبلات السلطانية أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس ، ما بين مُجورة ومِهارة وحُولة[(1)] وأكاديش، وترك من الهُجُن الأصائل والنِّياق نيِّفا على خمسة آلاف سوى أتباعها . وأما الجمال النُّقَّر والبِغال فكثير .

٥ وكان الملك الناصر أيضًا شَغُوفا بالصيد، فلم يَدع أرضًا تُعرف بالصيد إلّا وأقام بها صَيّادين مقيمين بالبريّة أَوَانَ الصيد، وجلَب طيور الجوارح من الصُّقورة والشواهين والسّناقر والبُزَاة، حتى كثُرت السناقرُ فى أيامه . وصار كلُّ أمير عنده منها عشرة سناقر وأقلّ وأكثر. وجعل [له][(2)] البازْدَارِيّة[(3)] والجَوَنْدَارِيّة[(4)] وحُرّاس الطير، وما هو موجود بعضه الآن، وأقطعهم الإقطاعات الجليلة ، وأجرى لهم الرواتب ١٠ من اللّحم والعَليق والكساوى وغير ذلك، ولم يكن ذلك قبله لمَلِك، فترك بعد موته مائة وعشرين سنقرا ، ولم يُعهد بمثل هذا لمَلِك قبله ، بل كان لوالده الملك المنصور قلاوون سنقرٌ واحد، وكان المنصور إذا رَكِب فى المَرْكَب للصيد كان بازداره أيضا راكبًا والسنقر على يده . وترك الملك الناصر من الصُّقورة والشواهين ونحوها مالا يَنحصر كثرة. وترك ثمانين جَوْقةَ كلاب بكَلابِزِيّتها، وكان أَخْلَى لها موضعا بالجبل، ١٥ وعُنِي أيضا بجمع الأغنام وأقام لها خَولة، وكان يبعث فى كلّ سنة الأميرَ آقبغا عبد الواحد فى عِدّة من المماليك لكَشْفها، فيكشف المراحات من قُوص إلى الجيزة،

---

(١) فى الأصلين : « وخولة » . وما أثبتناه عن السلوك . (٢) زيادة عن السلوك .
(٣) هى وظيفة البازدار، وهو الذى يحمل الطيور الجوارح المعدّة للصيد على يده . وخص بإضافته إلى الباز الذى هو أحد أنواع الجوارح دون غيره، لأنه هو المتعارف بين الملوك فى الزمن القديم (صبح الأعشى ٢٠ ج ٥ ص ٤٦٩) . (٤) هى وظيفة الجوندار، وهو الذى يتصدى لخدمة طيور الصيد من الكراكى والبلشونات ونحوها، ويحملها إلى موضع تعليم الجوارح . وأصله : « حيوان دار » أطلق الحيوان فى عرفهم على هذا النوع من الطيور، كما أطلق على من يتعانى معامل الفروج الحيوانى (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠) .

و يأخذ منها ما يختاره من الأغنام ، وجرّده مرّة إلى عَيْذاب(١) والنُّوبة لجَلْب الأغنام.
ثم عَمِل لها حوشا بقلعة الجبل ؛ وقد ذكرنا ذلك فى وقته ، وأقام لها خَوَلة نصارى من الأَسْرَى .

وعُنِى أيضا بالإوزّ وأقام لهـا عِدّةً من الخدّام وجعل لها جانباً بحوش الغنم .
ولمـا مات ترك ثلاثين ألف رأس من الغنم سـوى أتباعها ، فاقتـدى به الأمراء ٥
وصارت لهم الأغنـام العظيمة فى غالب أرض مصر . وكان كثير العنـاية بأرباب
وظائفه وحواشـيه من أمراء آخوريّة والأوجاقيـة وغِلْمان الإسطبل والبَازْدَارِية
والفرّاشين والخَوَلة والطبّاخين . فكان إذا جاء أوانُ تفرقة الخيول على الأمراء بعث
إلى الأمير بمـا جَرَت به عادته ممـا رتبـه له فى كلّ سـنة مع أمير اخور وأوجاق
وسايس وركبدار، و يترقّب عَوْدَهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأميرُ عليهم، فإن شحّ ١٠
الأميرُ فى عطاياتهم تَنَكّر عليه وبكّته بين الأمراء ووبّخه، وكان قرّر أن يكون الأمير
آخور بينهـم بقسمين ومن عدّاه بقسم واحد . وكان أيضـا إذا بعث لأمير بطير
مع أمير شكار أو واحد من البَازْدَارِيّة يحتاج الأمير أن يُلْبِسـه خِلْعةً كاملة بحِياصة
ذهب وكَلْفَتَاه زَرْكَش ، فيعود بها و يُقبِّل الأرض بين يديه فيستدنيه و يُفتِّش خِلْعته .
وكانت عادته أن يبعث فى يوم النحر أغنام الضحايا مع الأبقار والنُّوق إلى الأمراء، ١٥
فبعث مرّة مع بعض خَوَلة النصارى إلى الأمير يَلْبغَا(٢) حارس طيره ثلاثة كِباش فأعطاه
عشرة دراهم فلوسا(٣) وعاد إلى السلطان، فقـال له : وأين خِلْعتك؟ فطرح الفـلوس
بين يديه وعرّفه بقَدْرها ، فغضب وأمر بعض الخدّام أن يسير بالخَولىّ إلى عنده
و يُوبّخه ويأمره أن يُلْبِسه خِلْعـة طَرْد وَحْش . وكانت حرمتـه ومهابته وافرةً قد

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٩ من الجزء السابع من هـذه الطبعة . (٢) فى السلوك : ٢٠
« إلى الأمير بيبغا » . وفى الدرر الكامنة : « بيبغا تتر حارس الطير » . توفى بعد وفاة النـاصر محمد
ابن قلاوون . (٣) فى أحد الأصلين : « فأعطاه عشرة آلاف درهم » .

تجاوزت الحدّ، حتّى إنّ الأمراء كانوا إذا وقفوا بالخدمة لا يجسُر أحدٌ منهم أن يتحدّث مع رفيقه، ولا يلتفت نحوه خوفًا من مراقبة السلطان لهم ، وكان لا يجسُر أحد أن يجتمع مع خُشْدَاشه فى نُزهة ولا غيرها . وكان له المواقف المشهودة، منها : لمّا لَقِي غازان على فرسخ من حِمْص(١)، وقد تقدّم ذكر ذلك . ثم كانت له الوقعة العظيمة مع التتار أيضا بشَقْحَب(٢) ، وأعزّ الله تعالى فيها الإسلام وأهله ؛ ودخلت عساكره بلاد سِيس(٣)، وقرّر على أهلها الخراج أربعمائة ألف درهم فى السنة بعد ما غزاها ثلاث مرار . وغزا مَلَطْيَة(٤) وأخذها وجعل عليها الخراج ، ومنعوه مرّة فبعث العساكر إليها حتى أطاعوه . وأخذ مدينة آياس(٥) وخرّب البُرْج الأطلس وسبعة حصون وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد . وأخذ جزيرة أرْوَاد(٦) من الفرنج . وغزا بلاد اليمن و بلاد عَانة(٧) وحَديثة(٨) فى طلب مُهَنَّا . وجرّد إلى مكّة والمدينة العساكر(٩) بتمهيدها غير مرّة ، ومَنَع أهلَها من حمل السلاح بها . وعمّر قلعة جَعْبَر(١٠) بعد خرابها ، وأجرى

(١) راجع ص ١٢١ وما بعدها من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) راجع ص ١٥٩ وما بعدها من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) مدينة شمالى حلب بميلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها ، وهى مدينة من بلاد الثغور، وقد عدها ابن حوقل من جملة بلاد الشام . وقال أبو الفداء إسماعيل فى تقويم البلدان : إنها فى بلاد الروم ، وعدها بعضهم من الثغور الجزرية . وكانت ملطية قديمة فخربها الروم فبناها أبو جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس وجعل عليها سورا محكما ، وهى بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار . فتحها محمد الناصر يوم الأحد الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧١٥ هـ . منها أبو الفرج الملطى عمدة المؤرخين المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبرى . (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان وفهرس معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين المماليك).

(٥) آياس (بفتح الهمزة الممدودة والياء المثناة تحت ثم ألف وسين مهملة فى الآخر) : مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر . استعاد فتحها الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ كما فى تاريخ سلاطين المماليك أو فى سنة ٧٣٨ هـ كما فى صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٣٣). (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٩) عبارة السلوك : « وجرّد إلى مكّة والمدينة العساكر فى طلب الشريف حميضة إلى المدينة » .

(١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

نهر حلب إلى المدينة . وخُطب له بماردين[1] وجبال الأكراد وحصن كيفا[2] وبغداد وغيرها من بلاد الشرق ، وهو بكرسىّ مصر . وأتته هدية ملوك الغرب والهند والصين والحبشة والتَّكرور[3] والروم والفرنج والتُّرك .

وكان ، رحمه الله ، على غاية من الحِشْمة والرياسة وسياسة الأمور ، فلم يضبط عليه أحدٌ أنّه أطلق لسانه بكلام فاحش فى شدّة غضبه ولا فى آنبساطه ، مع عظيم ملكه وطول مدّته فى السلطنة وكثرة حواشيه وخدمه . وكان يدعو الأمراء والأعيان وأرباب الوظائف بأحسن أسمائهم وأجلّ ألقابهم ، وكان إذا غَضِب على أحد لا يُظهر له ذلك ، وكان مع هذه الشهامة وحبّ التجمّل مقتصدًا فى مَلْبَسه ، يَلْبَس كثيرًا البَعْلَبَكىّ[4] والنَّصافى المتوسط ، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر ، ويركب بسَرْج مُسَقَّط بفضة التى زنتها دون المائة درهم ، وعَبَاءة فرسه إمّا تَدْمُرِىّ أو شامىّ ، ليس فيها حرير .

وكان مُفْرِطَ الذكاء ، يعرف جميع مماليك أبيه وأولادهم بأسمائهم ، ويُعرِّف بهم الأمراء خشداشيتهم فيتعجبون الأمراء من ذلك ، وكذلك مماليكه لا يَغيب عنه آسم واحد منهم ولا وظيفته عنده ، ولا مبلغ جامَكِيَّته ، هذا مع كثرتهم . وكان أيضا يعرف غلمانه وحاشيته على كثرة عَدَدهم ، ولا يفوته معرفةُ أحد من الكُتّاب ، فكان إذا أراد أن يُوَلِّى أحدًا مكانًا أو يرتِّبه فى وظيفة آستدعى جميعَ الكُتّاب بين يديه

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) بلاد التكرور ، تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج وقاعدة التكرور مدينة على النيل بالقرب من ضفافه . وطعام أهلها السمك والذرة والألبان وأكثر مواشيهم الجمال والمعز . ولباس عامة أهلها الصوف ، ولباس خاصتهم القطن والمآزر . وذكر صاحب صبح الأعشى نقلا عن « مسالك الأبصار » أن بلاد التكرور تشتمل على أربعة عشر إقليما (راجع صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٨٦ وتقويم البلدان لأبى الفدا ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) فى الأصلين : « الكبر البعلبكى ... الخ » . وما أثبتناه عن السلوك .

وٱختار منهم واحدًا أو أكثر من واحد من غير أن يراجع فيهـم، ثم يقيمه فيما يريد من الوظائف . وكان إذا تغيّر على أحد من أمرائه أو حُجّابه أسرّ ذلك فى نفســه ، وتروّى فى ذلك مدة طويلة وهو ينتظر له ذنبًا يأخذه به ، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير وأرغون النائب وغيرهم، وهو يتأنّى ولا يعجّل، حتى لا يُنسب إلى ظلم، فإنه كان يعظم عليـه أن يُذكر عنه أنه ظالم أو جائر، أو وقع فى أيامه خرابٌ أو خَلَلٌ، ويحرِص على حُسن القالة فيه .

وكان يستبدّ بأمور مملكته وينفرد بالأحكام ، حتى إنه أبطـل نيابة السلطنة من ديار مصر ليستقلّ هو بأعباء الدولة وحدَه، وكان يكره أن يقتدى بمن تقدّمه من الملوك، فمن أنشأه[1] من الملوك كائنًا من كان، ولا يُدخلهم المشورة حتى ولا بكتمر الساقى ولا قوصون ولا بشتك وغيرهم ، بل كان لا يقتدى إلّا بالقـدماء من الأمراء .

وكان يكره شُرب الخمر ويُعاقب عليـه ويُبعد من يشربه من الأمراء عنـه . وكان فى الجُود والكرم والإفضال غايةً لا تُدرك خارجةً عن الحـدّ ، وهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا، وأعطى فى يوم واحد لأربعة من مماليكه وهم الأمير أَلْطُنْبُغَا المارِدَانى ويَلْبُغَا اليَحْيَاوِى ومَلِكْتَمُر الحجازى وقَوْصُون مائتى ألف دينار، ولم يزل مستمرّ العطاء لخاصكيّته ومماليكه ما بين عشرة آلاف دينـار وأكثر منها وأقلّ ، ونحوها من الجوهر واللآلئ . وبذل فى أثمان الخيل والمماليك مالم يسمع بمثله . وجمع من المـال والجوهر والأحجار ما لم يجمعه مَلِكٌ من ملوك الدولة التركيّة قبله مع فرط كرمه :

(١) فى الأصل الآخر : « فمن أنشأه كائنًا من كان ... الخ » . وعبارة السلوك : « ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك » .

قلت : كلّ ذلك لحسن تدبيره وعظم معرفته ، فإنّه كان يَدْرِى مواطنَ ٱستجناء المـال فيستجنيه منها ، ويعرف كيف يصرفه فى محلّه وأغراضه فيصرفه . ولم يُشْهَر عنه أنه وَلِّى قاضٍ فى أيامه برشـوة ، ولا مُحتَسِبٌ ولا والٍ . بل كان هو يبذُل لهم الأموال ويُحرِّضهم على عمل الحق، وتعظيم الشرع الشريف ، وهـذا بخلاف من جاء بعده ، فإن غالب ملوك مصر ممن مَلَك مصر بعده يقتدى بشخص من أرباب وظائفه ، فيصير ذلك الرجل هو السلطانَ حقيقةً والسلطان من بعض مَنْ يتصرّف بأوامره ، وكلّ ذلك لقِصَر الإدراك وعَدَم المعرفة ، فلذلك يتركون الأموال الجليلة والأسباب التى يَحْصُلُ منها الألوف المؤلّفة ، ويلتفتون إلى هذا النَّزْر اليسير القبيح الشنيع الذى لا يَرْتَضِـيه مَنْ له أدنى هِمَّـة ومُرُوءة، وهو الأخذُ من قُضاة الشرع عند ولايتهم المناصب وولاة الحِسْبة والشُّرْطة ، وذلك كلّه وإن تكرر فى السنة فهو شىء قليلٌ جدًّا ، يتعوّض من أدنى الجهات التى لا يُؤْبَهُ إليها من أعمال مصر، فلو وقع ذلك لكان أحسن فى حقّ الرعيّـة وأبرأ لذمّة السـلطان والمسلمين من ولاية قُضاة الشرع بالرشوة، وما يقع بسبب ذلك فى الأنكحة والعقود والأحكام وما أشبه ذلك . انتهى .

وكان الملك الناصر يرغب فى أصناف الجوهر، فجَلَبتْها إليه التُّجار من الأقطار. وشُغِف بالجوارى السَّرارِى ، فحاز منهن كلّ بديعة الجمال ، وجهّز له إحدى عشرة ٱبنة بالجهاز العظيم ، فكان أولهنّ[1] جهازا بثمانمائة ألف دينار، [منها][2] قيمة بَشْخَاناه ودايربيت وما يتعلّق به مائة ألف دينار ، وبقيّةُ ذلك مابين جواهر ولآلئ وأوانى ونحو ذلك، وزوّجهنّ[3] لمماليكه مثـل الأمير قَوْصون وبَشْتَك وأَلْطُنْبُغَا المارِدانى

(١) فى السـلوك : « فكانت أقلهن جهازا » . (٢) زيادة عن السـلوك .
(٣) فى الأصل الآخر : « وجهز لمماليكه ... الخ » .

وطُغَاىْ تَمُر وعمر بن أَرْغُون النـائب وغيرهم . وجهز جماعةً من سراريه وجواريه ومن تَحْسُن بخاطره، كلّ واحدة بقريب ذلك و بمثـله وأكثر منـه . وآستجدّ النساءُ فى زمانه الطَّرْحَة ، كلُّ طَرْحة بعشرة آلاف دينار وما دون ذلك إلى خمسة آلاف دينار ، والفَرَجيّات بمثل ذلك . وآستجدّ النساءُ فى زمانه الخلاخيلَ الذهب والأطواق المرصّـعة بالجواهر الثمينة والقباقيب الذهب المرصّـعة والأُزُر الحـرير وغير ذلك .

وكان الملك النـاصر كثيرَ الدهاء مع ملوك الأطراف يُهاديهم ويستجلبهم إلى طاعته بالهدايا والتُّحَف ، حتى يُذْعِنوا له فيستعملهم فى حوائجه و يأخذ بعضهم ببعض ، وكان يصل إلى قتل مَنْ يُريد قتله بالفِدَاوِيّة[1] لكثرة بذله لهم الأموال . وكان يُحبّ العمارة فلم يزل من حين قَدِم من الكَرَك إلى أن مات مستمرّ العمارة ، فحُسِب تقديرُ مصروفه فجاء فى كلّ يوم مدّة هـذه السنين ثمـانيةَ آلاف درهم ، قُوِّم ذلك بطالة على عمل والسفر والحَضَر والعيد والجمعة . وكان يُنفق على العمارة المـائة ألف درهم ،

(١) هم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين الى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين السبط بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رســول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم فرقة من الشيعة ، معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وسـلم آنتقلت بالنص إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم الى آبنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم آنتقلت من بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ثم هم يدّعون آنتقال الإمامة من جعفر الصادق إلى آبنه إسماعيل ، ثم تنقلت فى بنيه . وسموا الفداوية لأنهم يفادون بالمـال على من يقتلونه ويسمون فى بلاد العجم بالباطنية لأنهم يبطنون مذهبهم و يخفونه وتارة بالملاحدة لأنـ مذهبهم كله إلحاد . وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهـادية . وقـد تبسط القلقشندى فى صبح الأعشى فى الكلام على تاريخهـم من بداية أمرهم الى أن قال نقلا عن مسالك الأبصار : « ولصاحب مصر بمشايعتهم مزية يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالى أن يقتل بعده ، ومن بعثه الى عدوّله فجبن عن قتله قتله أهله إذا عاد إليهم ، وإن هرب تبعوه وقتلوه » . ثم قال القلقشندى . وكانوا فى الزمن المتقدم يسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة مقدم الفداوية ، وتارة شيخ الفداوية . أما الآن فقد سموا أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين . (راجع صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩ وما بعدها) .

فإذا رأى منها ما لا يُعجبه هدمها كلّها وجدّدها على ما يختاره . ولم يكن مَنْ قبله من الملوك فى الإنفاق على العمائر كذلك . وقد حُكِى عن والده الملك المنصور قلاوون أنه أراد أن يبنى مصطبة عليها رَفْرَفٌ تَقِيه حَرّ الشمس إذا جلس عليها، فكتب له الشجاعىّ تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم ، فتناول المنصور الورقة من يد الشجاعىّ ومزّقها وقال : أُقْعُدُ فى مَقْعَد بأربعة آلاف درهم، انصبوا لى صيوانا ٥ إذا نزلتُ على المصطبة . ومع هذا كلّه خَلّف الملك الناصر فى بيت المال من الذهب والقماش أضعاف ما خلّفه المنصور قلاوون . وكانت المظالم أيامَ الملك المنصور قلاوون أكثرَ مما كانت فى أيام الناصر هذا .

قلت : عَوْدٌ وٱنعطافٌ إلى ما كُنّا فيه من أنّ الأصل فى تدبير الملك وتحصيل الأموال المعرفة والذكاءُ وحَدْدة التنفيذ . انتهى . ١٠

قلت : والملك المنصور قلاوون كان أسمحَ من الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدارىّ وأقلّ ظلمًا . والحقّ يقال ليس الظاهر والمنصور من خَيْل هذا الميدان ، ولا بينهما وبين الملك الناصر هذا نسبة فى أمر من الأمور . انتهى .

هذا على أن الملك الناصر لمّا عَمِل الرَّوْك الناصرىّ أبطل مظالمَ كثيرة من الضمانات والمكُوس وغيرها حسب ما ذكرناه فى وقته، ومع هذا لم يُحسِن عليه ١٥ مُحسِنٌ . وكان الملك الناصر واسعَ النفس على الطعام يَعْمَل فى سِماطه فى كلّ يوم الحَلاوات والمآكل المفتخرة وأنواع الطير، وبلغ راتب سِماطه فى كل يوم وراتب مماليكه من اللحم ستةً وثلاثين ألف رطل لحم فى اليوم، سوى الدجاج والإوزّ والرُّمْسان[1] والجَدْى المشوى والمِهارة وأنواع الوحوش كالغِزْلان والأرانب وغيره .

(١) جمع رميس ، وهو الصغير من ولد الضأن (عن دوزى) . ٢٠

وآستجدّ فى أيامه عمائر كثيرة منها : حَفْر خليج الإسكندرية[(١)]، حفروه فى مدّة أربعين يوما ، عَمِل فيه نحو المائة ألف رجل من النواحى . وآستجدّ عليه عِدّةَ سواقٍ وبساتين فى أراضٍ كانت سِباخا فصارت مزارع قصب سكر وسِمْسِم وغيره . وعُمِّرت هناك الناصرية[(٢)]،

(١) تكلمت فى الحاشية رقم ٥ ص ١٩٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة على عملية حفر هذا الخليج فى عهد الملك الظاهر بيبرس . وهنا أذكر عملية حفره من عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى اليوم :

لما تكلم المقريزى على خليج الإسكندرية (ص ١٧١ ج ١) قال : إن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما علم بتعطيل جريان ماء النيل بخليج الإسكندرية أغلب أيام السنة أمر بحفره سنة ٧١٠ هـ فحفر بمشقة عظيمة ، وبذلك آستمر الماء فى هذا الخليج طول أيام السنة وأصبح صالحا للرى والملاحة .

ويستفاد مما ذكره القلقشندى فى صبح الأعشى عند الكلام على خليج الإسكندرية (ص ٣٠٤ ج ٣) أن الملك الناصر لما أمر بحفر هذا الخليج نقل فوهته التى كانت عند قرية الظاهرية (الضهرية) بمركز شبراخيت بمديرية البحيرة إلى فوهته الحالية الخارجة من الفرقة الغربيـــة من النيل (فرع رشيد) عند قرية العطف التى تقابل فوه ، ثم يسير الخليج غربا حتى يتصل بجدران الإسكندرية .

ومن هذا يتضح أن فم خليج الإسكندرية كان فى زمن القلقشندى أى فى أوائل القرن التاسع الهجرى فى موقعه الحالى عند بلدة المحمودية الواقعة بجوار ناحية العطف إحدى قرى مركز المحمودية بمديرية البحيرة .

ويستفاد مما ذكره المقريزى أيضا عند الكلام على الخليج المذكور (ص ١٧٢ ج ١) أن الملك الأشرف برسباى أمر بحفر هذا الخليج مع نقل فوهته من جهة العطف إلى الجنوب قليلا فى شمال قرية محلة عبد الرحمن التى هى الآن الرحمانية إحدى قرى مركز شبراخيت بمديرية البحيرة .

وفى سنة ١٢٣٣ هـ = ١٨١٨ م أمر محمد على باشا الكبير بحفر خليج الإسكندرية مع نقل فوهته من جهة الرحمانية وإعادتها إلى مكانها القديم عند بلدة العطف ، وأنشأ على فمها الحالى بأرض ناحية العطف بلدة جديدة سميت المحمودية كما سمى خليج الإسكندرية من فمه إلى مصبه بالمينا الغربى بالإسكندرية باسم ترعة المحمودية تيمنا بآسم السلطان محمود الثانى سلطان الدولة العثمانية التى كانت فى ذلك الوقت صاحبة السيادة على مصر . وبلدة المحمودية المذكورة هى الآن قاعدة مركز المحمودية بمديرية البحيرة بمصر .

ولا يزال القسم الذى حفره الملك الأشرف برسباى من خليج الإسكندرية من جهة الرحمانيـــة موجودا بآسم ترعة الأشرفية نسبة إلى الملك الأشرف المذكور .

(٢) يفهم مما ذكره المؤلف أنه بعد أن تم حفر خليج الإسكندرية فى سنة ٧١٠ هـ أنشئت عليه قرية جديدة بآسم الناصرية تيمنا باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وأقول : إن هذه القرية لم يرد آسمها فى كتب إحصائيات القرى المصرية القديمة ضمن نواحى إقليم البحيرة . وبالبحث عنها فى دفاتر الروزنامة القديمة المحفوظة بدار المحفوظات تبين لى أنها آعتبرت ناحية مالية فى تربيع أى فى قوائم مساحة فك الزمام التى عملت فى سنة ٩٣٣ هـ . ووردت فى دفتر المقاطعات أى الالتزامات فى سنة ١٠٧٩ هـ . وفى دليل النواحى سنة ١٢٢٤ هـ . ولخراب مساكنها ألغيت وحدتها وأضيف زمامها فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ إلى ناحية سنابادة ، وبذلك آختفى آسم الناصرية من عداد النواحى المصرية . =

ونُقِـل إليهـا المِقْـداد[1] بن شمّـاس وأولادهُ ، وعِدّةُ أولاده مائة ولد ذكر .
وٱستمرّ المـاء فى خليج الإسـكندرية طول السنة ، وفَرِح النـاس بهـذا الخليج
فرحًا زائدًا ، وعظُمت المنـافع به . وأنشأ الميدان[2] تحت قلعـة الجبل وأجرى
له المياه وغَرَس فيه النخل والأشجار، ولَعِب فيه بالكُرة فى كلّ يوم ثلاثاء مع الأمراء
والخاصّكيّة وأولاد الملوك . وكان الملك الناصر يُجيد لَعِب الكُرة إلى الغاية بحيث ٥
إنه كان لا يُدانيه فيهـا أحدٌ فى زمانه إلّا إن كان ٱبن أَرْغُون النائب . ثم عَمّر فوق
المَيْدان هذا القصرَ الأَبْلَق[3] وأخرب البُرْج الذى كان عَمّره أخوه الأشرف خليل على

= وبالبحث عن مكان هذه القرية تبين لى أنه حول سنة ١٢٠٠ هـ نزل بها جماعة من أهالى بلدة نكلا العنب إحدى قرى مركز إيتـاى البارود بمديرية البحيرة فعمروها ووضعوا أيديهـم على أطيانها وسمـوها كفر نكلا نسبة إلى نكلا بلدتهم الأصلية . وفى تاريخ سنة ١٢٤٥ هـ فصل كفر نكلا هذا بزمام خاص من أراضى ناحية سنابادة ، وبذلك أصبح ناحية قائمة بذاتها . ١٠

وممـا ذكر يتضح أن الناصرية مكانهـا اليوم كفر نكلا المذكور إحدى قرى مركز المحمودية بمديرية البحيرة بمصر ، وهذا الكفر يقع على ترعة المحمودية التى هى خليج الإسكندرية ، وبالقرب من فمها الآخذ من فرع النيل الغربى عند بلدة المحمودية .

(١) عقد له صاحب الدرر الكامنة ترجمة وافية بٱسم : « مقدام بن شماس البدوى » فراجعها إن شئت. ١٥

(٢) هذا الميدان هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بٱسم الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) فقال : إن هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ، ثم جدده الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فى سـنة ٦١١ هـ ، ثم ٱهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب ٱهتماما زائدا وأنشأ حوله الأشجار ، فجاء من أحسن الميادين . وفى سـنة ٦٥١ هـ هدمه الملك المعز أيبك التركمانى فزالت آثاره . وفى سنة ٧١٢ هـ . عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وغرس فيـه النخيل والأشجار وأدار عليه سـورا من الحجر ، فجاء ميدانا فسيح المدى يمتد تحت سـور القلعة من باب الإصـطبل إلى قرب باب القرافة . ويستفاد ممـا ذكره ٱبن إياس فى كتاب بدائع الزهور (ص ٥٦ ج ٤) أن السـلطان الأشرف قانصوه الغورى عمر هـذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثيل فى سنة ٩٠٩ هـ فردم أرضه بالطين وعلّى أسواره وجعل له بابا كبيرا مطلا على الرملة (الرميلة) وعليه قصر فاخر وأنشأ بالميدان بسـتانا نقل إليه جميع أشجار أنواع الفاكهة ، وأنشأ به مقعدا وبيتا وأنشأ فى الجهة الغربية منه قصرا حافلا ومنظرة وبحرة وغير ذلك من المبانى الفاخرة . وذكره المقريزى فى كتاب السلوك بٱسم الميدان الأسود . ومن هذا يتبين أن ميدان القلعة والميدان الأسـود أو قره ميدان (أى الميدان الأسود) مكانه اليوم ميدان صلاح الدين ويقال له المنشية تحت القلعة بالقاهرة . ٢٠ ٢٥

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من هذا الجزء .

الإسطبل وجَعَل مكانه القصر المذكور . وعَمَّـر فوقه رفرفا وعمّر بجانبـه بُرجا[(١)] نَقَل إليه المماليك، وغيّر باب النحاس[(٢)] من قلعة الجبل ووسّع دِهْلِيزه، وعمّر فى الساحة تُجاه الإيوان طِباقا[(٣)] للأمراء الخاصكيّـة ، وغيّر عمارة الإيوان[(٤)] مرّتين، ثم فى الثالثة أقرّه على ما هو عليه الآن ، وحَمَل إليـه العُمُد الكِبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم
٥ المبانى الملوكيّة ، ورتّب خدمته بالإيوان بأنواع مَهُولة عجيبة مُزْعِجة لمن يَقْـدَم من رُسُل الملوك ، يطول الشرح فى ذكر ترتيب ذلك . ثم رتّب خَدَم القصر ومُشِدِّيه، وما كان يُفْرَش فيه من أنواع البُسُط والستائر، وكيفية حركة أرباب الوظائف فيه.

ثم عَمّر بالقلعة أيضا دُورًا للأمراء الذين زوّجهم لبناته، وأجرى إليها المياه وعَمِل بهـا الحمّامات وزاد فى باب القُـلّة[(٥)] من القلعة بابا ثانيـا . وعمّر جامع القلعـة[(٦)]

---

١٠ (١) لمـا تكلم المقريزى فى خططه على الرفرف (ص ٢١٢ ج ٢) قال : إن الملك الأشرف خليل ابن قلاوون أنشأ قصرا عاليا بالقلعة وأسماه الرفرف واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة ٧١٢ هـ . وعمل بجواره برجا بجوار الإصطبل نقل اليه المماليك . و بالبحث تبين لى أن هذا البرج لاتزال آثاره باقية فى الزاوية القبلية الغربية من السور الغربى للمكان الذى فيه اليوم السجن الحربى بالقلعة والذى يشرف على ورش الجيش المصرى و يوجد بأسفل جدار هذا البرج نقش فى الحجر يدل على أن
١٥ الملك الناصر أنشأه سنة ٧١٢ هـ. (٢) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن هذا الباب من داخل الستارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية ؛ عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وزاد فى دهليزه. والظاهر أن هـذا الباب كان من أبواب السراى المخصصة لسكنى الملك وحرمه ، وقـد زال بزوال السراى التى كان مركبا على أحد دهاليزها بقلعة الجبل . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من هذا الجزء . (٥) هذا الباب
٢٠ سبق التعليق عليه بالحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، وذكرت أن باب القلة الأصلى والباب الثانى الذى أنشأه الناصر محمد بن قلاوون قد اندثرا . وأضيف هنا إلى ما سبق ذكره أن البابين المذكورين قد هدما من قديم وأنهما كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلة الحالى . ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ م أن هذا الباب كان يسمى باب المدافع . وفى سنة ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٦ م جدد محمد على باشا الكبير باب القلة الحالى الذى يعرف الآن بالبوابة الداخلية وهذه البوابة
٢٥ واقعة بعـد البوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحرى الشرقى لجامع الناصر محمد بن قلاوون ، وتوصل إلى ثكنات العسكر الداخلية التى تنتهى شمالا بالجامع المعروف بسيدى سارية بقلعة الجبل بالقاهرة .
(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٦ من هذا الجزء .

والقاعات السبع التى تُشرف على المَيْدان[1] لأجل سَراريه. وعَمَّر باب القرافة[2]. وكان غالب عمائره بالحجارة خوفًا من الحريق. وعزم على أن يُغيِّر باب المدرَّج[3] ويَعمل له

(١) ذكرها المقريزى فى خططه بأسم السبع قاعات (ص ٢١٢ ج ٢) فقال: إن هذه القاعات تشرف على الميدان و باب القرافة . عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها سراريه .

و بالبحث تبين لى أن هذه القاعات مكانها اليوم سراى الجوهرة الواقعة فى الزاوية الجنوبية الغربية بالقلعة بالقاهرة. (٢) المقصود هنا باب القرافة أحد أبواب قلعة الجبل بالقاهرة، لذكره ضمن الإصلاحات التى عملها الملك الناصر بالقلعة ، ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على ذكر صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج٢) فقال: و يدخل إلى القلعة من بابين أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة، و يقال له الباب المدرج، والباب الثانى باب القرافة وبين البابين مساحة فسيحة فى جانبها بيوت و بجانبها القبلى سوق للمآكل.

و بالبحث عن موقع هذا الباب فى سور القلعة تبين لى أنه كان بسورها القبلى بين البدنتين المعروفتين ببرج المطرفى الجانب الشرقى من السور القبلى الذى ينتهى من الغرب بباب المقطم . وقد سد باب القرافة من الخارج وقت تجديد السور فى العهد العثمانى، ولم يدل عليه من الخارج غير البدنتين المذكورتين. وأما من الداخل فآثاره موجودة ، وكان دهليزه مسدودا بالأتربة والأنقاض، فكشفت عنه إدارة حفظ الآثار العربية وأصلحته ، وكان يفتح على القرافة التى لاتزال موجودة جنوبى قلعة الجبل بالقاهرة . وهذا الباب هو خلاف باب القرافة الذى تكلمنا عليه فى الحاشيه رقم ٢ ص ١١١ من هذا الجزء .

(٣) هذا الباب هو أقدم الأبواب العمومية وأعظمها بقلعة الجبل . أنشأه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مع القلعة فى سنة ٥٧٩ هـ، وسبق التعليق عليه بالحاشية رقم ٤ ص ١٩٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة. وأضيف هنا إلى ماسبق ذكره وصف حاله هو وما جاوره من أبواب القلعة فى العهد العثمانى كما هو مبين على خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠م ما يأتى :

يستفاد مما ورد بها . (أوّلا) أن باب المدرج المذكور كان يعرف فى ذلك الوقت بباب مستحفظان وهم طائفة من عساكر الجيش العامل وظيفتهم المحافظة على البلاد والدفاع عنها ، وكان هذا الباب خاصا بهم . (ثانيا) أنه يوجد بسور القلعة البحرى باب آخر غربى باب المدرج يسمى باب الانكشارية (الينكجرية) وهم طائفة من العساكر التركية أرسلتهم الدولة العثمانية للمحافظة على مصر، وكان هذا الباب خاصا بهم . (ثالثا) يوجد خلف باب الانكشارية من الداخل باب آخر يسمى الباب الشرك ، لأنه كان شركة بين المستحفظان والانكشارية يمرون منه على السواء .

وفى ولاية محمد على باشا الكبير على مصر جدد أكثر أبواب القلعة وأسوارها، ومن ذلك أنه جدد باب الانكشارية فى سنة ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٥م، وهذا الباب لايزال موجودا ولكنه مسدود بالبناء، مكانه غربى باب القلعة العمومى البحرى تجاه باب الدفترخانة القديمة . ولما تبين لسموه أن باب المدرج و باب الانكشارية لا يصلحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل أنشأ رحمه الله فى سنة ١٢٤٢ هـ = ١٨٢٧م باب القلعة العمومى الحالى الذى يعرف بالبوابة العمومية أو الباب الجديد، ومهد له طريقا منحدرة لتسهيل الصعود إلى القلعة والنزول منها تعرف اليوم بشارع الباب الجديد، وهذا الباب يجاوره من الشرق باب المدرج القديم، ومن الغرب باب الانكشارية ، وقد بطل استعمال هذين البابين من ذلك الوقت اكتفاء بالباب العمومى الحالى . =

دركاه[1] فمات قبل ذلك . وعمّر بالقلعة حوش الغنم[2] وحوش البقر وحوش المعزى فأوسع فيها نحو خمسين فدانا . وعمّر الخانقاة[3] بناحية سرياقوس ورتّب فيها مائة صوفىّ لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلْوَى وسائر ما يحتاج إليه .

قلت : وقد صارت الخانقاة الآن مدينة عظيمة . انتهى .

٥ قال : وعمّر القصور بسرياقوس ، وعمل لها بستانا حمل إليه الأشجار من دمشق وغيرها ، فصار بها عامّة[4] فواكه الشام . وحفر الخليج الناصرىّ خارج القاهرة حتى أوصله بسرياقوس ، وعمّر على هذا الخليج أيضا عدّة قناطر[5] ، وصار

= ثم جدد أيضا الباب الشرك وهو الذى يلى الباب العمومى من الداخل وهو بذاته باب السر السابق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ بالجزء الثامن من هذه الطبعة . وقد سماه ابن إياس فى الجزء الرابع من

١٠ كتاب بدائع الزهور طبع استانبول سنة ١٩٣١ باب السبع حدرات (ص ٧٥ و ٤٨٤) لأن الطريق الذى بينه وبين باب العزب أرضها منحدرة وكان بها قديما سبع حدرات يفصل بين الحدرة والأخرى درجة من الحجر . وهذا الباب يعرف اليوم بالبوابة الوسطانية ، و يدخل منها إلى الحوش الذى فيه جامع محمد على وجامع الناصر محمد بن قلاوون والبوابة الداخلية بالقلعة .

(١) الدركاه : القصر ، فارسيته « دركاه » ومعناه الباب والسدّة والدار ، وهو مركب من « در »

١٥ أى باب ومن « كاه » أى محل . (عن كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) . (٢) هذه الحيشان الثلاثة لم يكن منها داخل القلعة إلا حوش الغنم ، وهو الذى سبق التعليق عليه فى هذا الجزء فى الحاشية رقم ٣ ص ١١٩ باسم الحوش بالقلعة . وأما ما ذكره مؤلف هذا الكتاب من أن مساحة هذه الحيشان كانت خمسين فدانا فطبعا مثل هذه المساحة لابد أن تكون خارج أسوار القلعة إلا إذا كان قصده أن مساحتها خمسة أفدنة لا خمسون فدانا فيكون هو بذاته حوش الغنم الذى سبق التعليق عليه . (٣) هذه الخانقاه سبق التعليق

٢٠ عليها بالحاشية رقم ١ ص ١٤٤ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من هذا الجزء .

(٥) بلغ عدد القناطر التى عمرت على الخليج الناصرى الذى حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٥ هـ خمس قناطر ، ذكر المؤلف منها قنطرتين وهما قنطرة الفخر وقنطرة قدادار ، وقد علقنا عليهما فى موضعهما من هذا الجزء . وإتماما للفائدة أذكر هنا الثلاث القناطر الأخرى وهى :

(أوّلا) قنطرة الكتبة ، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٥٠ ج ٢) فقال : إن هذه القنطرة على الخليج

٢٥ الناصرى بخط بركة قرموط ، عرفت بذلك لكثرة من كان يسكن هناك من الكتاب . أنشأها القاضى شمس الدين عبد الله بن أبى سعيد بن أبى السرور الشهير بغبريال ناظر الدولة فى سنة ٧٢٥ هـ . وذكر ابن إياس فى كتاب بدائع الزهور (ص ١٦٥ ج ١) أنه من ضمن القناطر التى أقيمت على الخليج الناصرى قنطرة عند بركة قرموط تعرف بقنطرة الصرا . =

بجانبى هـذا الخليج عِدَّةُ بساتين وأمـلاك . وعُمِّرت به أرض الطبَّالة بعـد خرابها
من أيام العادل كَتْبُغَا . وعُمِّرت بجزيرة الفيل، وناحية بولاق بعد ما كانت رمالا،
يَرْمِى بها المماليك النُشَّاب، وتَلعَب الأمراء بها الكُرَة، فصارت كلُّها دورًا وقصورًا
وجوامع وأسواقًا و بساتين، و بلغت البساتينُ بجزيرة الفيل فى أيامه مائةً وخمسين بُستانًا
بعد ما كانت نحو العشرين بُستانا . واتّصلت العمائرُ من ناحية مُنْيَة الشّيرج(١) على النيل ٥

و بالبحث تبين لى أن قنطرة الكتبة هى بذاتها قنطرة العسرا، وهى المبينة على خريطة القاهرة رسم سـنة ١٨٠٠ م بأسم قنطرة المغربى وقد اندثرت . ومكانهـا يقع فى شارع فؤاد الأول عند تلاقيه بشارع سليمن باشا بالقاهرة حيث كان يمر الخليج الناصرى فى تلك الجهة .

(ثانيا) قنطرة باب البحر ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٥١ ج ٢) فقال : إن هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصل إليها من باب البحر و يمر الناس من فوقها إلى بولاق وغيرها، وهى مما أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٥ هـ . ١٠

و بالبحث تبين لى أن هذه القنطرة هى المبينة على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ بأسم قنطرة الليمون عند باب البحر و يقال لها قنطرة المدبولى، وقد اندثرت . ومكانها يقع فى أول شارع سيدى المدبولى تجاه عطفة المقس من جهة ميدان محطة مصر، حيث كان الخليج الناصرى يمر فى تلك الجهة .

ولمـا أنشئت الترعة الإسماعيليـة كان فمها يأخذ من النيل بجرى ثكنات قصر النيل، وكانت تمر محاذية لشارع الملكة نازلى، و بعد أن تخترق ميدان محطة مصر تسير شمـالا إلى قرية الأميرية، وقد أقيم على هذه الترعة كوبرى للمرور بين ميدان باب الحـديد وميدان محطة مصر عرف بكوبرى الليمون لقربه من قنطرة الليمون المذكورة، وقد اندثر هذا الكوبرى بردم ترعة الإسماعيلية داخل القاهرة، ونقل فمهـا إلى جوار قرية شبرا الخيمة، وإلى هذا الكوبرى تنسب محطة كوبرى الليمون التى بميدان محطة مصر بالقاهرة . ١٥

(ثالثا) قنطرة الحاجب ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٥١ ج ٢) فقال : إن هذه القنطرة على الخليج الناصرى يتوصـــل إليها من أرض الطبالة و يسير الناس عليها إلى أرض البعل ومنية الشيرج وغيرها . أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة ٧٢٥ هـ . ٢٠

و بالبحث تبين لى أن هذه القنطرة كانت تعرف أخيرا بقنطرة البكرية وهى مبينة على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ م بهذا الاسم، وقد اندثرت . ومكانها يقع بشارع قنطرة البكرية على بعد ثلاثين مترا من نقطة تقابله بشارع الظاهر بالقاهرة، حيث كان الخليج الناصرى يمر فى تلك الجهة، وأن شارع خليج الطواب الواقع شرق هـــذه القنطرة هو فى مكان المجرى القديم للخليج الناصرى كان يســير إلى الشرق إلى أن يصب فى الخليج المصرى . ٢٥

(١) ذكرها المقريزى فى خططه تحت عنوان منية الأمراء (ص ١٣٠ ج ٢) فقال : منية الشـيرج و يقال لها المنية ومنية الأمير ومنية الأمراء، بلدة فيها أسواق على فرسخ من القاهرة فى طريق الإسكندرية، وهذه القرية هى الآن من الضواحى التابعة لقسم شبرا بمدينة القاهرة . ٣٠

إلى جامع الخطيرى إلى حكر ابن الأثير(١) وزريبة قوصون(٢) وإلى منشأة المهرانى(٣) إلى بركة

(١) لما تكلم المقريزى فى خططه على الأماكن التى كانت بين بولاق ومنشأة المهرانى (ص ١٣١ ج ٢) قال: إن القاضى علاء الدين بن الأثير كاتب السر أنشأ دارا على النيل و بنى الناس بجواره فعرف ذلك الخط بحكر ابن الأثير، واتصلت العمارة من بولاق إلى فم الخور، ومنه إلى حكر ابن الأثير. ومن هذا إلى زريبة قوصون إلى آخر ما ذكره. و بالبحث تبين لى أن هــذا الحكر كان واقعا فى المنطقة التى تعرف اليوم بعشش الشيخ على وعشش شركس فى الجهة الجنوبية من بولاق. و يحدها من الغرب شارع ساحل الغلال حيث كان النيل يجرى تحته فى ذلك الوقت. ومن الجنوب والشرق شارع فم الترعة البولاقية بالقــاهرة.

(٢) لما تكلم المقريزى فى خططه على ما بين بولاق ومنشأة المهــرانى (ص ١٣١ ج ٢) قال: وأما زريبة قوصون فكانت على النيل تجاه الميدان الظاهرى الذى جعله الملك الناصر محمد بن قلاوون بستانا وأنعم به على الأمير قوصون فعمر هذه الزريبة على النيل بينه و بين البستان المذكور، و بنى الناس الدور الكثيرة هناك وعظمت العمارة بأرض هذه الزريبة. ومما ذكر وما سبق ذكره فى تعليقنا على الميدان الظاهرى بالحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء يتبين أن زريبة قوصون مكانها اليوم الأرض التى عليها دار الآثار المصرية وملحقاتها بشارع مريت باشا بالقاهرة. وأما خط زريبــة قوصون فكان يشمل المنطقة الواقع فيها الآن دار الآثار المصرية وقصر النيل و يمتد هذا الخط جنوبا على النيل لغاية شارع الشيخ الأربعين بخط قصر الدوبارة بالقاهرة.

(٣) هذه المنشأة ذكرها المقريزى فى خططه عند الكلام على المنشأة (ص ٣٤٥ ج ١) فقال: إن موضعها فيما بين النيل والخليج الكبير و يعرف موضعها بالكوم الأحمر حيث كان به تعمل أقمنة الطوب. ولما أنشأ الوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا (بكسر الحاء) الجامع بخط الكوم الأحمــر أنشأ الأمير سيف الدين بلبان المهرانى دارا وسكنها و بنى مسجدا بجوارها فعرفت هذه الخطة به، وقيل لها منشأة المهرانى، لأنه أول من ابتنى بها بعد بناء الجامع، وتتابع النــاس فى البناء بهــذه المنشأة وأكثروا فيها من العمائر. وذكرها المقريزى أيضا فى خططه فى صفحات ٣٤٣ ج ١ و ١١٤ ج ٢ و ١٤٦ ج ٢، وذكرها ابن دقماق فى الانتصار فى صفحتى ١١٥ و ١٢٠ ج ٤ وذكرها ابن إياس فى بدائع الزهور (ص ٨٠ ج ٢) فقال: إن الأمير شهاب الدين أحمد بن محمود العينى أنشأ قصرا عظيما يطل على النيل بمنشأة المهرانى.

و يستفاد من المصادر المشار إليها ومن مباحثنا أن منشأة المهرانى كانت واقعة بين سيالة جزيرة الروضة والخليج المصرى بأوله من جهة فم الخليج، بدليل أن القصر الذى أنشأه شهاب الدين أحمد بن محمود العينى مكانه اليوم مستشفى قصر العينى الذى نسب إلى العينى المذكور، وكانت هــذه المنشأة واقعة فى المنطقة التى يحدها اليوم من الغرب سيالة جزيرة الروضة، ومن الجنوب ميــدان ومنتزه فم الخليج اللذان أنشئا مكان فم الخليج المصرى، والحد الشرقى بعضه مساكن أقيمت على ذات الخليج بعد ردمه، و بعضه أرض فضاء، و بعضه شارع الخليج المصرى، والحد البحرى شارع كوبرى محمد على وشارع بستان الفاضل وما فى امتداده من الشرق إلى شارع الخليج المصرى.

وقد لاحظت أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم منشأة المهرانى على شارع متفرع من شارع الحو ياتى بالقرب من ميدان الفلكى باعتبار أن المنشأة المذكورة كانت فى تلك الجهة فى حين أن الشــارع الذى أطلق اسمها عليه بعيد عن الموقع الأصلى لتلك المنشأة، وليس له بها أية علاقة ولا يوصل إليها كما يتبين مما ذكرناه عنها.

الحَبَش ، حتّى كان الإنسان يتعجّب لذلك ، فإنه كان قبل ذلك بمدّة يسيرة تِلالًا ووِمالا وخَلْفاء، فصار لا يُرى قَدْرُ ذراع إلّا وفيه بناء . كلّ ذلك من محبّة السلطان للتعمير . فصار كلّ أحد فى أيامه يفعل ذلك ويتقرّب إلى خاطره بهذا الشأن. وصار لهم أيضا غِيّة فى ذلك، كما قيل : الناس على دِين مليكهم، بل قيل إنه كان إذا سَمِع بأحد قد أنشأ عمارة بمكان شكَره فى المَلَأ وأمدّه فى الباطن بالمال والآلات، وغيرها ، فعُمِّرت مصرُ فى أيامه وصارت أضعاف ما كانت ، كما سيأتى ذكرُه من الحارات والحكورة والأماكن. فممّا عُمِّر فى أيامه أيضا القطعة[1] التى فيما بين قُبّة الإمام الشافعىّ، رضى الله عنه، إلى باب القرافة طولا وعرضا بعد ما كانت فضاء[2] لسباق خيل الأمراء والأجناد والخُدّام ، فكان يحصُل هناك أيام السِّباق اجتماعات جليلة للتفرّج على السِّباق إلى أن أنشأ الأميرُ بَيْبُغَا[3] التُّرْكُمانىّ تربته[4] بها ، وشكَره السلطان . فأنشأ الناس فيه تُرَبًا حتى صارت كما ترى .

قلت : وكذا وقع أيضا فى زماننا هذا بالساحة التى كانت تُجاه تُربة[5] الملك الظاهر بَرْقُوق (أعنى المدرسة الناصرية بالصحراء) فإنها كانت فى أوائل الدولة

(١) يقصد بتلك القطعة : المنطقة التى تشمل الآن جبانات الإمام الشافعى والخريطة القديمة وعرب قريش ومقابر المماليك الواقعة جنوبى قلعة الجبل ، حيث عمرت بالمقابر ، ولا تزال مستعملة لدفن الموتى .

(٢) هذا الفضاء كان قبل ذلك ميدانا ذكره مؤلف هذا الكتاب باسم ميدان الملك السعيد بركة خان . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) فى أحد الأصلين : « يلبغا التركانى » وهو تصحيف . وقد نسب المؤلف إنشاء هذه التربة إلى بيبغا فى حين أن بيبغا هذا توفى سنة ٧٠٧ هـ فبناها له السلطان محمد الناصر بعد وفاته واشتد حزنه عليه . (راجع الدرر الكامنة والسلوك ج ٥ لوحة ٤٠٩) .

(٤) هذه التربة قد اندثرت ولم يستدل على موقعها لدخولها فى أرض الترب الحالية بجبانة الإمام الشافعى التى كانت تعرف بالقرافة الصغرى .

(٥) هذه التربة ، ويقال لها تربة الظاهر برقوق أو المدرسة الناصرية بالصحراء أو الخانقاه البرقوقية ، هى أكبر تربة وجدت فى جبانات القاهرة وأوسعها مساحة فهى تشمل مسجدا فسيح الأرجاء ، مستكمل جميع معدات الصلاة والتدريس وعلى خانقاه ذات خلاوى عدة للصوفية ، وعلى سبيلين يعلوهما مكتبان فى الوجهة الغربية التى يعلوها أيضا منارتان . وفى الجهة الشرقية قبتان تحت القبة البحرية منهما قبر الملك الظاهر برقوق المتوفى سنة ٨٠١ هـ =

الأشرفية بَرْسباى ساحة كبيرة يَلْعَب فيها المماليك السلطانية بالرُّمح ، وهى الآن كما ترى من العمائر . وكذا وقع أيضا بالساحة[(١)] التى كانت من جامع أَيْدَمُر الخَطِيرىّ على ساحل بولاق إلى بيت المَقَرّ الكمال[(٢)] آبن البارزىّ ، فإنّ الملك المؤيّد شيخ جلس فى حدود سنة عشرين وثمانمائة ببيت القاضى ناصر[(٣)] الدين آبن البارزى والد كمال الدين المذكور بساحة بولاق ، وساقت الرّمّاحة المَحْمِل قدّامه بالساحة المذكورة ، وهى الآن كما هى من الأملاك . وكذلك وقع أيضا بخانقاه سِرْياقُوس وأنّها كانت ساحة عظيمة من قُدّام خانقاه الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الترجمة إلى الفضاء ، حتى عَمّر بها الأمير سودون بن عبد الرحمن مدرسته[(٤)] فى حدود سنة ست وعشرين

= وقبور أولاده ما عدا آبنه الملك الناصر فرج الذى أنشأ هذه التربة العظيمة ، فإنه قتل فى الشام فى سنة ٨١٥ هـ ودفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق . ويستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على المقابر خارج باب النصر (ص ٤٦٣ ج ٢) ، ومن الكتابات المنقوشة فى بعض مواضع من هذه التربة أن الذى أنشأها هو الملك الناصر فرج بن برقوق ، فبدأ فى عمارتها سنة ٨٠١ هـ وفرغ منها فى سنة ٨١٣ هـ ، ولذلك يقال لها المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر المذكور . وهذه التربة واقعة بحرى بجبانة المماليك ، بينها و بين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الخفير بالقاهرة . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم و إصلاح هذه العمارة الفخمة حتى أعادتها إلى حالتها الأولى . وأما الساحة التى يشير إليها المؤلف تجاه هذه التربة فلا تزال مشغولة بالترب وتعرف بمقابر المماليك ويسميها العامة مقابر الخلفاء وهذا خطأ ، لأنه لا يوجد فى تلك المنطقة قبر لأحد من الخلفاء العباسيين ولا الفاطميين .

(١) بالبحث تبين لى أن هذه الساحة كانت واقعة فى الجهة الشمالية لجامع الخطيرى الكائن بشارع فؤاد الأول ببولاق بالقاهرة ، وكانت تمتد على شاطئ النيل القديم مذ كان النيل يجرى قديما فى حدها الغربى بشارع الخضراء ، وكان حدها البحرى شارع حواصل الكسب ، وحدها الشرقى شارع سيدى الخطيرى ببولاق ، وكان بيت القاضى ناصر الدين بن البارزى فى حدها البحرى ، وقد آندثر وأقيم فى مكانه بيوت أخرى .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله القاضى كمال الدين أبو المعالى آبن القاضى ناصر الدين آبن القاضى كمال الدين آبن البارزى الجهنى الحموى الأصل والمولد ، المصرى الدار الشافعى كاتب السر الشريف بالديار المصرية . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٥٦ هـ .

(٣) هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله القاضى ناصر الدين بن عز الدين بن كمال الدين بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى ، كاتب السر الشريف بالديار المصرية . سيذكر المؤلف له ترجمة طويلة فى حوادث سنة ٨٢٣ هـ .

(٤) هذه المدرسة هى بذاتها التى سبق التعليق عليها بآسم جامع أو المدرسة العبد الرحمانية . راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من هذا الجزء .

وثمانمائة ، فكان ما بين المدرسة العبد الرحمانية المذكورة وبين باب الخانقاه الناصرية ميدانٌ كبير . انتهى . وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر الملك الناصر محمد فنقول أيضا :

وعَمَّر أيضا في أيامه الصحراء التي ما بين قلعة الجبل وخارج باب المحروق[1] إلى تربة الظاهر بَرْقُوق المقدّم ذكُرها . وأوّل من عَمَّر فيها الأمير قَرَاسُنْقُر تربته[2] ، وعَمَّر بها حوض السبيل يعلوه مسجد . ثم اقتدى به جماعة من الأمراء والخَوَنْدات والأعيان مثل خَوَنْد طُغَاى ، عَمَّرت بها تربتها[3] العظيمة ، ومثل طَشْتَمُر[4] حمّص أخضر

(١) هذا الباب هو أحد أبواب مدينة القاهرة القديمة في سورها الشرقي المشرف على الصحراء . وورد في كتاب صبح الأعشى (ص ٣٥٤ ج ٣) أن باب المحروق هو من الأبواب التي أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سور القاهرة الشرقي سنة ٥٦٩ هـ . وقال المقريزي في خططه (ص ٣٨٣ ج ١) : إن هذا الباب كان يعرف قديما بباب القراطين . وفي أيام الملك المعز أيبك التركماني وقع تنافس بينه وبين الأمير فارس الدين أقطاي على الملك . وكانت نتيجته قتل أقطاي فثارت مماليكه وتواعدوا على الخروج من مصر إلى الشام فخرجوا في الليل من بيوتهم إلى جهة باب القراطين فوجدوه مغلقا فأشعلوا فيه النار حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فعرف من ذلك الوقت باسم الباب المحروق .

وبالبحث عن موقع هذا الباب تبين لي أنه قد خرب . ومكانه اليوم بسور القاهرة الشرقي على رأس درب المحروق المنسوب إلى هذا الباب داخل شارع النبوية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

ومما يلفت النظر أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم الباب المحروق و باب القراطين على زقاقين بدرب شغلان شرق جامع السيدة فاطمة النبوية باعتبار أنهما بابان وأنهما كانا واقعين في تلك الجهة في حين أنهما باب واحد لا علاقة له بهذين الزقاقين . وموضعه كما ذكرنا و إليه ينسب درب المحروق وهي صفة لمحذوف ، وأصله درب الباب المحروق .

(٢) بالبحث تبين لي أن هذه التربة وملحقاتها كانت واقعة بجبانة المجاورين إحدى الجبانات الواقعة شرقي القاهرة وقد اندثرت هي وملحقاتها . ويتعذر الآن تعيين موقعها بين الترب الكثيرة التي أنشئت بعدها على أرض الجبانة المذكورة .

(٣) ذكرها المقريزي في خططه باسم خانقاه أم آنوك (ص ٤٢٥ ج ٢) . أنشأتها الخاتون طغاى والدة الأمير آنوك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون خارج باب البرقية بالصحراء تجاه تربة الأمير طاشتمر الساقي فجاءت من أجل المباني وجعلت بها صوفية .

وبالبحث تبين لي أن هذه الخانقاه لا تزال موجودة وبها قبة تحتها تربة خوند طغاى التي أنشأت هذه الخانقاه حول سنة ٧٤٥ هـ أي بعد وفاة زوجها الملك الناصر ، وهذه التربة كائنة على ناصية شارعي خوند طغاى والسلطان أحمد بجبانة المجاورين شرقي القاهرة .

(٤) هذه التربة أنشأها الأمير طشتمر حمص أخضر في شهر ربيع الأول سنة ٧٣٥ هـ ، ولا تزال موجودة يعلوها قبة بشارع العفيفي بجبانة المجاورين شرقي القاهرة .

الناصرى"، ومثل طَشْتَمُر[1] طلليه الناصرى" وغيرهم . وكان هذا الموضع ساحةً عظيمة، وبه مَيْدان القَبَق[2] من عهد الملك الظاهر بِيبَرْس برَسْم ركوب السلطان وعمل الموكب به برَسْم سِباق الخيل ، فلما عَمَّر قَرَاسُنْقُر تربته عَمَّر الناس بعده حتى صارت الصحراء مدينةً عظيمة . وعَمَّر الملك الناصر أيضا لمماليكه عِدّة قصور خارج القاهرة، وبها منها قصر الأمير طُقُتَمُر الدِّمشقى[3] بحدرة البقر، وبلغ مصروفُه ثمانمائة ألف درهم . فلما مات طُقُتَمُر أنعم به على الأمير طَشْتَمُر حِمِّص أخضر فزاد فى عمارته . ومنها قصر الأمير بَكْتَمُر[4] الساقى على بركة الفيل بالقرب من الكَبْش، فعَمِل أساسه أربعين ذراعا وآرتفاعه أربعين ذراعا فزاد مصروفُه[5] على ألف ألف درهم . ومنها

---

(١) بالبحث تبين لى أن هـذه التربة كانت واقعة بجبانة المجاورين بالقاهرة، وقد آندثرت ويتعذر الآن تعيين موقها بين الترب الكثيرة التى أنشئت بعـدها على أرض الجبـانة المذكورة . وهو سيف الدين طشتمر بن عبد الله الناصرى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية المعروف بطللية، وقيل له طلليه لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه : طلليه، وهو من مماليك الملك الناصر محمـد بن قلاوون . سيذكره المؤلف فى حوادث سـنة ٧٤٩ هـ . (٢) ويسمى الميدان الأسود . راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) هـذا القصر هو بذاته بيت طشتمر الساقى حمص أخضر الذى سبق التعليق عليه فى هـذا الجزء بالحاشية رقم ١ ص ١٢٢ (٤) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٦٨ ج ٢) فقال : إنه من أعظم مساكن مصر وأجلها قدرا وأحسنها بنيانا . وموضعه على بركة الفيل تجاه الكبش . أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون لسكن أجل أمراء دولته الأمير بكتمر الساقى .

وذكر الجبرتى فى تاريخه أن الأمير صالح بك القاسمى أمير الحج بنى فى سـنة ١١٧٢ هـ داره العظيمة المواجهة للكبش فى مكان قصر الأمير بكتمر الساقى .

وورد فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٤ ج ٢) أن هذه الدار صارت تتقلب مع تقلب الحوادث والأيام إلى أن أصبحت من أملاك الحكومة، وجعلت فى عهد محمـد على باشا الكبير ورشة لعمل الأسلحة وغيرها من أنواع الذخيرة، وتعرف بسراى الحوض المرصود بشارع مراسيا بالقاهرة .

ومما ذكر يتبين أن قصر الأمير بكتمر الساقى قد آندثر . ومكانه سراى الحوض المرصود التى هدمتها الحكومة، وشقت فى أرضها شارع محمد قدرى باشا فقسمها إلى قسمين الغربى منهما وهو معظم مساحتها جعلته الحكومة متنزها عاما باسم متنزه الحوض المرصود، والقسم الشرقى وهو الأصغر لا يزال قائما بمبانيه ومجعولا مستشفى للنساء . وفى سـنة ١٩٤٠ أنشأت الحكومة بمتنزه الحوض المرصود مطعما وحماما عامين للشعب على طراز صحى حديث، كما أنشئت مطاعم وحمامات أخرى شعبية فى نواح متفرقة بالقاهرة .

(٥) فى أحد الأصلين : « فزاد مصروفه من ألفى ألف درهم » .

الكَبْش[1]، حيث كان عمارة الملك الصالح نجم الدين أيّوب فعملَه الملك الناصر سبع قاعات برَسْم بناته ينزلون فيــه للفُرجة على ركوب السلطان للَمِيْدان[2] الكبير. لم ينحصر ما أنفقه فيها لكثرته . ومنها إسطبل[3] الأمير قَوْصُون بسوق الخيل[4] تحت القلعة تُجاه باب السلسلة[5]، وكان أصله إصطبل الأمير سَنْجَر البَشْمَقْدَار وسُنْقُر الطويل . ومنها قصر بَهَادُر الجوبانِيّ[6] بجوار زاوية البُرْهان[7] الصائغ بالجسر الأعظم تُجاه الكَبْش . ومنها ٥

(١) مناظر الكبش ، سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . وأما عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب التي جعلها الملك الناصر سبع قاعات برسم بناته فبالبحث تبين لي أنها كانت في المنطقة التي تعرف بقلعة الكبش وتشرف من بحريها على شارع مراسينا ومتنزه الحوض المرصود ، ومن غربيها على حوش أيوب بك والبغالة وتنتهي من قبلي إلى درب الساقية وسكة المناظر ، ومن الشرق إلى حارة التابعة بقسم السيدة زينب بالقاهرة . (٢) هو بذاته الميدان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر ١٠ على النيل بأرض بســتان الخشاب ، وسبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٦) يستفاد مما هو مذكور في الحاشية التالية أن هذا القصر قد اندثر . وكان واقعا في الجهة الغربية من جامع لاچين اللالا المعروف بجامع أبي سعيد جقمق بشارع مراسينا بقسم السيدة زينب بالقــاهرة . ١٥

(٧) هذه الزاوية ذكرها المقريزي في خططه باسم زاوية إبراهيم الصائغ (ص ٤٣٣ ج ٢) فقال : إنهــا بوسط الجسر الأعظم تطل على بركة الفيل . عمرها الأمير طغاي بعد سنة ٧٢٠ هـ ثم نزل بها الشيخ إبراهيم الصائغ إلى أن مات سنة ٧٥٤ هـ فعرفت به .

وبالبحث تبين لي أن هذه الزاوية هي التي تعرف اليوم بجامع لاچين اللالا بشارع مراسينا بالقــاهرة وورد في ترجمة لاچين اللالا الزردكاش بكتاب المنهل الصافي أنه عمــر جامعا بالقرب من الكبش على بركة ٢٠ الفيل سنة ٨٥٢ هـ ومات سنة ٨٨٦ هـ .

وورد في كتاب الضوء اللامع للسخاوي عند الكلام على ترجمة الملك الظاهر أبي سعيد جقمق أن لاچين السيفي اللالا عمر جامعا بالجسر الأعظم تحت الكبش ، وأول خطبة أقيمت فيه كانت يوم الجمعة ٢ شوال ســنة ٨٥٢ هـ وبعد عمارته بنحو ســنة كتب على بابه أن الذي أنشأه هو الملك الظاهر أبو ســعيد جقمق في سنة ٨٥٣ هـ . ٢٥

وأقول : إن هذا التاريخ لا يزال منقوشا على كتفي باب الجامع وهو عامر بالشعائر الدينية . وبما أن هــذا الجامع كان على بركة الفيل ويجاوره الآن من الجهة الشرقيــة متنزه الحوض المرصود الذي كان على أرضه قديما قصر الأمير بكتمر الساقي فيكون قصر بهادر الجوباني واقعا في الجهة الغربية من الجامع المذكور كما ذكرنا في الحاشية السابقة .

قصر قُطْلُوبُغَا الفخرى(١) وقصر أَلْطُنْبُغَا المـارِدانى(٢) وقصر يَلْبُغَا اليَحْيَاوِى(٣)، وهؤلاء أجلّ ما عَمّر من القصور وهم موضع المدرسة الناصريّة الحَسَنِيّة(٤)، أخذهم الملك الناصر حسن وهدّمهم وعَمّر مكان ذلك مدرسته المشهورة به . وعَمّر فى أيامه الأمراءُ عِدّةَ دور وقصور، منها : دار الأمير أَيْدُغْمُش(٥) أمير آخور وقَصْر بَشْتَك(٦) وغيره .

٥ وكان الملك الناصر له عنايةٌ كبيرة ببلاد الجيزة(٧)، حتى إنه عَمِل على كلّ بلد جسرا وقنطرةً ، وكانت قبـل ذلك أكثر بلادها تَشْرَقُ لعـلوّها ، فعَمِل جسر أُمّ دينار(٨)، فى ٱرتفاع ٱثنتى عشرة قصـبة . أقام العمل فيـه مدّة شهرين، وهو الذى ٱقترحه لحَبَس المـاءَ حتى ردّه(٩) على تلك الأراضى، وعمّ النفع بها جميعَ أهـل الجيزة . ومن يومئـذ قَوِى بسبب هـذا الجسر المـاءُ حتى حَفَر بحرًا(١٠) يتّصل بالجـيزة(١١) . وخرج ١٠ فى أراضى الجـيزة عِدّةُ مواضع وزُرِعت بعـد ما كانت شاسعة، وأخذ من هـذه

---

(١) لم يتكلم المقريزى فى خططه على هـذا القصر ، ولكنه لما ذكر رحبة الفخرى (ص ٤٨ ج ٢) قال : إن هذه الرحبة بخط الكافورى تجاه دار الأمير سيف الدين قطلوبغا الطويل الفخرى السلاح دار الأشرفى أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وبما أن خط الكافورى يشمل المنطقة المعروفة الآن بحارة برجوان والخرنفش، وكان بهذا الخط كثير ١٥ من دور الأمراء وقصورهم ، فالراجح ان هذه الدار كانت بحارة برجوان الحالية بالقرب من جامع زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ، وقد ٱندثر هذا القصر، وليس له أثر اليوم .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من هـذا الجزء . (٣) راجع الحاشـية رقم ٢ ص ١٢١ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من هـذا الجزء .

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢٢ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٩ ٢٠ من هذا الجزء . (٧) يقصد بذلك نواحى مديرية الجيزة بمصر وعنايته بإصلاح الرى فيها وزراعة أراضيها . (٨) أم دينار قرية من قرى مركز امبابه بمديرية الجيزة بمصر، واقعة فى الشمال الغربى من القناطر الخيرية . وقد أقيم عندها جسر فى أيام الملك الناصر محمـد بن قلاوون لتنظيم الرى بمـاء النيل فى الأحواض وقت الفيضان وهذا الجسر لا يزال باقيا ومعروفا باسم صليبة أم دينار .

(٩) فى السلوك : «حتى رويت تلك الأراضى كلها» . (١٠) فى الأصلين : «ومن ٢٥ يومئذ عمرت بلاد الجيزة بسبب هذا الجسر المـاء حتى ... الخ» . وما أثبتناه عن السلوك .

(١١) فى السلوك : «يتصل بالبحيرة» .

الأراضى قَوْصُون و بَشْتَك وغيرُهما عدّة أراض عمَّروها و وقفوها . وآستجدّ السلطان على بقية الأراضى ثلثمائة جندى" .

قلت : هذا وأبيك العمل ! وأين هذا من فعل غيره ! ينظر إلى أحسن البلاد فيأخذها و يُوقِفها فيخربها النُّظار بعـد سنين ؛ فالفرق واضح لا يحتاج إلى بيان . وهذا الذى أشرنا إليه من أن المَلِك إذا كان له معرفة حصـل له أغراضه من جمع المـال من هذا الوجه وغيره ، ولا يحتاج لأخذ الرشوة من الحُكَّام والإلحاش فى أخذ المُكوس وغيرها ومثل ذلك فكثير .

وآستجدَّت فى ايام الملك الناصر عِدّةُ أراضى أيضا بالشرقية (١) ونواحى قُوّة (٢) وغيرها أُقطِعت للأجناد، وكانت قبل ذلك بسنين كثيرة خرابًا لا يُنتفع بها . وعَمِل أيضا سدّ (٣)

---

(١) أى أنه أصلح أراضى كثيرة من أراضى إقليم الشرقية (مديرية الشرقية) بما حفره فيها من الترع ، وما أقيم عليها من القناطر وما أمر بإنشائه فى أراضيها من الجسور .

(٢) هى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى لفرع رشـيد فى شمال مدينـة دسوق وعلى بعد ١٢ كيلومترا منها . وهى الآن قاعدة مركز قوة أحد مراكز مديرية الغربية بمصر، والمقصود هنا بر حى المركز المذكور .

(٣) هذا السدّ هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بآسم جسر شبين القصر (ص ١٧٠ ج ٢) فقال : إن هذا الجسر أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ لإصلاح رى أراضى ناحية شبين وناحية مرصفا وغيرهما من النواحى التى أراضيها عالية ولا تعلوها المياه أثناء فيضان النيل ، وقد عاينها الملك بنفسه وأمر بعمل جسر من شبين القصر إلى بنها وأقام فيـه القناطر ، فصار محبسا لأراضى تلك البـلاد ، حتى إذا فتح بحر أبى المنجا آمتلأت الأملاق بالمـاء وأسند على هذا الجسر . وقد حصل منه نفع للنواحى ذات الأراضى العالية كما آستبحر منه بعض النواحى ذات الأراضى الواطئة .

و بالبحث تبين لى أن هذا الجسر ليس له أثر اليوم بسبب أعمال الرى الحالية ، ووجود الترع اللازمة لرى أراضى كل منطقة مرتفعة أو منخفضة على حدتها . هذا مع العلم بأن شبين القصر هى التى تعرف اليوم بشبين القناطر قاعدة مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية . ومرصفا هى إحدى قرى مركز بنها بالمديرية المذكورة و بنها هى قاعدة مديرية القليوبية بمصر .

شبين القَصْر[١] فزاد بسببه خراجُ الشرقيــة زيادةً كثيرة . وعَمِـل جسرا خارج القاهرة حتى ردَّ النيل عن مُنْية الشّـيرج وغيرها ، فعمّر بذلك عِدّة بساتين بجزيره الفيل، وأحكم عامّة أراضى مصر قبليّها و بحريّها بالترَاع والجسور حتى أتقن أمرها، وكان يركب إليها برَسْم الصَّيْد كلّ قليل، و يتفقّد أحوالها بنفسه، وينظر فى جسورها

٥ وتراعْها وقناطرها، بحيث إنه لم يَدَع فى أيامه موضعا منها حتى عَمِـل فيه ما يحتاج إليه . وكان له سعدٌ فى جميـع أعماله، فكان يقترح المنافع من قِبَـله، بعد أن كان يُزَهّده فيما يأمُر به حُذّاق المهندسين ، و يقول بعضهم : ياخَوَنْد ، الذين جاءوا من قبلنا لو عَلِموا أن هــذا يَصِحّ فعلوه ، فلا يَلتفت إلى قولهم ، و يَفْعَل ما بدا له من مصالح البـلاد، فتأتيه أغراضُـه على ما يُحِبّ وزيادة، فزاد فى أيّامه خراج مصر

١٠ زيادةً هائلةً فى سائر الأقاليم . وكان إذا سَمِـع بشراقى بلد أو قريةٍ من القُرَى أهَمّه ذلك وسأل المُقْطَع بهـا عن أحوال القرية المذكورة غيرَ مرّة ، بل كلّمـا وقع بصرُه عليه ، ولا يزال يفحص عن ذلك حتّى يَتوصّل الى ريّها بكل ما تصل قدرتُه إليه . كلّ ذلك وصاحبُها لا يسأله فى شىء من أمرها فيكلّمه بعض الأمراء فى ذلك فيقول : هذه قَرْيتى، وأنا الملزوم بها والمسئول عنها، فكان هذا دَأْبَه . وكان يَفْرَح

١٥ إذا سأله بعضُ الأجناد فى عمـل مصلحة بلده بسبب عَمَل جسر أو تقَاوِى أو غير ذلك ، و يَنْبُـل ذلك الرجلُ فى عينه، ويفعَل له ما طَلبـه من غير توقُّف ولا مَلَل فى إخراج المـال ، فإن كلّمه أحد فى ذلك فيقول : فلِمَ نجمـع المـال فى بيت مال

---

[١] هذا الجسر ذكره المقريزى فى خططه باسم الجسر من بولاق إلى منية الشيرج (ص ١٦٦ ج ٢) فقال : كان السبب فى عمل هذا الجسر أن ماء النيل قويت زيادته فى سنة ٧٢٣ هـ حتى أغرق من ناحية

٢٠ بستان الخشاب ودخل المـاء إلى جهة بولاق وفاضَ إلى باب اللوق، حتى اتصل بباب البحر ومنية الشيرج فهدمت عدّة دور كانت مطلة على النيل ، فعاين الملك الناصر محمد بن قلاوون هــذه الأماكن بنفسه وأمر بعمل جسر من بولاق إلى منية الشيرج لوقاية القاهرة من ضرر فيضان النيل .

و بالبحث تبين لى أن هذا الجسر قد اندثر، ومكانه اليوم شارع الترعة البولاقية من بولاق إلى منية الشيرج.

المسلمين إلّا لهذا المعنى وغيره ! فهذه كانت عوائده، وكذلك فعَل بالبلاد الشاميّة، حتى إنّ مدينة غَزّة هو الذى مصّرها وجعلها على هذه الهيئة ، وكانت قبلُ كآحاد قُرَى البلاد الشاميّة ، وجعل لها نائبًا، وسُمّى بمَلِك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلّا ضَيْعة من ضِياع الرملة ، ومثلها فكثير من قُرَى الشام وحلَب والساحل يطول الشرح فى ذكر ذلك .

وأنشأ الملك الناصر بالديار المصريّة المَيْدانَ[1] الكبير على النيل ، وخرّب مَيْدان[2] اللُّوق الذى كان عَمّره الظاهر بيبَرْس وعَمِله بُسْتانًا ، وقد تقدّم ذكره . ثم أنعم السلطان بالبُستان المذكور على الأمير قَوْصُون، فبَنَى قوصون تُجاهه زَرِيبَتَه المعروفة بزريبة قَوْصُون بنيانا ووقَفَه ، واقتدى الأمراء بقَوْصون فى العمارة . ثم أخذ

(١) هذا الميدان هو بذاته الميدان الناصرى الذى علقنا عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من هذا الجزء.

(٢) هذا الميدان هو بذاته الميدان الظاهرى الذى علقنا عليه فى الحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء .

ولمناسبة ذكر اللوق أذكر أنى لما تكلمت على اللوق وحدوده فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة قلت : « ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لأرض اللوق يتبين أنها كانت ممتدّة على النيل فى الجهة الغربيـة للقاهرة ، وتشمل المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بشارع قنطرة الدكة ، ومن الغرب بشارع الملكة نازلى إلى أوله عند مصلحة المجارى ثم ينعطف الحدّ إلى قصر النيل ، ومنه يسير محاذيا للنيل إلى كوبرى محمد على . والحدّ القبلى مستشفى قصر العينى وشارع بستان الفاضل » .

وبما أنه تبين لى الآن من مراجعة بعض المصادر الطبوغرافية أن الحدّ الغربى لأرض اللوق لم يكن متصلا بشاطئ النيل الحالى ، لهذا وجب علىّ تصحيح الحدّين الغربى والقبلى من أرض اللوق بأن يكون الحدّ الغربى لها شارع الملكة نازلى فشارع ماريت باشا فميدان الخديوى إسماعيل فشارع قصر العينى . والحدّ القبلى شارع بستان الفاضل ، وبذلك تكون الجملة التى فى آخر الحاشية المذكورة نصها وهى كما ترى « من قنطرة الدكة إلى شارع بستان الفاضل » .

وبناء على هذا التحديد خرج من أرض اللوق المنطقة الواقعة على النيل التى تشمل الآن دار الآثار المصرية وقصر النيل وخط قصر الدبارة وخط القصر العالى بالقاهرة .

قَوْصُونُ بُستان(١) الأمير بَهادُر رأس نوبة، وحكَّره للناس، ومساحتُه خمسة عشر فدّانا، فبنوه دورا على الخليج، فعُرِف بحكر قَوْصُون، وحكر السلطان حول البركة(٢) الناصريّة أراضى البُستان فعمّروها النـاس وسكنوا فيه، ثم حكر الأمير طُقُزْدَمُر

(١) ذكره المقريزى فى خططه بأسم حكر قوصون (ص ١١٥ ج ٢) فقال: إن هذا الحكر مجاور لقناطر السباع، كان بستانين أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى بين القاهرة ومصر بعدوة الخليج الكبير. والثانى يعرف بالمخاريق الصغرى. ثم قال: وكان بستان المخاريق الكبرى يحـدّ من القبلى بالخليج الكبير الفاصل بينـه وبين جامع السعدية والسبع سقايات، ومن الشرق بستان المخاريق الصغرى، ومن البحرى بستان ابن أبى أسامة الفاصل بينـه وبين بستان أبى اليمن المجـاور لبستان الزهرى، والحدّ الغربى ينتهى إلى الطريق. وأما بستان المخاريق الصغرى فإنه بعـدوة الخليج أيضا قبالة المجنونه (اسم قنطرة) بالقرب من بستان أبى اليمن. ثم عرف ببستان بهادر رأس نوبة فاشتراه الأمير قوصون الساقى وقلع غروسه وأذن للناس فى البناء عليه فحكروه وبنوا فيه الدورَ وغيرها وعرف بحكر قوصون.

وبالبحث تبين لى أن هذا الحكر كان واقعا فى المنطقة التى تحدّ الآن من الشمال بعطفة مرزوق وحارة قواديرو وهو الحدّ الفاصل قديما بين هذا الحكر وحكر طقزدمر، ومن الغرب شارع الناصرية وشارع الكومى، ومن الجنوب والشرق ميدان السيدة زينب وشارع الخليج المصرى.

(٢) ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٦٥ ج ٢) فقال: إن هذه البركة من جملة جنان الزهرى، وسبب حفرها أن الملك الناصر محمـد بن قلاوون لمـا أراد بناء الزريبة بجانب الجامع الطيبرسى على النيـل احتاج فى بنائها إلى طين فأمر بنقله من مكان هذه البركة إلى مكان الزريبة فى سنة ٧٢١ هـ، وبعد نقل الطين من البركة أجرى إليها المـاء من جوار الميـدان السلطانى الكائن بأرض بسـتان الخشاب فامتلأت بالمـاء وصارت مساحتها سبعة أفدنة، فحكر الناس حولها وبنوا الدور العظيمة. ولمـا تكلم المقريزى على جامع آق سـنقر (ص ٣٠٩ ج ٢) قال: إنه بسويقة السـباعين على البركة النـاصرية. ولمـا تكلم على جامع الإسماعيلى (ص ٣٢٧ ج ٢) قال: إنه على البركة الناصرية.

وبالبحث عن موقع البركة الناصرية تبين لى أنها هى البركة المبينة على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سـنة ١٨٠٠ م بأسم بركة سقى نصرة أو بركة السقايين. ومكانها المنطقة التى يخترقها الآن شارع نصرة، ويحدها من الشرق شارع عماد الدين. ومن الغرب شارع مصطفى باشا كامل (الشـيخ عبد الله سابقا). ومن الجنوب شارع الإسماعيلى بالقاهرة.

ولمـا تكلم صاحب الخطط التوفيقية على البركة الناصرية (ص ٩٧ ج ٣) قال: إن مكانها البركة المبينة على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية بأسم «بركة أبو الشامات» أو «بركة المهد» أو «بركة قاسم بك»، ومن حقوقها ديوان المـالية الذى كان بيتا لإسماعيل باشا المفتش والمبانى المقابلة له.

الحمويّ الناصرى بستانا بجوار الخليج (١)، مساحته ثلاثون فدانا، وبَنَى له قنطرة (٢) عُرفت به، وعَمِل هناك حمّاما وحوانيت أيضا، فصار حكرا عظيم المساكن.

قلت: وطُقُزْدَمُر هذا هو الذى جدّد الخطبة بالمدرسة المُعِزّيّة (٣) الأَيْبَكيّة على النيل بمصر القديمة.

= ومن يطلع على الخريطة المذكورة يميل الى ترجيح رأى صاحب الخطط التوفيقية لقرب مكان «بركة أبو الشامات» من موقع الزريبة التى نقل الطين إليها، لولا أن المقريزى فى وصفه للبركة الناصرية قال: إنها بأرض جنان الزهرى وطيها من الجهة البحرية جامع آق سنقر وسويقة السباعين، وطيها من الجهة القبلية جامع الإسماعيلى، وهذه الأماكن لاتزال كلها موجودة ومحتفظة بأسمائها القديمة حول بركة سنى نصرة السابق تحديدها، وأن هذه البركة واقعة بأرض جنان الزهرى وهى أرض موجودة من قديم الزمن غربى الخليج المصرى أى قبل فتح العرب لمصر. وكان النيل يمر بجوارها من الجهة الغربية حيث يمر اليوم شارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) وأما «بركة أبو الشامات» فإنها تقع بأرض طرح البحر الذى ظهر فى مجرى النيل القديم سنة ٧٣٠هـ غربى شارع نوبار باشا بأسم أرض اللوق. ويوجد الآن فى مكان بركة الشامات سرايات: وزارات المالية والمعارف والدفاع الوطنى، وبعض ما يجاورها من المساكن، وهذه تقع كما هو مشاهد فى موضعها الحالى غربى شارع نوبار باشا وخارجة عن حدود البركة الناصرية المذكورة.

(١) ذكره المقريزى فى خططه بأسم حكر طقزدمر (ص ١١٦ ج ٢) فقال: إن هذا الحكر كان بستانا مساحته نحو الثلاثين فدانا، فأشتراه الأمير طقزدمر الحموى نائب السلطنة بمصر والشام وقلع أخشابه وغروسه، وأذن للناس فى البناء عليه بحكره وأنشئوا به الدور الجليلة وصار الحكر مسكن الأمراء والأجناد. وبه السوق والحمامات والمساجد وغيرها.

وبالبحث تبين لى أن أرض هذا الحكر تقع على الجانب الغربى من الخليج المصرى، وبحسب تقدير المقريزى لمساحة الحكر يكون موقعه فى المنطقة التى تحد الآن من الشمال بسكة سوق مسكة وحارة الفقوسة. ومن الغرب شارع الناصرية. ومن الجنوب حارة قواوير وعطفة مرزوق، وهذا هو الحد الفاصل قديما بين هذا الحكر و بين حكر قوصون، ومن الشرق شارع الخليج المصرى بالقاهرة.

(٢) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه بأسم قنطرة طقزدمر (ص ١٤٧ ج ٢) فقال: إنها على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق يتوصل منها إلى بر الخليج الغربى وحكر طقزدمر. أنشأها الأمير طقزدمر الحموى حول سنة ٧٣٠ هـ. وأقول: إن هذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها بأسم قنطرة درب الجماميز إلى سنة ١٨٩٨ التى فيها تم ردم الجزء المتوسط من الخليج المصرى. داخل القاهرة وبردمه اختفت هذه القنطرة، ومكانها اليوم فى نقطة واقعة بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل شارع قنطرة درب الجماميز الموصل إلى حارتى السلطان الحنفى والهياتم بالقاهرة.

(٣) هذه المدرسة هى التى أنشأها الملك المعز أيبك التركمانى على النيل بمصر القديمة. وسبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٣ ص ١٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

ثم حكر الأمير آقبُغا عبد الواحد بستانا بجوار(1) بِركة قارون(2) ظاهر القاهرة، فعمره عمارة كبيرة، وأخذ بقيةُ الأمراء جميعَ ما كان من البساتين والجنينات ظاهر القاهرة وحكروها ، وحكّرت دادةُ السلطان الملك الناصر الستّ حَدَق(3) والستّ

(١) هـذا البستان ذكره المقريزى فى خططه تحت عنوان حكر آقبغا (ص ١١٦ ج ٢) فقال : إن هذا الحكر بجوار السبع سقايات ، بعضه بجانب الخليج من الجهة الغربية و يعرف ببستان المحلى ، و بعضه بجانب الخليج من الجهة الشرقية ، و يعرف ببستان جنـان الحارة بجوار بركة قارون ، و ينتهى إلى حوض الدمياطى الموجود على يمنة من سلك من خط السبع سقايات إلى قنطرة السـد ، فاستولى عليه الأمير آقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون وأذن للنـاس فى تحكيره ، فبنى فيه عدة مسا كن . وهذا الحكر كان يعرف قديمـا بالحمراء القصوى أو الدنيـا ، والآن يعرف بحكر آقبغا ، وكان به كنيسة الحمراء ، وقنطرة عبد العزيز بن مروان التى أنشأها على الخليج ليتوصل عليها من الحمراء القصوى إلى جنان الزهرى .

و بالبحث تبين لى (أولا) أن بستان المحلى الذى كان غربى الخليج المصرى يقع فى المنطقة التى تحد اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى . ومن الشمال امتداد شارع الوافدية . ومن الغرب شارع حلوان . ومن الجنوب شارع مدرسة الطب . وقد دخل فيما بعد القسم البحرى من بستان المحلى إلى ما يقابل شارع المواردى فى أرض بسـتان الخشاب . ودخل القسم القبلى منـه فى منشأة المهرانى . وكان يطلق على القسمين اسم المريس . (ثانيـا) أن بستان جنان الحارة الواقع شرقى الخليج يقع فى المنطقة التى تحـد اليوم من الشرق بحارة تميم الرصافى وما فى امتدادها جنوبا إلى النقطة التى يتقابل فيها درب الكلافى بشارع السـد ، وكان هذا الحد يفصل قديما بين حكر آقبغا و بين خط السبع سقايات . ومن الجنوب بدرب الكلافى وما فى امتداده إلى الغرب حتى يتقابل بشارع الخليج المصرى . ومن الغـرب والجنوب بشارع الخليج المصرى حتى يتقابل بحارة تميم الرصافى بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

(٢) فى الأصلين : « بجوار بركة الفيل » . وتصحيحه عن خطط المقريزى (ج ٢ ص ١١٦) .

(٣) هذان الحكران ذكرهما المقريزى فى خططه (ص ١١٦ ج ٢) فقال عن حكر السـت حدق : إن موضعه كان بساتين من جملتها بستان الخشاب . ثم أنشأت هناك جامعا كان موضـعه منظرة السكرة ، فبنى الناس حوله فعرف بحكر الست حدق ، ثم عرف بخط المريس ، وكان معظم سـكانه من السودان . وقال المقريزى عن حكر الست مسكة : إنه بسويقة السـباعين ، عرف بالست مسكة ، لأنهـا أنشأت به جامعا ، وكان هذا الحكر من أرض الزهرى . ثم فصل فصار بستانا ، فلما عمرت الست مسكة جامعها فيه بنى الناس حوله وسكنه الأمراء والأعيان وأنشئوا به الحمامات والأسواق وغير ذلك .

ومما ذكر يتبين أن المقريزى اعتبر الست حدق والست مسكة امرأتين ، وذكر لكل واحدة منهما حكرا وجامعا باسمها . ثم نقل عنه ذلك مؤلف هذ الكتاب ، ولكن من مطالعتى للكتب التـاريخية الأخرى ومن قراءتى لمـا هو مكتوب على أبواب المساجد وغيرها تبين لى أن الست حدق هى بذاتها الست مسكة ، وكانت من السيدات المشهورات بالأعمال الخيرية فأنشأت لها حكرا وجامعا بخط المريس عرفا بالست حدق وهو اسمها الأصلى . =

بمسكة القهرمانة حكرين عرفا بهما . وأنشأت كل واحدة منهما فى حكرها جامعا (١)

= ثم أنشأت لها حكرا وجامعا آخرين بخط سويقة السباعين عرفا بالست مسكة ، وهي الشهرة التي عرفت بها الست حدق ، فظن المقريزى أنهما سيدتان ، والصواب أنهما سيدة واحدة اسمها حدق المعروفة بست مسكة ويؤيد ذلك ما يأتى :

(أولا) أنه مكتوب بالنقش على لوح من الرخام مثبت بأعلى باب جامع الست مسكة الآتى ذكره فى الحاشية التالية بأن التى أمرت بإنشائه « ذات الستر الرفيع حدق المعروفة بست مسكة الناصرية فى سنة ٧٤٠ هـ » .

(ثانيا) لما تكلم ابن حجر العسقلانى على ترجمتها فى كتاب الدرر الكامنة ذكرها باسم حدق القهرمانة الناصرية ويقال لها ست مسكة عمرت جامعا ظاهر القاهرة .

(ثالثا) لما تكلم ابن بهادر فى كتابه فتوح النصر على أعمال الملك الناصر محمد بن قلاوون قال : إن دادته حدق القهرمانة المعروفة بمسكة عمرت مسجدها المعروف بها .

بعد ذلك أعود لموضوع الحكرين فأقول : إن الحكر الذى كان بخط المريس كان فى المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع المدرسة وما فى امتداده إلى الشرق حتى يتقابل بشارع الخليج المصرى . ومن الغرب شارع المنيرة . ومن الجنوب شارع بستان الفاضل وما فى امتداده إلى الشرق حتى يتقابل بشارع الخليج المصرى . ومن الشرق شارع الخليج المصرى بالقاهرة .

وأما الحكر الذى كان بسويقة السباعين فكان واقعا فى المنطقة التى تحد اليوم من الجنوب بسكة سوق مسكة . ومن الشرق بحارة النصارى . ومن الشمال بشارع درب الجمير . ومن الغرب بشارع سويقة السباعين بالقاهرة .

(١) ذكرنا فى الحاشية السابقة بالأدلة القاطعة على أن الست حدق والست مسكة هما سيدة واحدة ، اسمها حدق المعروفة بست مسكة ، وبناء على ذلك أقول : إن الجامع الذى أنشأته الست حدق بخط المريس ذكره المقريزى فى خططه (ص ٣١٣ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بخط المريس فى الجانب الغربى للخليج بالقرب من قنطرة السد ، أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٧ هـ فى مكان منظرة السكرة .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قد اندثر ولم يبق منه إلا القاعة التى بها ضريح الشيخ محمد الماوردى الكائن بعشش الماوردى الواقعة جنوبى محطة السيدة زينب بالقاهرة .

وأما الجامع الذى أنشأته الست المذكورة فى حكرها بسويقة السباعين فقد ذكره المقريزى باسم جامع الست مسكة (ص ٣٢٦ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بالقرب من قنطرة آق سنقر التى على الخليج الكبير خارج القاهرة . أنشأته الست مسكة جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقيمت فيه الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ .

وأقول : إن هذا الجامع لا يزال عامرا بإقامة الشعائر الدينية فيه إلى اليوم بسكة سوق مسكة بالقاهرة ، وظاهر من الكتابة المنقوشة على بابه أنه أنشئ فى سنة ٧٤٠ هـ . وهذا تاريخ البدء فى بنائه وإن الفراغ منه وصلاة أول جمعة فيه كانت فى سنة ٧٤١ هـ . كما ذكره المقريزى .

تُقام به الجمعة ، فزادت الأحكار فى أيام الملك الناصر على ستين حِكْرًا ، وبهـذا اتّصلت العمائر من باب زويلة إلى سدّ مصر[(١)] بعد ما كانت ساحة مخيفة . كلّ ذلك لمـا علم الناس من حبّ السلطان للعمر .

قلت : وعلى هذا زادت الديار المصرية فى أيامه مقدار النصف . قال : وعُمِرت فى أيامه بالديار المصرية عِدّةُ جوامعَ تُقام فيها الخطب زيادةً على ثلاثين جامعا ، منها : الجامع الناصرى[(٢)] بقلعة الجبل ، جدّده وأوسعه . ومنها الجامع[(٣)] الجديد الناصرى أيضا على نيل مصر . ومنها جامع الأمير طَيْبَرْس[(٤)] الناصرى[(٥)] نقيب الجيش على النيل

(١) المقصود من عبارة سدّ مصر هى قنطرة السدّ التى كانت على الخليج المصرى فيما بين مصر والقاهرة . وقد سبق التعليق عليها فى الاستدراك الوارد فى صفحة ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٦ من هـذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣ من هذا الجزء . (٤) ذكره المقريزى فى خططه بأسم الجامع الطيبرسى (ص ٣٠٣ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع عمره الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بشاطئ النيـل فى أرض بستان الخشاب ، وعمر بجواره خانقاه فى جمادى الأولى سنة ٧٠٧ هـ ، وكان من أحسن متنزهات مصر وأعمرها ، وقد خرب هذا الجامع لخراب ما حوله من المساكن . وذكره المقريزى أيضا عند الكلام على الأماكن التى كانت بين بولاق ومنشأه المهرانى (ص ١٣١ ج ٢) .

وبالبحث عن مكان هذا الجامع والخانقاه التى كانت مجاورة له تبين لى ما يأتى :

(أوّلا) أن هذا الجامع وإن كان المؤلف ذكر أن أثره قد ذهب من سنين ولكن الخانقاه المجاورة له كانت بقاياها موجودة كما شاهدتها لغاية سنة ١٩٢٦ بأسم جامع الطيبرسى أو جامع الأربعين بشارع الشيخ بركات بخط قصر الدباره بالقرب من النيل .

(ثانيـا) لمـا وضعت مصلحة التنظيم خريطة تقسيم أرض قصر الدبارة فى سنة ١٨٩٠ تصادف مرور شارع الشيخ بركات فى وسط أرض الجـامع والخانقاه المجاورة له فشطرهما إلى شطرين شرقى ، وهو بقايا الجامع ، وغربى وهو بقايا الخانقاه .

(ثالثـا) فى سنة ١٨٩٥ م = ١٣١٣ هـ أنشأ ديوان الأوقاف على ما بقى من أرض الجامع جامعا جديدا بشارع الشيخ بركات سمى جامع الشيخ بركات لوجود قبر بهذا الأسم بجوار هذا الجامع ، ويجاوره أيضا قبر آخر باسم الشيخ منصور .

(رابعـا) أزالت وزارة الأوقاف بقايا الخانقاه التى كان يطلق عليهـا آسم جامع الطيبرسى أو جامع الأربعين ، وأنشأت على أرضها فى سـنة ١٩٢٨ عمارة للاستغلال واقعة تجاه جامع الشيخ بركات بشارع الشيخ بركات بخط قصر الدباره بالقاهرة ، وذلك للصرف من إيرادها على المساجد وإقامة الشعائر الدينية بها .

(٥) فى أحد الأصلين : « المنصورى » .

بجوار خانقاته ، وقد ذهب أثر هذا الجامع المذكور من سنين . ثم عمّر طَيْبَرْس المذكور مدرسته المشهورة[1] به بجوار الجامع الأزهر ، ولمّا خرب جامعه المذكور الذى كان على النيل نَقَل الصوفيّة الذين كانوا به إلى المدرسة المذكورة . انتهى . ومنها جامع المشهد النفيسىّ[2] لا أعلم من بناه ، ومنها جامع[3] الأمير بدر الدين محمد التُّرْكُمَانِىّ بالقرب

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه بأسم المدرسة الطيبرسية (ص ٣٨٣ ج ٢) فقال : إنها بجوار الجامع الأزهر من القاهرة وهى فى غربيه مما يلى الجهـة البحرية . أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى نقيب الجيوش ، وأنتهت عمارتها فى سنة ٧٠٩ هـ ، وجعلها مسجدا زيادة فى الجامع الأزهر بجاءت من أحسن المدارس وأبهجها .

ولما تكلم الجبرتى فى تاريخه على عمارات الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى (ص ٥ ج ٢) قال : إنه بنى هـذه المدرسة وأنشأها نشوءا جديدا وجعلها مع المدرسة الآقبغاوية المقابلة لها فى داخل الباب الكبير الذى أنشأه فى الوجهة الغربية للجامع الأزهر .

وأقول : إن هذه المدرسة تقع على يمين الداخل من الباب الكبير الغربى لجامع الأزهر المعروف بباب المزينين تجاه المدرسة الآقبغاوية المجمولة الآن مكتبة للأزهر الشريف ويوجد بأعلى باب المدرسة الطيبرسية لوح من الرخام منقوش فيه تاريخ تجديد عبد الرحمن كتخدا لهذه المدرسة وهو سنة ١١٦٧ هـ . وفى سنة ١٣١٤ هـ ألحق الجزء الغربى من هذه المدرسة بمبانى الرواق العباسى ، وباق منها إلى اليوم وجهتها المقابلة للدرسة الآقبغاوية والحائط الشرقية التى بها المحراب والقبة التى تعلو قبر منشئها ، رحمه الله ، والمدرسة الحالية مجمولة ملحقا لمكتبة الأزهر .

ولمناسـبة ذكر الباب الغربى للجامع الأزهر المعروف بباب المزينين أقول : إنه عرف بباب المزينين لأن الحلاقين كانوا يجلسون فى دهليزه قديما لحلاقة شعر طلبة العلم بالأزهر فاشتهر بذلك .

(٢) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه بأسم الجامع بالمشهد النفيسى (ص ٣٠٦ ج ٢) فقال : قال ابن المتوج : إن هذا الجامع أمر بإنشائه الملك الناصر محمد بن قلاوون فصير فى شهور سـنة ٧١٤ هـ ، وقيل إن جميع ما صرف فى بنائه كان من حاصل المشهد النفيسى ، وما يدخل اليه من النذور ومن الفتوح . وقال مؤلف هذا الكتاب : إنه لايعلم من بنى هذا الجامع مع أنه ظاهر مما ذكره المقريزى أن الملك الناصر هو الذى أمر بإنشائه ، والصرف عليه من إيراد المشهد النفيسى ونذوره أى أنه لم يصرف عليه من مال الدولة ولا من ماله الخاص .

ولا يزال هـذا الجامع عامرا بإقامة الشعائر الدينية بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة وبداخله ضريح السيدة نفيسة رضى الله عنها . وقد جدّد ديوان الأوقاف بناء الجامع وقبة الضريح فى سنة ١٣١٤ هـ وقد سبق التعليق على هذا الجامع أيضا فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٣) ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع التركمانى (ص ٣١٣ ج ٢) فقال : إنه من الجوامع المليحة . أنشأه الأمير بدر الدين محمد التركمانى فى المقس ومات عن سعادة طائلة بالمقس فى ربيع الأوّل سنة ٧٣٨ هـ . وهذا المسجد لا يزال عامرا بإقامة الشعائر الدينية بدرب التركمانى المتفرع من شارع باب البحر بالقاهرة .

من باب البحر . ثم جامع الأمير كَرَاى المنصورى بآخر الحسينية[١] . وجامع كريم الدين[٢] خلف المَيْدان[٣] . وجامع شرف الدين الجاكى

(١) ذكره المقريزى فى خططه بآسم جامع كراى (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بالريدانية خارج القاهرة، عمره الأمير سيف الدين كراى المنصورى فى سنة ٧٠١ هـ، فلما خرب ما حوله من الأماكن تعطلت شعائره . وهو الآن قائم وجميع ما حوله داثر . ويستفاد مما ورد فى بدائع الزهور لابن إياس (ص ٢٧٧ ج ٢) أنه كان عامرا لغاية القرن التاسع الهجرى .

وبالبحث تبين لى أن هـذا الجامع هو الذى يعرف اليوم باسم جامع الكومى بشارع الوايلية الصغرى بقسم الوايلى بالقاهرة .

وورد فى الخطط التوفيقية أن الشيخ محمد حسين البيومى جدّد هذا الجامع فى سنة ١٢٧٣ هـ. وأضيف إلى ذلك أن ديوان عموم الأوقاف جدّده أيضا فى سـنة ١٣٢٥ هـ وهو عامر بإقامة الشعائر الدينيـة ويعرف بجامع الكومى نسبة الى الشيخ على أبى منصور الكومى المدفون فيه .

(٢) ذكره المقريزى فى خططه ضمن الجوامع التى ذكرها إجمالا (فى ص ٢٤٥ ج ٢) باسم جامع كريم الدين بخط الزريبـة . وذكر إبراهيم بن مغلطاى فى تاريخ سلاطين المماليك أن جامع كريم الدين الكبير عند موردة البلاط . وذكر المؤلف أنه يقع خلف الميدان . وبدراسة هذا الموضوع تبين لى ما يأتى :

(أولا) أن منشئه هو كريم الدين عبـد الكريم بن إسحاق بن هبـة الله بن السديد القبطى المعروف بكريم الدين الكبير ناظر الخاص . أنشأه حول سنة ٧٢٠ هـ .

(ثانيـا) أن خط الزريبة الذى يقصده المقريزى هو خط زريبة قوصون الذى كان يمتدّ على النيل من دار الآثار المصرية إلى شارع الشيخ الأربعين بخط قصر الدبارة بالقاهرة .

(ثالثـا) أن موردة البلاط كانت واقعة على شاطئ النيل تجاه قصر الدبارة وخط القصر العالى .

(رابعـا) أن الميـدان الذى يقصده المؤلف هو الميدان الناصرى الذى كان واقعا على النيل بأرض القصر العالى .

وعلى ضوء هـذه البيانات بحثت عن مكان جامع كريم الدين المذكور فتبين لى أن مكانه اليوم الجامع المعروف بجامع الشيخ العبيط الذى جدده الخديوى إسماعيل وقت إنشاء سراى الإسماعيلية فى سنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٨ م وينسب إلى الشيخ محمد العبيط المدفون فيه وهو فى شارع العبيط بخط قصر الدبارة بالقاهرة .

(٣) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عن جامع الجاكى (ص ٣١٤ ج ٢) أنه كان بدرب الجاكى عند سويقة الريش من الحكر فى بر الخليج الغربى، وأن هذا الجامع قد خرب بخراب ما حوله من الدور . ثم بيعت أرضه وأنقاضه للشيخ أحمد الزاهد فبنى بهـا جامعه الذى بخط المقس فى سنة ٨١٨ هـ . وفى تحفة الأحباب للسخاوى أنه أنشاه فى سنة ٨٠٨ هـ. ولما تكلم المقريزى فى خططه على درب الجاكى (ص ٤٤ ج ٢) قال : إن هـذا الدرب كان واقعا غربى الخليج الكبير ثم هـدمت دوره على يد الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستادار فى أيام الملك المؤيد شيخ .

بسويقة الريش[1] . وجامع الفخر[2] ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة

= ولما تكلم على دار الذهب (ص ٦٣ ج ٢) قال : إن الدور التى هدمها فخر الدين عبد الغنى فى درب الجاكى غربى الخليج جعلها بستانا تجاه داره التى كانت تعرف قديما بدار الذهب وأنشأ بجوارها جامعه المعروف بجامع الفخرى وأقول بما أن جامع الفخرى المذكور هو الذى يعرف اليوم بجامع البنات بشارع جامع البنات وكان يجاوره دار الذهب من الجهة البحرية فيكون حكر درب الجاكى مكانه الآن الأرض القائم عليها دار الشيخ محمد المهدى العباسى المفتى هى وما جاورها الواقعة غربى شارع الخليج المصرى فيما بين شارع الأزهر من بحرى وسكة المناصره من قبلى بالقاهرة و يكون موقع جامع الجاكى الذى اندثر من سنة ٨١٧ هـ كما ذكر المقريزى فى أرض الحكر المذكور .

ولهذه المناسبة أذكر أنه لما تكلم ابن إياس فى كتابه تاريخ مصر على إنشاء الأزبكية (ص ١٦٤ ج ٢) قال : وكان بهذه الأرض مزار سيدى عنتر وسيدى وزير وجامع الجاكى ثم قال وهو باق إلى الآن .

وأقول : إن ذكر اسم جامع الجاكى لابد أن يكون سهوا من ابن إياس لأن هذا الجامع فضلا عن كونه كان بعيدا عن الأزبكية فإنه اندثر من سنة ٨١٧ هـ كما ذكرنا . والظاهر أن ابن إياس يقصد جامع البكجرى لقرب الشبه بين الاسمين ، ولأنه هو الذى كان بالقرب من مزار سيدى عنتر وسيدى وزير كما ورد فى الخطط المقريزية (ص ٣٢٤ ج ٢) .

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على درب الجاكى المذكور فى الحاشية السابقة أن هذا الدرب كان مجاورا لسويقة الريش ، وذكر مؤلف هذا الكتاب فيما بعد فى هذا الجزء أن الشيخ محمد ابن محمود الموصلى المعروف بحياك الله مات فى سنة ٧١٤ هـ بزاويته بسويقة الريش خارج القاهرة .

وأقول : بما أن هذه الزاوية لا تزال موجودة إلى اليوم باسم زاوية المصلية بسكة المناصرة التى ذكرناها فى الحاشية السابقة فى الحد القبلى لحكر درب الجاكى ، فتكون سويقة الريش مكانها اليوم القسم الشرقى من سكة المناصرة الذى يتوسطه زاوية المصلية المذكورة بالقاهرة .

(٢) هـذا الجامع هو أحد الجوامع الثلاثة التى أنشأها فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش المعروف بالفخر حول سنة ٧٣٠ هـ . وذكره المقريزى فى خططه تحت عنوان جامع الفخر (ص ٣١١ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع فى جزيرة الفيل على النيل ما بين بولاق ومنية الشيرج ، وكان باقيا إلى نحو سنة ٧٩٠ هـ ثم خرب ، وموضعه باق بجوار دار الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة . وقال المؤلف : إن هذا الجامع واقع فيما بين بولاق وجزيرة الفيل . ويستفاد مما ذكرته فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هـذه الطبعة عند الكلام على جزيرة الفيل أن الحـد الفاصل بين الجزيرة المذكورة وبين أرض بولاق هو شارع جزيرة بدران .

وبالبحث عن جامع الفخر المذكور فى تلك الجهـة تبين لى أن فى مكانه اليوم الجامع المعروف بجامع الشيخ فرج ، جدده محمد بك طاهر بن أحمد باشا طاهر فى سنة ١٢١٨ هـ كما هو مذكور فى اللوح المثبت بأعلى باب المسجد ، وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية بشارع جزيرة بدران من الجهة الغربية من النيل بقسم روض الفـرج بالقاهرة . وكان النيل يسير قديما تحت هـذا الجامع ، وبسبب طرح البحر الذى حدث فى سنتى ١٤٠٣ م و ١٨٦٨ م أصبح الجامع كما هو الآن بعيدا عن النيل .

الفيـل . وجامعاً آخر خلف خُصّ الكَيَّالة [١] ببـولاق [٢] . وجامعاً ثالثا بالروضـة [٣] ، وجامـع أمير حسين [٤] بالحِكْر [٥] ، وبنَى له قنطـرة [٦] على الخليـج بالقرب منْـه .

(١) هـذا الجامع هو أحد الجوامع الثلاثة التى أنشأها فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش المعروف بالفخر . ذكره المقريزى فى خططه (ص ٣١١ ج ٢) فقال : إن جامع الفخر بناحية بولاق ، كان أوّلا عنـد ابتداء بنائه يعرف موضعه بخط خص الكيالة . وورد فى كتاب تاريخ سلاطين المماليك لإبراهيم بن مغلطاى أن هذا الجامع بالقرب من موردة البورى والبحر .

وبالبحث تبين لى أن هـذا الجامع أنشأه الفخر حول سنة ٧٣٠ هـ، ولا يزال موجودا ، وهو الذى يعرف اليوم بجامع أبى العلا بشارع فؤاد الأوّل ببولاق ، وقد جدّده الخواجه نور الدين على بن بدر الدين محمد ابن القنيش البرلسى حول سنة ٨٩٠هـ . وورد فى كتاب الطبقات الكبرى للشعرانى ، أن الخواجه (أى التاجر) ابن القنيش البرلسى هو الذى جدّد زاوية الشيخ حسين أبى على التى ببولاق ، ومن هذا يتضح أن هذا المسجد موجود من قديم ، ولما نزل فيه الشيخ حسين أبو على المعروف بأبى العلا عرف بزاوية الشيخ المذكور . ثم جدّده ابن القنيش وأقام على قبر أبى العلاء قبـة لا تزال قائمة والعامة يسمونه جامع السلطان أبى العلا ، لأنه كان سلطان زمانه فى الشفاعات وقضاء حاجات الناس بالسعى لدى الملوك والحكام فى زمنه .

وقد عمل فى هذا الجامع عدّة عمارات آخرها تمت فى سنة ١٩٣٥م بعد توسيع مساحته من ٨٤٣ مترا الى ١٢٦٤ مترا مربعا ، وبذلك أصبح الجامع أوسع وأجمل مما كان قديما وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من هذا الجزء . (٣) هـذا الجامع هو أحد الجوامع الثلاثة التى أنشأها فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش المعروف بالفخر ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جامع الفخر (ص ٣١١ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع فى جزيرة الروضة تجاه مدينة مصر (مصر القديمة) وإنه باق تقام فيه الجمعة . وذكر جلال الدين السيوطى فى كتاب كوكب الروضة أن جامع الفخر أنشأه فخر الدين ناظر الجيش فى حدود سـنة ٧٣٠ هـ وجدّده الوزير شمس الدين عبد الله المقسى فى سنة ٧٧٨ هـ . ثم جدّده الملك الأشرف قايتباى فى سنة ٨٨٦ هـ، وزاد فيه زيادة أخرى فى سنة ٨٩١هـ . ويعرف بجامع الفخر أو جامع المقسى أو جامع قايتباى . وأقول : إن هذا الجامع لا يزال موجودا وعامرا بإقامة الشعائر الدينيـة بحوش القادرى بعزبة قايتباى بجزيرة الروضـة تجاه فم الخليج المصرى بالقاهرة ويقال له جامع الحوش لوقوعه فى الحوش المذكور. (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٢ من هذا الجزء .

(٥) الحكر المقصود هنا هو حكر جوهر النوبى ، ذكره المقريزى فى خططـه (ص ١١٩ ج ٢) فقال : إن هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى شرق (بحرى) بستان العدة ، ويسلك منه الى قنطرة الأمير حسين من طريق تجاه جامع الأمير حسين ، وعرف بحكر النوبى ، لأنه كان بستانا من وقف جوهر النوبى أحد الأمراء فى زمن الملك الكامل محمد بن أبى بكر الأيوبى . وما زال بستانا إلى نحو سنة ٦٦٠ هـ، فحكر وبنى فيه الدور فى أيام الملك الظاهر بيبرس .

وبالبحث تبين لى أن هذا الحكر كان واقعا فى المنطقة الواقعة على جانبى حارة الأمير حسين من الجهة الشرقية التى يتوسطها جامع الأمير حسين القريب من ميدان باب الخلق بالقاهرة .

(٦) هى السابق التعليق عليها بقنطرة الأمير حسين . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء .

وجامع الأمير قَيْدَان(١) الرومىّ بقناطر الإوزّ(٢) . وجامع دولة شاه(٣) مملوك العلائى بكوم الرِّيش(٤) . وجامع الأمير ناصر الدين الشَّرَابِيشىّ الحـرَّانىّ(٥) بالقرافة .

(١) ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع قيدان (ص ٣١٢ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع خارج القاهرة على الجانب الشرقى للخليج فى ظاهر باب الفتوح مما يلى قناطر الإوز تجاه أرض البعل . وذكر ابن إياس فى كتاب تاريخ مصر (ص ٢٠١ ج ٢) أن الأمير خاير بك بن حديد أنشأ بجامع قيدان الذى بقناطر الإوز جوسقا (كشكا) مطلا على البركة التى هناك . وذكر ابن مغلطاى أنه قريب قناطر الوز، وبما أن قناطر الإوز مكانها اليوم بشارع الخليج المصرى تجاه الحارة التى أسمتها مصلحة التنظيم خطأ باسم حارة قنطرة الظاهر وأن البركة التى أشار إليها ابن إياس هى بركة الشيخ قمر التى مكانها اليوم دار السكاكينى وما حولها من المساكن فبالبحث عن هـذا الجامع تبين أنه قد اندثر، وكان واقعا بشارع قنطرة غمره عند تلاقيه بشارع سعيد بخط السكاكينى بالقاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٣ من هـذا الجزء . (٣) ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع كوم الريش (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع عمره دولات شاه ولم يزد على ذلك . وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قد اندثر من سنة ٨٠٦ هـ ، كما ذكر المقريزى عند الكلام على بلدة كوم الريش التى علقنا عليها فى الحاشية التالية .

(٤) ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٣٠ ج ٢) فقال : كوم الريش اسم لبلد فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج . كان النيل يمر بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل . ثم قال : وكان كوم الريش من أجل متنزهات القاهرة، ورغب أعيان الناس فى سكناها للتنزه بها وكان بهـا سوق عامر بالمعايش على اختلاف أنواعها وحمام وجامعان لأحدهما منارة يعجز الواصف أن يعبر عن حسنها ، وما برحت هذه البلدة على ذلك إلى أن حدثت المحن من سنة ٨٠٦ هـ فخربت وصارت بلاقع وتغيرت معاهدها .

ولمـا تكلم المقريزى على قرية الخندق (ص ١٣٦ ج ٢) قال : فى آخر كلامه على هذه القرية كأنها من حسنها ضرّة لكوم الريش، وكانت تجاهها من شرقيها على الخليج الكبير فخربتا جميعا .

أقول : ولا يزال يوجد من آثار قرية الخندق التى كانت واقعـة تجاه كوم الريش الدير المعروف الآن بدير الملاك البحرى الواقع تجاه قرية الزاوية الحمراء من الجهة الشرقية .

ويستفاد ممـا ذكره ابن إياس فى تاريخه فى حوادث سنة ٨٩٠ هـ أن الملك الأشرف قايتباى جدّد قرية كوم الريش وأنشأ بها زاوية دهنت حيطانها من الخارج باللون الأحمر فعرفت بالزاوية الحمراء، ولهذا عرفت هذه القرية من ذلك الوقت باسم الزاوية الحمراء، واختفى اسمها القديم وهو كوم الريش . ومن هذا يتبين أن كوم الريش المذكورة مكانها اليوم ناحية الزاوية الحمراء الواقعة فى الجهة الغربية من محطة الدمرداش وعلى بعد كيلو متر واحد منها بضواحى القاهرة .

(٥) ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع الحـرانى (ص ٣٢٦ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع بالقرافة الصغرى فى بحرى قبة الإمام الشافعى ، عمره ناصر الدين الحرانى الشرابيشى فى سنة ٨٢٩ هـ . وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قد اندثر ودخلت أرضه فى المقابر الواقعة بحرى جامع الإمام الشافعى بالقـاهرة .

وجامع الأمير آقُوش نائب الكَرَك بطَرَف الحسينية بالقرب من الخليج[1] . وجامع الأمير آق سُنقُر شادّ العمائر[2] قريبًا من المَيْـدَان[3] . وجامعًا خارج باب القـرافة[4] ، عمّره

(١) ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع نائب الكرك (ص ٣١٢ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بظاهر الحسينية مما يلى الخليج الكبير . عمره الأمير آقوش المعروف بنائب الكرك . ثم خرب بخراب ما حوله من عهــد حوادث سنة ٨٠٦ هـ التى قصر فيهـا النيل وأشرقت الأراضى . وذكر ابن مغلطاى فى تاريخ سلاطين المماليك أنه فى آخر الحسينية من القرب .

وذكر المؤلف بأنه بطرف الحسينية بالقرب من الخليج . ثم ذكر فى موضع آخر بأنه بالقرب من كوم الريش .

وعلى ضوء هــذه البيانات بحثت عن موقع الجامع المذكور فتبين لى أنه قد آندثر . وكان واقعا بشارع الملكة نازلى تجاه مدخل شارع محمود باشا فهمى (شارع المدارس سابقا) بخط السكاكينى بالقاهرة .

(٢) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٣٠٩ ج ٢) فقال : إن هــذا الجامع بسـويقة السباعين على البركة الناصرية . عمره الأمير آق سنقر (الرومى) شاد (ناظر) العمائر السلطانية ، وإليه تنسب قنطرة آق سنقر التى على الخليج الكبير ، ويقال له آق سنقر المشد . ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذا الجامع .

وبالبحث تبين لى أنه أنشئ حول سـنة ٧٢٥ هـ ، وأنه لا يزال موجودا وهو جامع قديم يعرف اليوم بجامع أبو طبل نسبة إلى الشيخ محمد أبو طبل المدفون فيه . ووجهته غربية محجوبة بدكاكين وليس ظاهرا منها إلا باب الجامع بشارع المدبح بخط حارة السقايين بالقاهرة .

(٣) أرجح أن الميـدان المشار إليـه هنا هو ميدان المهارى ، لأنه كان أقرب الميـادين إلى جامع آق سنقر شاد العمائر المذكور فى الحاشية السابقة . وقد ذكر المقريزى فى خططه ميدان المهارى (ص ١٩٩ ج ٢) فقال : إن هــذا الميدان بالقرب من قناطر السباع فى بر الخليج الغربى من جملة بحان الزهرى . أنشأه الملك الناصر محمـد بن قلاوون فى سـنة ٧٢٠ هـ ، إذ كان له شغف عظيم بالخيل وتوليدها وتربيتها والإكثار منها ، ولازم الدخول إلى هذا الميدان كلما مر فى طريقه إلى الميدان الناصرى الكبير على النيل . وما برحت الخيول فى هــذا الميدان إلى عهد الملك الناصر فـرج بن برقوق ، فتلاشى أمره ثم آنقطعت عنه الخيول وصار براحا .

وبالبحث تبين لى أن ميدان المهارى كان واقعـا فى المنطقة التى تحد اليوم من الجنوب بشارع المبتديان الذى كان فى ذلك الوقت الطريق السالك إلى الميدان الناصرى ، ومن الشرق بشارع الناصرية ، ومن الشمال شارع جامع الإسماعيلى ، ومن الغرب بشارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) بالقاهرة .

(٤) لم يذكره المقريزى فى خططه ، وذكره إبراهيم بن مغلطاى فى تاريخ سلاطين المماليك ضمن منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون فقال : جامع خارج باب القرافة بجوار تربة أيدغمش أمير آخور الملك الناصر عمره ناس أعجام فى سنة ٧٢٣ هـ .

وبالبحث عن هــذا الجامع تبين لى أنه آندثر وأقيم فى مكانه مقـابر ضمن جبانة جلال الدين السيوطى الواقعة جنوبى القلعة بالقاهرة .

جماعة من العجم . وجامع التَّوبة(١) بباب البَرقيّة(٢) ؛ عَمَّره مُغلَطاى أخو

(١) (صوابه جامع برقية) . هـذا الجامع هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع البرقية (ص ٣٢٦ ج ٢) فقال : إن جامع برقية بالقرب من باب البرقية بالقاهرة عمره مغلطاى الفخرى أخو الأمير ألماس الحاجب وكمل فى المحرم سنة ٧٣٠ هـ . وذكره المؤلف هنا باسم جامع التوبة فى حين أنه سبق أن تكلم على جامع التوبة فى هذا الجزء وعلقنا عليه فى الحاشية رقم ٥ ص٩٦ ، ويظهر أنه لتشابه آسم مغلطاى الفخرى منشئ هذا الجامع بمغلطاى الجمالى الذى أنشأ جامع التوبة السابق ذكره آلتبس الأمر على المؤلف فسمى هذا الجامع كذلك جامع التوبة . وذكر إبراهيم بن مغلطاى فى كتابه تاريخ سلاطين المماليك أن الذى أنشأ جامع البرقية آسمـه قرا أخو ألماس الحاجب ولم يذكر أن آسمه مغلطاى كما ذكر المقريزى والمؤلف .

ولما تكلم الجبرتى فى تاريخه على عمارات عبـد الرحمن كتخدا القـازدغلى ذكر (فى ص ٦ ج ٢) أنه أنشأ عند باب البرقية المعروف بالغريب جامعا وصهريجا وحوضا وسقاية ومكتبا ورتّب فيه تدريسا .

وأقول : إن جامع البرقية المذكور لا يزال موجودا ويعرف بجامع الغريب نسبة الى الشيخ محمد الغريب المدفون بجواره ، وقد جدده الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ١١٦٨ هـ كما هو مذكور فى اللوح الرخام المثبت بأعلى بابه وهو قائم بشارع الغريب بجوار مبنى الجامعة الأزهرية الجديدة بالقاهرة ، وتقام فيه الشعائر الدينية ، ولقدم هذا الجامع وحاجته إلى التجديد رأت مصلحة المبانى الأميرية المتولية بناء الجامعة الأزهرية الجديدة أن يهدم الجامع المذكور وأن ينشأ بدلا عنه جامع آخر فى الجهة الغربية منها وسينفذ هـذا المشروع قريبا .

(٢) هو أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الشرقى . أنشأه جوهر القائد فى سنة ٣٥٩ هـ . ذكره المقريزى فى خططه ضمن أبواب القاهرة (ص ٣٨٠ ج ١) فقال : والقاهرة من جهتها الشرقية ثلاثة أبواب متفرقة ، أحدها يعرف الآن بباب البرقية ، والثانى بالباب الجديد ، والثالث بالباب المحروق . وذكر آسم باب البرقية كذلك لما تكلم على الدار فى أول البرقية من القاهرة (ص٧٨ ج٢) وعلى جامع البرقية (ص٣٢٦ ج ٢) . ويستفاد مما ذكره القلقشندى فى كتاب صبح الأعشى عند الكلام على أبواب القاهرة (فى ص ٣٥٤ ج ٣) أن باب البرقية هو من الأبواب التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى فى سور القاهرة سنة ٥٦٩ هـ . ولما تكلم الجبرتى فى تاريخه على عمارات عبد الرحمن كتخدا القازدغلى (ص٦ ج٢) قال : إنه أنشأ عند باب البرقية المعروف بالغريب جامعا وصهريجا وسقاية .

وبالبحث تبين لى أنه كان يوجد بابان بآسم باب البرقية أحدهما وهو الأول أنشأه جوهر القائد مع سور القاهرة الشرقى فى سنة ٣٥٩ هـ وهو الذى أشار إليه المقريزى . وثانيهما وهو الذى أنشأه صلاح الدين فى سور القاهرة الشرقى الخارجى وهو الذى تكلم عليه القلقشندى وسماه أيضا باب البرقية لقربه من بابها الأول . أما باب البرقية الذى أنشأه جوهر وكان يعرف كما شاهدته باسم باب الغريب أو بوابة الخلاء فكان واقعا شرق جامع الغريب وعلى بعد عشرين مترا منه ، وهذا الباب جدده عبد الرحمن كتخدا القازدغلى لما جدد جامع الغريب فى سنة ١١٦٨ هـ ، وقد هدم هذا الباب فى سنة ١٩٣٦ بسبب إنشاء مبانى الجامعة الأزهرية الجديدة . أما باب البرقية الثانى الذى أنشأه صلاح الدين فقد دل البحث على أنه لا يزال موجودا بأكمله إلا أنه مطمور فى التراب تحت التل الواقع على يمين الداخل فى الطريق المعروفة بقطع المرأة الموصلة من شارع الغريب إلى جبانة المجاورين والعفيفى ، ويقع الباب المذكور على بعد ١٢٠ مترا شرقى مبانى الجامعة الأزهرية الجديدة .

الأمـير ألْمَـاس . وجامـع بنت الملك الظـاهر بالجزيرة المسـتجدّة المعروفـة بالوسـطانية(١) ، وجامع الأمير أَلْمَـاس(٢) الناصرىّ(٣) الحـاجب بالقرب من حوض(٤)

(١) ذكره إبراهيم بن مغلطاى فى تاريخ سلاطين المماليك بأسم جامع بنت الملك الظاهر بالجزيرة قبالة الخور ، ونسب إنشاءه كما نسبه المؤلف إلى السيدة تذكار باى خاتون بنت الملك الظاهر بيبرس ، ولكن المقريزى لما تكلم على جامع الجزيرة الوسطى وهى المعروفة بالوسطانية (ص ٣٢٥ ج ٢) قال : إن الذى أنشأه هو الطواشى مثقال خادم السيدة تذكار آبنة الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة الوسطى وهو عامر .

والظاهر أن الذى أنشأه هو الطواشى مثقال من ماله الخاص بدليـل أن المقريزى لما تكلم على حكر العلائى (ص ١٢٠ ج ٢) قال : إن بعضه كان وقف تذكار باى خاتون آبنـة الملك الظاهر وقفته فى سنة ٧٣٤ هـ على ما أنشأته من الأماكن الخيرية . وذكر المقريزى أسماء تلك الأماكن ولم يكن من بينها هذا الجامع .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع أنشئ حول سنة ٧٢٠ هـ ومكانه اليوم جامع الجزيرة الحالى ، وقد تجدد عدة مرات آخرها تجديد الخاصة الملكية بأمر الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٨ هـ وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية وواقع على النيل فى حديقة النهر بأرض الجزيرة الكبيرة بالقاهرة .

(٢) الجزيرة الوسطانية أو الوسطى هى بذاتها جزيرة أروى التى سبق التعليق عليها فى هـذا الجزء فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ .

(٣) هذا الجامع هو الذى ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع ألماس (ص ٣٠٧ ج ٢) فقال : إنه بالشارع خارج باب زويلة بناه الأمير سيف الدين ألماس الحاجب وكمل فى سنة ٧٣٠ هـ .

وأقول : إن هذا الجامع لا يزال موجودا وعامرا بإقامة الشعائر الدينية بأول شارع الحلمية من جهة شارع محمد على بالقاهرة . ويستفاد من الكتابة المنقوشة على الوجهة الغربية لجامع أن منشئه بدأ فى عمارته فى شهور سنة ٧٢٩ هـ وأتمه فى سـنة ٧٣٠ هـ . وقـد اعتاد أصحاب المساجد أن يكتبوا بأعلى وجهاتها آيات قرآنية ثم آسم المنشئ وتاريخ الإنشاء ، ولكن الأمير ألماس خالفهم فى ذلك ، فكتب فى الطـراز الذى بأعلى الوجهة بدلا عن الآيات القرآنيـة أدعية بدئت بالبسملة وهى طويلة نذكر منها : « يا جامع الناس فى يوم لا ريب فيه ، اجمع بيننا وبين النية والصدق والإخلاص والخشوع والهيبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة ... الخ » .

وقـد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بعدة إصلاحات فى هذا المسجد آنتهت منها فى سنة ١٩١١ .

(٤) ذكره المقريزى فى خططه (ص ١٣٣ ج ٢) فقال : إن هـذا الحوض ترده الدواب بخـط حوض آبن هنس الذى نسب إلى هذا الحوض الذى يلى حارة حلب ويسلك إليها من جانبه . أنشأه الأمير سعد الدين مسعود بن هنس بن عبـد الله أحد حجاب الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سـنة ٦٤٧ هـ ، وبنى بأعلاه مسجدا مرتفعا وساقية ماء على بئر معين ، وكان هـذا الحوض تعطل فجدده الأمير تتر أحد أمراء الدولة المؤيدية فى سنة ٨٢١ هـ .

وبالبحث تبين لى أن هـذا الحوض قـد آندثر . ومكانه الآن الدار الواقعـة بشارع الحلمية على يمين الداخل فى شارع الهامى باشا تجاه مدرسة بنباقادن الثانوية بالقاهرة .

ابن هنس بالشارع الأعظم خارج القاهرة . وجامع الأمير قوصون الناصري[1] بالقرب منه أيضا على الشارع خارج القاهرة ، وله أيضا جامع[2] وخانقاه[3] خارج باب القرافة . وجامع[4] الأمير عز الدين أيدمر الخطيري[5] بساحل بولاق ، وجامع أخي صاروجا بشون[6]

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من هذا الجزء . (٢) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع قوصون (ص ٣٢٥ ج ٢) وقال : إنه داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون . أنشأه الأمير سيف الدين قوصون ، وعمر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بعمارة الخانقاه والجامع ، وقال : إنه لا يزال موجودا إلى الآن أى إلى زمنه .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع يقع خارج باب القرافة تجاه خانقاه قوصون كما ذكر المؤلف ، وليس داخل باب القرافة كما ذكر المقريزى ، ولعل ذلك سهو منه . وبما أن هذا الجامع يقع تجاه خانقاه قوصون ، وهذه لا تزال بعض آثارها قائمة ، ويقع تجاهها الآن الجامع المعروف بجامع المسيحية ، فإنى أرجح أن جامع المسيحية المذكور هو بذاته جامع قوصون ، وجدده مسيح باشا والى مصر فى سنة ٩٨٤ هـ فنسب إليه ، ويعرف أيضا بجامع القرافى نسبة الى الشيخ نور الدين على القرافى المدفون فيه ، وهو خارج باب القرافة جنوبى سجن المنشية بشارع المسيحية بقسم الخليفة بالقاهرة .

(٣) هذه الخانقاه ذكرها المقريزى فى خططه بأسم خانقاه قوصون (ص ٤٢٥ ج ٢) فقال : إنها فى شمال القرافة مما يلى القلعة تجاه جامع قوصون السابق ذكره . أنشأها الأمير سيف الدين قوصون الساقى وكملت عمارتها فى سنة ٧٣٦ هـ وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام وما زالت على ذلك الى أن تلاشى أمرها بعد سنة ٨٠٦ هـ بعد أن كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا .

وبالبحث تبين لى أن هذه الخانقاه قد خربت ، ولم يبق منها إلا القبة والمنارة المعروفة بالمنارة الكبيرة أو الوسطى الواقعة غربى مقام الشيخ جلال الدين السيوطى بشارع جلال الدين السيوطى خارج باب القرافة بقسم الخليفة بالقاهرة .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٣ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٥) ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع صاروجا (ص ٣١٥ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع مطل على الخليج الناصرى بخطة جامع العرب بالقرب من بركة الحاجب التى تعرف ببركة الرطلى . أنشأه ناصر الدين محمد أخو الأمير صاروجا نقيب الجيش بعد سنة ٧٣٠ هـ . ثم قال : وقد اندثرت الدور التى كانت بتلك الجهة . وتقام الجمعة أيام النيل فى هذا الجامع .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قد اندثر وكان واقعا بشارع أرض الحرمين قرب تلاقيه بشارع الظاهر حيث كان يمر الخليج الناصرى فى تلك الجهة .

(٦) فى الأصلين : « بسوق القصب » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك . وبالبحث تبين لى أن شون القصب هذه كانت واقعة بشارع أرض الحرمين الذى كان به الجامع المذكور فى الحاشية السابقة .

القَصَب . وجامع الأمير بَشْتَك(١) الناصرىّ على بركة الفيل تُجاه خانقاته(٢) . وجامع الأمير(٣)

(١) ذكره المقريزى فى خططه بأسم جامع بشتاك (ص ٣٠٩ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل ، عمره الأمير بشتاك فكمل فى شعبان سنة ٧٣٦ هـ .
وأقول : إنه يستفاد من التاريخ المنقوش على باب المئذنة المشرف على سطح هـذا المسجد أن عمارته تمت فى رجب سنة ٧٢٧ هـ . وذكر ابن إياس فى تاريخه (ص ١٦٦ ج ١) ما يفيد أن الذى أنشأ هذا الجامع هو الأمير بشتاك العمرى ، والصواب أن الذى أنشأه هو الأمير بشتاك الناصرى ، كان من أقرب كبار الأمراء المقربين للملك الناصر محمد بن قلاوون . وتوفى بالإسكندرية فى سنة ٧٤٢ هـ . وأما الأمير بشتاك العمرى فكان زوج بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين وتوفى سنة ٧٧٢ هـ ، كما ورد فى المنهل الصافى .
وفى سنة ١٢٧٧ هـ ، أمرت الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل أخى الخديوى إسماعيل بتجديد هذا الجامع وعهدت إلى وكيلها نيازى بك بهذا العمل ، فأعاد بناء المسجد جميعه فى سنة ١٢٧٨ هـ ما عدا بابه العام القديم والمئذنة وأنشأ له وجهة جديدة بسيطة هى التى فيها بابه الحالى المشرف على شارع درب الجماميز ، وبين البابين القديم والجديد رحبة يرى الواقف فيها فى مواجهته الباب الأصلى القديم للجامع بتجويفه العلوى المحلى بمقرنصات مركبة ذات دوال ، وعلى يسار هذا الباب الأثرى مئذنة الجامع وهى من أعلى مآذن القاهرة وأفخمها . وورد فى الخطط التوفيقية عند الكلام على هـذا الجامع (ص ٦٥ ج ٤) أن المئذنة الحالية تجدّدت مع الجامع فى سنة ١٢٧٨ هـ . وهذا غير صحيح لأن المئذنة الموجودة هى بذاتها المئذنة القديمة كما يدل عليه شكلها والكتابات التى عليها ، ولا يزال هـذا الجامع قائما بشارع درب الجماميز بالقاهرة وعامرا بإقامة الشعائر الدينية ، ويعرف بجامع مصطفى باشا فاضل من وقت أن جددته الأميرة والدته ، وعلى الأخص لأنه يجاور سراى مصطفى باشا المذكور التى فيها الآن المدرسة الخديوية .
ولمناسبة ذكر خط قبو الكرمانى أقول : إن هـذا الخط كان يشمل المنطقة الواقعة على جانبى شارع درب الجماميز فى المسافة الممتدة بين سكة الحبانية من بحرى وحارة السادات من قبلى ، وقد أطلقت مصلحة التنظيم آسم هذا الخط على حارة واقعة غربى شارع الخليج المصرى بين حارة درب الجر وسويقة السباعين ، وهذه تسمية خطأ ، لأنها فى غير موقعها الأصلى الذى ذكرته .
(٢) ذكرها المقريزى فى خططه بأسم خانقاه بشتاك (ص ٤١٨ ج ٢) فقال : إنها خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك أنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى هى والجامع ونصب بينهما ساباطا يتوصل به من أحدهما للآخر . وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ وتقرر فيها عدة من الصوفية . وأقول : إن هذه الخانقاه قد آندثرت . ومكانها اليوم سـبيل الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل . أنشأته فى سنة ١٢٨٠ هـ بشارع درب الجماميز بالقاهرة تجاه جامع بشتاك المذكور فى الحاشية السابقة . (٣) ذكره المقريزى فى خططه (ص ٣١٠ ج ٢) فقـال : إنه فى الحسينية خارج باب النصر أنشأه الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، وكمل وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة ٧٣٢ هـ وهو من الجوامع المليحة وكانت خطته عامرة وقد خربت .
وبالبحث عن هـذا الجامع تبين لى أنه آندثر وأقيم على أرضه قبور ، وكان واقعا بشارع نجم الدين تجاه جامع الخواص من الجهة الشرقية بجبانة باب النصر بالقاهرة .

آل ملك بالحُسينية، وجامع الست حَدَق الدّادَة فيا بين السّدّ[1] وقناطر السّباع[2]. وجامع السّتّ مِسْكة قريبا من قنطرة آق سُنْقُر[3]. وجامع الأمير أَلْطُنْبُغا المـارِدَانِيّ خارج باب زويلة[4]. وجامع المظفّر بسُوَيْقة الجُمَيْزة من الحسينية[5]. وجامع جَوْهَر السَّحَرْتِي قريبا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٧ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من الجزء السابع من هـذه الطبعة. (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٧ من هـذا الجزء.

(٤) ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٤٧ ج ٢) فقال: إن هذه القنطرة على الخليج الكبير، يتوصل إليها من خط قبو الكرمانى ومن حارة البديعيين التى تعرف اليوم بالحبانية، ويمر من فوقها إلى بر الخليج الغربى. عمرها الأمير آق سنقر شاد العمائر السلطانية فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أنشأ جامعه بالبركة الناصرية. وذكر ابن إياس فى تاريخ مصر أن هذه القنطرة أنشئت حول سنة ٧٢٥ هـ.

وهذه القنطرة كانت موجودة على الخليج المصرى ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة سنقر إلى سنة ١٨٩٨ التى تم فيها ردم الجزء المتوسط من الخليج المصرى داخل القاهرة، وبردمه اختفت القنطرة المذكورة من تلك السنة. ومكانها اليوم بشارع الخليج المصرى تجاه مدخل شارع قنطرة سنقر الموصل إلى شارع درب الحجر بالقاهرة.

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٢ من هذا الجزء. (٦) هذا الجامع ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع ابن الفلك (ص ٣٢٦ ج ٢) وقال: إنه بسويقة الجميزة من الحسينية خارج القاهرة. أنشأه مظفر الدين ابن الفلك واقتصر على ذلك.

ولما ذكر أسماء مساجد القاهرة إجمالا فى (ص ٢٤٥ ج ٢) ذكر مسجدا باسم جامع سويقة الجميزة وقال: إنه تجدد مع جامع الحاج كمال التاجر فى أيام الملك الظاهر برقوق. ثم ذكر أيضا جامع شرف الدين الكردى الذى يقع اليوم على رأس درب الجميزة المتفرع من شارع البيومى. وبما أن أقرب جامع لجامع شرف الدين الكردى المذكور ويقع فى سويقة الجميزة التى كانت قديما جزءا من شارع البيومى هو الجامع المعروف الآن باسم جامع البيومى بخط الحسينية بالقاهرة فيكون هـذا الجامع هو جامع المظفر الذى ذكره مؤلف هذا الكتاب. وقد جدده عثمان أغا الوكيل تابع المرحوم الحاج بشير أغا دار السعادة فى سنة ١١٨٠ هـ كما هو مكتوب بأعلى بابه. وفى سنة ١٩٣٩ أجرت فيه وزارة الأوقاف إصلاحات جديدة من الداخل وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية وبه ضريح الشيخ على البيومى. (٧) فى الأصلين: «وجامع المظفر بسويقة الحمير». وما أثبتناه عن خطط المقريزى والسلوك له. (٨) ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع الطواشى (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال: إنه خارج القاهرة فيا بين باب الشعرية وباب البحر، أنشأه الطواشى جوهر السحرتى اللالا وهو من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون. ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشائه وذكر المؤلف هذا الجامع بتقدير أنه من منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون فى حين أنه ثابت فى اللوحة الرخام المثبتة بأعلى باب هذا الجامع بأن الطواشى جوهر السحرتى اللالا الصالحى أنشأه فى سنة ٧٤٣ هـ فى عهد الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أى بعد وفاة الناصر بسنتين. ولا يزال هذا الجامع موجودا وعامرا بإقامة الشعائر الدينية باسم جامع الطواشى بشارع الطواشى بقسم باب الشعرية بالقاهرة.

من باب[1] الشعرية ، وجامع[2] فتح الدين محمـد بن عبد الظاهر بالقرافة . وغير ذلك من المدارس والمساجد ، وهذا كله بديار مصر .

وأما ما بُنِيَ بالبلاد الشاميـة فى أيامه فكثيرٌ جدًّا . وآخرُ ما بناه الملك النـاصر السواقى التى بالرَّصـد[3] ، ومات قبل أن يُكملها . وكان الملك النـاصر فى آخر أيامه شُـغِفَ بحُبّ الجوارى المولَّدات وجُلِبْنَ إليـه ، فزادت عِدَّتُهنّ عنـده على ألف ومائتى وَصِيفة .

وخلَّف من الأولاد الذكور أبا بكر ومحمدا وإبراهيم وعليًّا وأحمد وكجك ويوسف وشعبان وإسماعيل ورمضان وحاجى وحسينا وحسنا وصالحا . وتسلطن من ولده لصُلْبه ثمـانية : أبو بكر وكجك وأحمد وإسماعيـل وشعبان وحاجى وحسن وصالح ثم حسن ثانيـا حسب ما يأتى ذكرُ ذلك كله فى محلّه إن شاء الله تعـالى . وخلَّف من البنات سبعا .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدىّ فى تاريخه : وكان الملك الناصر ملكًا عظيما محظوظا مُطاعا مَهِيبًا ذا بطش ودهاء وحَزْم شـديد وكَيْد مَديد، فلمـا حاول أمرا فانخرم عليه فيه شىءٌ يُحاوله ، إلّا أنه كان يأخذ نفسَه فيه بالحزم البعيد والاحتياط .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع ابن عبد الظاهر (ص ٣٢٤ ج ٢) فقال : إن هـذا الجامع بالقرافة الصغرى قبلى قبر الليث بن سعد . كان موضعه يعرف بالخندق . أنشأه القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر بجوار قبر أبيـه . وأول خطبة أقيمت فيه كانت فى يوم الجمعة ٢٤ صفر سـنة ٦٨٣ هـ ، ثم قال : وكان عامرا إلى أن خرب ما حوله وهو قائم على أصوله .

وبالبحث تبين لى أن هذا الجامع قـد اندثر وزالت معالمه بسبب ما أقيم على أرضه من المقابر . وكان واقعا بجبانة الإمام الليث بالقرب من تربة الفخر الفارسى خارج القاهرة . ومما يلاحظ أن المؤلف ذكر هذا الجامع بتقدير أنه من منشآت عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون فى حين أنه بنى فى سنة ٦٨٣ هـ أى فى عهد الملك المنصور قلاوون . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٠ من هذا الجزء .

أَمْسك إلى أن مات مائةً وخمسين أميرًا . وكان يصبر الدهرَ الطويل على الإنسان وهو يكرهه . تحدّث مع الأمير أَرْغُون الدّوادار فى إمساك كريم الدين الكبير قبل القبض عليه بأربع سنين ، وهَمّ بإمساك تَنْكِز لَمَّا وَرَد من الحجاز فى سنة ثلاث وثلاثين بعد موت بَكْتَمُر الساقى . ثم إنه أمهله ثمانى سنين بعد ذلك . وكان ملوك البلاد الكِبَار يهابونه ويُراسلونه . وكان يتردّد إليه رُسُلُ صاحب الهند وبلاد أُزْبَك خان وملوك الحبشة وملوك الغرب وملوك الفرنج وبلاد الأَشْكُرِى وصاحب اليمن. وأمّا بُو سعيد ملك التّتار فكانت الرسلُ لا تنقطع بينهما، ويُسَمّى كُلٌّ منهما الآخر أخًا . وكانت الكلمتان واحدة(١)، ومراسيمُ الملك الناصر تَنْفُذ فى بلاد بو سعيد، ورُسُلُه يتوجهون إليه بأطلابهم وطبلخاناتهم بأعلامهم المنشورة . وكان كلما بَعُد الإنسان من بلاده وَجَدَ مهابَته ومكانَته فى القلوب أعظم . وكان سَمْحًا جَوادًا على من يُقَرِّبه، لا يَبْخَلُ عليه بشىء كائنا من كان . سألت القاضى شرف الدين النَّشْوَ : أَطْلَقَ(٢) يوما ألف ألف درهم ؟ قال : نعم [كثير . وفى يوم واحد أنعم(٢) على الأمير بَشْتَك بألف ألف درهم] فى ثمن قرية يُبْنَى(٣) التى بها قبرُ أبى هُرَيْرَة على ساحل الرملة . وأنعم على موسى بن مُهَنَّا بألف ألف درهم، وقال لى (يعنى عن النَّشْو) : هذه ورقةٌ فيها ما ٱبتاعه من الرقيق فى أيام مباشرتى . وكان ذلك من شعبان سنة ٱثنتين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، فكان جُملتهُ أربعمائة ألف وسبعين ألف دينار مصرية . وكان يُنْعِم على الأمير تَنْكِز فى كل سنة يتوجّه إليه إلى مصر، وهو بالباب ما يزيد على ألف ألف درهم . ولمّا تزوّج الأميرُ سيف الدين

(١) فى أحد الأصلين : « وصارت الكلمات واحدة » . (٢) زيادة عن المنهل الصافى .

(٣) قال ياقوت : «إنه بليد قرب الرملة فيه قبر صحابى، يقول: بعضهم هو قبر أبى هريرة، وبعضهم يقول : قبر عبد الله بن أبى سرح . وذكر المرحوم أحمد زكى باشا فى تصحيحات الجزء الأول من مسالك الأبصار أنها فى عصرنا هذا من أعمال غزة بأرض فلسطين .

قَوْصُون بآبنة السلطان وعَمِل عُرْسَه حَمَلَ الأمراءُ إليه شيئاً كثيرا، فلما تزوّج الأمير سيف الدين طُغَاى تَمُر بآبنته الأخرى. قال السلطان : ما نعمل [له](١) عُرْسًا، لأن الأمراء يقولون : هــذه مصادرة . ونظر إلى طُغَاىْ تَمُر وقد تغيّر وجهُه، فقــال للقاضى تاج الدين إسحاق يا قاضى : اِعْمَل ورقةً بمكارمة الأمراء لقَوْصُون، فَعمِل ورقةً وأحضرها . فقال السلطان : كم الجملة ؟ قال : خمسون ألف دينار، فقال : أَعْطِها لطُغَاىْ تَمُر من الخِزَانة . وذلك خارج عمــا دَخَل مــع الزوجة من الجِهَاز . وأمّا عطاؤه للعرب فأمر مشهور زائد عن الحدّ . اِنتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدىّ بآختصار. وهو أجدر بأحوال الملك الناصر، لأنه يُعاصره وفى أيامه، غير أننا ذكرنا من أحوال الملك الناصر ما خَفِى عن صلاح الدين المذكور نبــذةً كبيرة من أقوال جماعة كثيرة من المؤرّخين . والله تعالى أعلم .

***

السنة الأولى من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، وهى ســنة عشر وسبعمائة على أنّه حكم فى السنة المــاضية من شهر شــوّال(٢) إلى آخرها .

فيها (أعنى ســنة عشر وسبعمائة) قبَض الملك النــاصر على الأمير سَــلّار وقتله فى السجن حسب ما تقدّم ذكره فى أصــل الترجمة، ويأتى أيضــا ذكر وفاته فى هذه السنة .

وفيها تُوُفِّىَ العلّامة قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمــد بن إبراهيم بن عبد الغنى السَّرُوجِىّ الحنفِىّ قاضى قضاة الديار المصرية فى يوم الخميس الثانى والعشرين

---

(١) الزيادة عن المنهل الصافى. (٢) فى أحد الأصلين : «من شهر رمضان» . وأما الأصل الآخر فلم يذكر هذه العبارة . وما أثبتناه عما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ٤ ص ١٦٥ من هذا الجزء.

من شهر ربيع الآخر بالمدرسة السيوفيّة[1] بالقاهرة . وكان بارعاً فى علوم شتّى . وله آعتراضات على آبن تيميّة فى علم الكلام ، وصنّف شرحًا على الهداية وسمّاه « الغاية » ولم يكمله .

وتوفّى الشيخ الإمام العلّامة نجم الدين أحمد بن محمد [بن علىّ بن مُرْتَفِع بن حازم بن إبراهيم بن العبّاس][2] بن الرِّفْعة الشافعى المصرى . كان فقيهاً مُفْتِناً مُفْتِياً . وكان يَلِى حِسْبَة مصر القديمة . وشرح التنبيه[3] والوسيط[4] فى الفقه فى أربعين مجلدا . ومات فى ثامن عشر[5] رجب ودُفِن بالقرافة . رحمه الله .

وتُوفّى الشيخ رَضِىّ الدين أبو بكر بن محمود بن أبى بكر الرَّقِّى الحنفى المعروف بالمقصوص . مات بدمشق ودُفِن بالباب الصغير . وكان فقيهًا فاضلا عالمًا بعدّة فنون ، ودرّس وأفتى سنين كثيرة .

وتوفى الشيخ الإمام العلّامة قُطْب الدّين محمود بن مسعود [بن مُصْلِح][6] الشّيرازى . كان عالمًا بالفلسفة والمنطق والأصول والحكمة ، وله فيهم مصنّفات تدلّ على فضله . وتولّى قضاء بلاد الروم ، ولم يُباشر القضاء ، ولكن كانت نُوّابه تحكُم فى البلاد . وكان معظّمًا عند ملوك التّتار [وكان][7] من تلامذة[8] النّصير الطُّوسى . وبه تخرّج فى علم الأوائل . وبنى له تربةً بتِبْرِيز ، وبها دُفِن .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الزيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى وشذرات الذهب والسلوك . (٣) هو "نهاية النبيه فى شرح التنبيه فى الفقه الشافعى ، توجد منه بعض أجزاء من نسخ متعددة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بأرقام كثيرة . (٤) هو المطلب العالى فى شرح وسيط الإمام الغزالى فى فقه الإمام الشافعى ، توجد منه بعض أجزاء مخطوطة من نسخ كثيرة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت أرقام كثيرة .

(٥) فى الأصلين : « فى ثانى عشر رجب » . وتصحيحه عن السلوك والمنهل الصافى والدرر الكامنة .

(٦) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة . (٧) زيادة عن عقد الجمان .

(٨) فى الأصلين : « من تلامذته » . والتصحيح عن المنهل الصافى والدرر الكامنة .

وتُوفّى الشيخ الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم ابن عبد العزيز العَزَازِىّ[1] التاجر بقَيسارية[2] جهاركَس[3] بالقاهرة . مات فى هذه السنة ودُفِن [بسَفْح][4] المقطّم . وكان له النظم الرائق ، وله ديوان شعر مشهور . ومن شعره فى مَليح بَدَوِىّ :

٥ بدوىّ كم حدّثت مقلتاه * عاشقاً عن مَقَاتل الفُرْسانِ ،

مُحَيّاً يقــول يا لَهِــلالٍ * ولِحاظ تقــول يا لِسَنانِ

قلت : ويُعجبنى فى هذا المعنى قولُ الشيخ علاء الدين الوَدَاعِىّ ، وهو :

أقبــلَ من حَيِّــه وحَيّا * فأشرقتْ سائرُ النّــواحى

فقلتُ ياوجهُ مِنْ بَنِى مَنْ * فقال لى من بَنِى صَبَاحِ

١٠ قلت : والعَزَازِىّ هذا هو صاحب الموشّحات الظريفة المشهورة ، ذكرنا منها عِدّة فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى » إذ هو كتاب تراجم .

---

(١) العزازى (بفتح العين وتخفيف الزاى الأولى) : نسبة الى عزاز قلعة قرب حلب (عن لب اللباب وصبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٧) . (٢) ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٨٧ ج ٢) فقال : إن هذه القيسارية بناها الأمير فخر الدين جهاركس الناصرى الصلاحى فى سنة ٥٩٢ هـ . وكان مكانها يعرف ١٥ قبل ذلك بفندق الفراخ . ويستفاد مما ذكره المقريزى عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) أن قيسارية جهاركس ودرب قيطون وقيسارية أمير على كانت كلها على يمين السالك بشارع القاهرة قاصدا بين القصرين . ولما تكلم المقريزى على درب قيطون (ص ٣٩ ج ٢) قال : إن هذا الدرب بين قيسارية جهاركس وقيسارية أمير على بالقاهرة . وبالبحث تبين لى أن درب قيطون هو الذى يعرف اليوم بعطفة البارودية المتفرعة من شارع المعز لدين الله (شارع الغورية سابقا) فيكون مكان ٢٠ قيسارية جهاركس مجموعة المبانى المشرفة على شارع المعز لدين الله فيما بين عطفة البارودية من بحرى وشارع الكحكيين من قبلى . وجهاركس صاحب هذه القيسارية كان من أكبر أمراء الدولة الأيوبية وهو غير جهاركس الخليلى صاحب خان الخليلى بالقاهرة (٣) فى الأصلين هنا : «جاركس» . وتصحيحه عن المقريزى (ص ٨٧ ج ٢) ومما تقدم ذكره للؤلف فى ص ٤٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة وقد ضبطناه فى تلك الصفحة (بكسر الجيم) فليلاحظ . ومعناه بالعربى أربعة أنفس وهو لفظ عجمى . وقد ضبطه المقريزى ٢٥ فى خططه (ص ٨٧ ج ٢) فقال : (بفتح الجيم والهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة) .

(٤) توجد منه نسختان مخطوطتان محفوظتان بدار الكتب المصرية (تحت رقمى ٤٧٩ و ٥٩٥ أدب) . والنسخة الأولى من أول الديوان وتنتهى إلى الفصل الثالث ، والثانية من أوّله وتنتهى أثناء الفصل الرابع .

وتُوفّى الحكيم الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال [بن يوسف] (١) الموصلى، صاحب النُّكَت الغريبة، والنوادر العجيبة، وهو مصنّف « كتاب طَيْف الخيال » (٢) وكان كثير المُجُون والدُّعَابة، وكانت دُكّانه داخل باب الفتوح من القاهرة . ومولده بالمَوْصل سنة ستّ وأربعين وستمائة . ومات فى الثامن والعشرين (٣) من جُمادَى الآخرة.

ومن شعره فى صنعته :

ما عاينتْ عَيْنَـاىَ فى عُطْلَتِي * أقــلَّ من حَظّى ولا بَخْـتِي

قد بِعتُ عَبْدِى وحِصَانى وقد * أصبحتُ لا فوق ولا تحـتِ

وله فى المعنى أيضا :

يا سائِلى عن حِرْفَتِي فى الوَرَى * وضَيْعَتِي فيهــم وإفــلاسى

ما حالُ مَنْ درهمُ إنفاقِه * يأخذه من أعين النـاس

ومن نوادره الظريفة أنه كان يُلازِم خِدْمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون قبل سلطنته فأعطاه الأشرف فرساً ليركبه، فلمّا كان بعد أيّام رآه الأشرفُ وهو على حِمار زَمِنٍ، فقال له : ياحكيم، ما أعطيناك فرسًا لتركبه؟ فقال : نعم ياخَوَنْد، بِعتُه وزدتُ عليه واشتريتُ هذا الحِمار، فضحك الأشرف وأعطاه غيرَه . وله فى أقطع (٤) .

وأَقْطَـعٍ (٥) قلتُ له * هل أنتَ لِصٌّ أوحدُ

فقال هــذى صنعةٌ * لم يَبْـقَ لى فيهـا يَدُ

---

(١) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة والسلوك . (٢) توجد منه نسـخة مطبوعة فى أولانجن سنة ١٩١٠ فى ثلاثة أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٣٠٥٦ أدب] .

(٣) فى الدرر الكامنة أنه توفى فى الثانى عشر من جمادى الآخرة . (٤) فى الأصلين والمنهل الصافى : «ومن شعره أيضا فى الزنبق الأقطع» . وما أثبتناه من عقد الجمان. (٥) تقدم فى ص١٩٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة أن هذين البيتين لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على المعروف بابن الصائغ الحنفى . وبالرجوع إلى ترجمـة ابن الصائغ فى المصادر التى ترجمت له لم نجد هذين البيتين .

وتُوفّى الأمير سيف الدين الحـاجّ بَهَادُر المنصورىّ نائب طَرَابُلُس بها[(١)]، وفَرِح الملك الناصر بموته ، فإنّه كان من كبار المنصوريّة .

وتُوفّى الأمير جمـال الدين آقوش [المنصورىّ[(٢)]] المَوْصِلىّ المعروف بقتّال السَّبُع أمير عَلَم . مات بالديار المصريّة ، وكان من أكابر أمرائها فى شهر رجب ، ودُفِن بالقرافة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين بُرُلْغِى الأشرفىّ فى ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب قتيلًا بقلعة الجبل . قيل : إنه مُنِـع الطعامَ والشرابَ حتّى مات ، ودُفِن بالحسينية خارج باب النصر بجوار تربة[(٣)] علاء الدين الساقى[(٤)] الأُستادار . وكان بُرُلْغِى صِهْر المظفّر بيبَرْس الجَاشْنَكِير زَوْج ابنته ومن ألزامه . وقد تقدّم ذكْره فيما مضى فى أوّل ترجمة الملك الناصر ، وفى ترجمة بيبَرْس أيضا ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا .

وتُوفّى الأمير سيف الدين قَبْجَق المنصورىّ نائب حلب بها فى جُمَادَى الأُولى وحُمِل إلى حَمَاة ، ودُفِن بتربته التى أنشأها بعد مرض طويل . وقد تقدّم ذكر قَبْجَق فى عِدّة مواطن ، فإنّه كانَ ولِى نيابة دِمَشْق ، وخرج منها فى سلطنة لاچين إلى بلاد التَّتَـار ، وأقدمَ غازانَ إلى دِمَشْق ، ثم عاد إلى طاعة الملك الناصر فى سلطنته الثـانية ، ثم كان هو القـائم فى أمر الملك الناصر لمّا خُلِـع بالجَاشْنَكِير حتى ردّه إلى مُلْكـه .

(١) كذا فى الأصلين . وبالرجوع إلى المصادر التى ترجمت لبهادر هـذا وجدنا أنها أجمعت على أنه مات والملك الناصر راض عنه ، فى حين أنه كان من كبار المنصورية كما ذكره المؤلف .

(٢) زيادة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وعقد الجمان . (٣) بالبحث تبين لى أن هذه التربة كانت واقعة فى القسم الشمالى الغربى من جبانة باب النصر بالقاهرة . وقد اندثرت ويتعذر الآن تعيين موقعها بين الترب الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض الجبانة المذكورة. (٤) فى أحد الأصلين : «السلق» . وفى الأصل الآخر : «البلغى» . وما أثبتناه عن عقد الجمان .

وتُوفّى الأمير الكبير سَلّار المنصورىّ نائب السلطنة بديار مصر فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر[1]. وقد تقدّم ذكره فى أوّل ترجمة الناصر هذه الثالثة، وما وُجِدَ له من الأموال وغير ذلك، فلْيُنظر هناك .

وتُوفّى الأمير نُوغَاى بن عبد الله المنصورىّ القَبْجَاقِىّ المقـدّم ذكره فى ترجمـة الملك المظفّر بِيبَرْس لمّا فارقه وتوجّه إلى الكَرَكَ إلى عند الملك الناصر محمد . مات بقلعة دِمَشْق محبوسًا، ودُفِن بمقابر الباب الصغير، وكان من الشُّجْعان ، غير أنه كان يُحِبّ الفِتَن والحروب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم لم يُحَرّر . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرة ذراعا وثلاث أصابع . وكان الوفاء يوم النَّوْرُوز . والله أعلم .

***

السنة الثانية من ولاية الملك الناصر الثـالثة على مصر، وهى سـنة إحدى عشرة وسـبعمائة .

فيهـا تُوفّى الأمير بَكْتُوت الخَازِنْدار، ثم أمير شِـكَار[2]، ثم نائب السلطنة بثَغر الإسكندريّة[3]، ومات بعد عزله عنها فى ثامن شهر رجب . وأصلُه من مماليك بيليك الخَازِنْدار نائب السلطنة بمصر فى الدولة الظاهريّة بِيبَرْس . ثم صار أمير شِكار فى أيام كَتْبُغَا، ثم وَلِى الإسكندريّة، وكَثُر مالُه واختصّ عند بِيبَرْس الجاشْنَكِير وسَلّار . فلمّا عاد الملك الناصر إلى مُلكه حَسّن له بَكْتُوت هذا حَفْر خليج الإسكندرية[4] ليستمرّ

---

(١) ورد فى السلوك أنه توفى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة .

(٢) فى السلوك : « فى ثامن عشر رجب » . وفى عقد الجمان : « فى ثانى عشر رجب » .

(٣) تقدمت وفاته فى سنة ٦٧٦ هـ (ج ٧ ص ٢٧٦) من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٨ من هذا الجزء .

الماء فيها صيفًا وشتاءً، فندب السلطان معه محمد بن كُنْدُغْدِى المعروف بآبن الوَزِيرِى[1]، وفرض العمل على سائر الأمراء فأخرج كلٌّ منهم أستادَارَه ورجالَه، ورَكِب وُلاةُ الأقاليم، ووَقَع العمل فيه من شهر رجب سنة عشر وسبعمائة، وكان فيه نحو الأربعين ألف رجل تَعْمَل. وكان قياسُ العمل من فَمِ البحر إلى شَنْبَار[2] ثمانى آلاف قصبة، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج الأصلىّ من حَدّ شَنْبَار[3] يدخُل الماء إليه فجُعِل فمُ هذا البحر يَرْمِى إليه، وعُمِل عمقُه ستّ قصبات فى عَرْض ثمانى قصبات. فلمّا وَصَل الحفرُ إلى حدّ الخليج الأوّل حُفِر بمقدار الخليج المستَجدّ وجُعِلا[4] بحرًا واحدًا، وركّب عليه القناطر، ووُجِد فى الخليج من الرّصاص المَبْنِىّ تحت الصهاريج شىءٌ كثيرٌ، فأنعم به على الأمير بَكْتُوت. فلما فَرَغ آبتنى الناسُ عليه سواقى وآستجدّت عليه قريةٌ عُرِفت بالناصِرية[5]؛ فبلغ ما أُنشِئ عليه زيادة على مائة ألف فدّان ونحو ستمائة ساقية وأربعين[6] قرية، وسارت فيه المراكب الكِبار، وآستغنى أهلُ الثغر عن جَرْى الماء فى الصهاريج. وعُمِّر عليه نحو الألف غيط، وعُمِّرت به عِدّة بلاد: وتحوّلت الناس إلى الأراضى التى عُمِّرت وسكنوها بعد ما كانت سباخًا. فلمّا فَرَغ ذلك آبتنى بَكْتُوت هذا من ماله جسرًا أقام فيه ثلاثة أشهر حتّى بناه رصيفًا، وأحدث عليه نحو ثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكِلْس، وعَمِل أساسَه رَصَاصًا، وأنشأ بجانبه

---

(١) فى الأصلين: «محمد بن كيدغدى المعروف بابن العزيزى». وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك والخطط المقريزية. (٢) هى من القرى القديمة كانت تسمى شبرا بار. وردت فى المشترك لياقوت وفى الخطط المقريزية (ص ١٧١ ج ١) والتحفة السنية لابن الجيعان. ثم حرف أسمها إلى شنبار، كما حرف آسم شبرا بار التى بالأعمال الجيزية إلى شنبارى إحدى قرى مركز امبابه بمديرية الجيزة. وقد غير آسم شنبار من العهد العثمانى وتعرف اليوم باسم أبو حمص قاعدة مركز أبو حمص بمديرية البحيرة بالقاهرة
(٣) فى الأصلين: «وكان الخليج الأصيل بين شنبار يدخل الماء ...». وما أثبتناه عن المقريزى والسلوك له. (٤) فى الأصلين: «وجعل بحرا واحدا». وما أثبتناه عن الخطط المقريزية. (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٨ من هذا الجزء.
(٦) فى أحد الأصلين: «وأربعمائة قرية».

خانًا وحانوتًا ، وعَمل فيه خَفِرًا(١) وأجرى لهم الماء(٢) ؛ فبلغت النفقة على هذا الجسر ستين ألف دينـار . وأعانه على ذلك أنّه هَدَم قصرًا قديمـا خارج الإسكندريّة وأخذ حَجَره ، ووجد فى أساســه سَرَبًا من رَصَاص مَشَوْا فيه إلى قرب البحر المـالح ، فحصّل منه جملةً عظيمة من الرصّاص . ثم إنه شَجَر(٣) ما بينه وبين صِهْره ، فسَعَى به إلى السلطان وأغراه بأمواله وكَتَبَ مُسْــتَوْفى الدولة أمينُ الملك عبدُ الله بن الغَنَّام عليه أوراقًا بمبلغ أربعمائة ألف دينار فعزِل وطُلِب إلى القاهرة ، فلمّـا قُرِئت عليه الأوراق قال : قبِّلوا الأرض بين يدى مولانا السلطان ، وعرِّفوه عن مملوكه إن كان راضيًا عنه فكلُّ ما كُتِبَ كذِبٌ ، وإن كان غيرَ راضٍ فكلُّ ما كُتِبَ صحيحٌ . وكان قد وَعَك فى سَفَره من الإسكندرية فمـات بعد ليالٍ فى ثانى عشر(٤) شهر رجب فأُخِذ له مالٌ عظيمٌ جدًّا . وكان من أعيان الأمراء وأجلّهم وكرمائهم وشُجعانهم مع الذكاء والعقل والمُرُوءة، وله مسجد(٥) خارج باب زويلة وله أيضا عدة أوقاف على جهات البِرّ .

---

(١) فى الأصلين : « وعمل فيه حفرا » . وما أثبتناه عن الخطط المقريزية .

(٢) فى السلوك : « وأجرى لهم رزقة » . (٣) كذا فى السلوك . وفى الأصلين : « ثم وقع بين بكتوت هذا وبين صهره الخ » . (٤) فى الأصلين : « فى عاشر رجب » . وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان . (٥) لم يذكر المقريزى هـذا المسجد فى خططه ، إلا أنه بالبحث وجدت بشـارع الأنصارى على رأس حارة الكرشاوى ببولاق القـاهرة أرضا فضاء مسوّرة مكان مسجد خرب يعرف بجامع البلك ، وقد أخرجت إدارة حفظ الآثار العربية من بين أنقاض هـذا الجامع لوحة من الرخام منقوشا عليها ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب العـالى البـدرى بكتوت القرمانى الجاشنكير الملكى الناصرى المنصورى ابتغاء وجه الله تعـالى ، وذلك فى شهور سنة ٧٠٩ هـ » .

وقد نقل هذا اللوح إلى دار الآثار العربية ، ومنه يتضح أن هذا الجامع الخرب هو مكان مسجد بكتوت الذى أنشأه خارج باب زويلة أى خارج القـاهرة ببولاق . ويحتمل أنه مع توالى الأيام حرف العامة اسم بكتوت إلى البلك ؛ ومثل هذا التحريف يقع فى كثير من أسماء الأعلام بمصر .

وتُوفّى الشيخ المُجوِّد المُنشئ الفاضل شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف الزرعىّ المعروف بآبن الوحيد . كان حَسَن الخطّ فاضلًا مِقداماً شُجاعا يَعرف عِدّة علوم وألْسُن وخَدَم عند جماعة من أعيان الأمراء، وكَتَب فى الإنشاء بالقاهرة، ثم تعطّل بعد ذلك، ونزل صُوفيًّا بخانقاه سعيد السعداء . فلمّا كانت سنة إحدى وسبعمائة قَدِم رسُلُ التّتار إلى مصر ومعهم كُتّابُ غازان، فلم يكن فى المُوَقِّعين من يَحُلُّه فطُلِب لحَلّه ؛ فرتّبه السلطان فى ديوان الإنشاء إلى أن مات بالبيمارِسْتان المنصورىّ يوم الثلاثاء سادس[1] عشرين شعبان ، وله ثلاث وستون سنة . ومن شعره فى تفضيل الحشيش على الخمر :

وخضراء لا الحمراءُ تفعل فِعْلَها[2] * لها وثَبَاتٌ فى الحَشَى وثَبَاتُ
تَأجّجُ نارًا فى الحَشَى وهى جَنّةٌ * وتُبْدِى مَرِيرَ الطّعْم[3] وهى نَبَاتُ

وتُوفّى الصاحب الوزير فخر الدين عمر آبن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الحسن بن الحسين الخليلىّ التّميمىّ الدّارِىّ بالقاهرة فى يوم عيد الفطر، ودُفِن بالقرافة الصغرى . وكان مولده سنة أربعين وستمائة . وتَوَلّى الوزارةَ فى دولة الملك السعيد آبن الظاهر بيبَرْس ثمّ بعدها غيرَمرّة إلى أن عَزَله الملك الناصر، ومات معزولًا . وكان فاضلا خَيِّراً دَيِّناً كثير الصدقات ، عفيفًا عن أموال الرعيّة . رحمه الله .

---

(١) فى السلوك : «فى سادس عشر شعبان» . (٢) تقدم فى الجزء السابع من هذه الطبعة ص ٣٨٠ أن المؤلف قال : «وأحسن ما قيل فى هذا المعنى قول القائل ولم أدر لمن هو» وذكر البيتين . ورواية البيت الأخير منهما هناك :

توجج نارا فى الحشى وهى جنة * وتروى مرير الطعم وهى نبات

(٣) رواية عقد الجمان :

* ... وتبدى مرير العيش ... *

وتُوفّى القاضى العلّامة الحافظ سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زَيْد الحارِثىّ[1] الحنبلىّ . مات بالمدرسة[2] الصالحيّة بالقاهرة ودُفن بالقــرافة . وكان من أعيان العلماء المحدّثين . رحمه الله .

وتُوُفّى الشيخ فخر الدين إسماعيل بن نصر[الله][3] بن أحمد بن محمد بن الحسن بن عساكر الدِّمَشْقِىّ . مات بدِمَشْق ودُفن بالباب الصغير . رَوَى عن جماعة من المشايخ، وكانت نفسه قويّةً .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم الخطيب بجامع أحمد بن طولون شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله بن[4] الجَزَرِىّ الشافعىّ . مات بالمدرسة[5] المُعِزّيّة بمصر فى أوائل ذى الحِجّة ودُفن بالقرافة . ومولده سنة سبع وثلاثين وستمائة بالجزيرة، وقدم دِمَشْق وبَرَع فى عِدّة علوم، وعُرِض عليه قضاء دِمَشْق فأمتنع .

وتُوُفّى الشيخ الاديب سِرَاج الدين عمر بن مسعود الحَلَبِىّ المعروف بالمحّار . وكان أوّلا صانعًا يحر الكتّانَ، ثم آشتغل بالأدب ومَهر فيه، وآتّصل بخدمة الملك المنصور صاحب حَمَاة إلى أن مات بدِمَشْق فى هذه السنة . وهو صاحب المُوَشّحات المشهورة . ومن شعره :

لمّا تألّق بارقٌ مِنْ ثغـرِه * جادتْ جُفونِى بالسّحاب المُمْطِرِ
فكأنّ عقدَ الدّمع حُلّ قلائدُ الـ * ـعِقيانِ منه على صِحاحِ الجَوْهرى

وله فى مليح نجّار :

قالوا المَعَرّةُ قد غدتْ من فَضْلِها * يُسْــعَى إلى أبوابهـا ويُـزَارُ
وَجَبتْ زِيارتُهـا علينا عند ما * شَـغَف القـلوبَ بحُبّها النّجّارُ

(١) فى الدرر الكامنة أنه منسوب إلى الحارثية قرية من قرى بغداد . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) تكلة عن الدرر الكامنة وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) فى كل المصادر التى ترجمت له : «محمد بن يوسف بن عبد الله الجزرى» بدون كلمة : «ابن» . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ومن مُوَشَّحاته :

ما ناحَتِ الوُرْقُ فى الغُصونِ، إلّا * هاجتْ على، تغريدها لوعةَ الحَزِينِ

هل ما مَضَى لِى مع الحَبَايبْ * آيب، بعــد الصــدودْ

أوْ هل لأيّامنا الذَّواهبْ * واهِبْ، بأنْ تعــودْ

٥ بكلّ مَصْقولةِ الترائبْ * كاعبْ، هَيْفاءَ رُودْ

تَفْــتَرّ عن جَوْهرٍ ثمينٍ، جَلّا * أنْ يُجْتَلَى، يُحْمَى بقُضْبِ[1] من الجُفونِ

أحببْتُه[2] ناعــمَ الشمائــلْ * مائــل، فى بُــرْدِهِ

فى أنفس العاشقين عامل * عامــل، من قَــدِّهِ

يرنو بطَرْفٍ إلى المَقَــاتِل * قَاتِــلْ، فى غِمْــدِهِ[3]

١٠ أَسْطَى من الأُسْدِ فى العرينِ، فعَلَا * وأقْتَــلَا، لعاشقيه من المَنُونِ

عَلِقته كامل المَعَانِى * عــانِى، قلــبى بــه

مُبلْبَــلُ البالِ مُذْ جَفَــانِى * فــانِى، فى حُبِّــه

كم بِتُّ من حيث لا يَرانِى * رانِى، لقُـــرْبــه

و بات من صُدْغِه يُريِنى، نَمْــلَا * يَسْعَى إلى، رُضابِه العاطرِ المَصونِ

١٥ قاســوه بالبَــدْرِ وهو أحْلَى * شكْلًا، من القَمَــرْ

و واشَ هُدْبَ الجُفونِ نَبْلَا * أبْــلَى، بها البَشَــرْ

وقال لى وقـــد تَجَــلَّى * جَــلَّا، بارئُ الصُّوَرْ

يَنْتَصِفُ البدرُ من جبينى، أصْلَا * فقلتُ لا، قال ولا السِّحْرُ من عُيونى[4]

(١) فى المنهل الصافى : « يحمى بعضب » . (٢) رواية عقد الجمان :

٢٠ * وأهيف ناعم ... *

(٣) رواية عقد الجمان : * يسطو بسيف ... *

(٤) لهذه الموشحة بقية ذكرت فى المنهل الصافى وعقد الجمان .

§ أمر النيل في هــذه السنة — المــاء القديم ذراعان وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا . والله أعلم .

*
* *

السـنة الثالثـة من ولاية الملك النـاصر محمد الثالثـة على مصر، وهى سنة آثنتى عشرة وسبعمائة .

فيها تُوفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم [بن إبراهيم](١) ابن داود بن حازم الأَذْرَعىّ الحنفىّ بالقـاهرة فى شهر رجب : ومولده بأَذْرِعات فى سـنة اربعين وستمائة . وكان إماما بارعا مُفْتِنًّا عارفًا بالفقـه واللغة والعربيـة والأصول، وأفتى ودرّس بالشِّبْلية(٢) التى على جسر تورا بِدمَشق، وولى القضاء بها فباشر سنة . وقدِم القاهرةَ فمـات بها فى التاريخ المذكور .

وتوفى الشيخ شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل المَقْدِسىّ الكاتب المنشئ فى خامس عشر شعبان بالقاهرة . وكان فاضلا أديبًا شاعرًا، إلّا أنّه كان كثيرَ الهجاء . وكان يُعرف بكاتب أمير سلاح . ومن شعره :

اليــومُ يومُ سُــرورٍ لا شُرورَ به * فزوجِ آبنَ سحابٍ بآبنـةِ العِنَبِ
ماأنصفَ الكَأْسَ(٣) من أبدى القَطوبَ لها * ونَفْـرُها باسمٌ عن لُؤلُـؤ الحَبَبِ

وتُوُفّى الشيخ مجد الدين أحمد بن دَيْلَم بن محمد الشَّيْبِىّ المكىّ شيخ الحَجَبَة وفاتح الكعبة بمكّة ودُفن بالمَعْلَاة . ورَوَى عن آبن مَسْـدِى(٤) والمُرْسى وغيرِهما .

(١) التكلة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافى . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) فى الأصلين وعقد الجمان .

* ما أنصف الناس من أبدى القطوب بها *

وتصحيحه عن المنهل الصافى . (٤) هو محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن المغيرة جمال الدين أبو بكر ويقال أبو المكارم بن أبى أحمد الشهير بآبن مسدى (بفتح الميم والسين) ويقال آبن مسد (بضم الميم وسكون السين المهملة وحذف الياء) الأزدى الأندلسى الغرناطى نزيل مكة . كانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر شوال سنة ٦٦٣ هـ ودفن بالمعلاة من يومه (عن المنهل الصافى وشذرات الذهب) .

وتُوفّى الملك المظفّر شهاب الدين غازى ٱبن الملك الناصر صلاح الدين داود ٱبن الملك المعظّم شرف الدين عيسى ٱبن الملك العادل أبى بكر [محمد](1) بن أيوب . مات بالقاهرة فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب . ومولدُه بالكَرَك فى سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وتُوفّى الملك المنصور نجم الدين أبو الفتح غازى ٱبن الملك المظفّر فخر الدين(2) قَرا أَرْسلان ٱبن الملك السعيد نجم الدين غازى الأُرْتُقِى صاحب مارِدين وٱبنُ صاحبها وبها كانت وفاته فى تاسع شهر ربيع الآخر، ودُفِن بمدرسته تحت قلعة مارِدين، وعمرُه فوق السبعين، وكانت مدّتُه على مارِدين نحو العشرين سنة . وكان مَلِكًا مَهِيبًا كاملَ الخِلْقة سَمِينا بَدِينًا عارفًا مُدَبِّرًا . وتولّى سلطنة مارِدين من بعده ولدُه الملك العادل على(3) سبعةَ عشر يوما ثم خُلِـع(4) وولّى أخوه صالح(5) .

وتُوفّى الأمير سيف الدين قُطْلُوبَك(6) الشِّـيخى، كان من أعيان أمراء دِمَشْق، وبها كانت وفاته .

وتُوفّى الأمير سيف الدين مُغْلَطَاى البهائى بطَرابُلُس ، كان قـد رَسَم السلطانُ بالقَبْض عليه فوَصَل(7) البريدىُّ بذلك بعد موته بيوم .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم ثلاث أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وٱثنتان وعشرون إصبعا . وكان الوفاء ثالث أيام النسىء .

(1) زيادة عن الدرر الكامنة وما تقدّم ذكره للؤلف فى ترجمته ص ١٦٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (2) فى الأصلين : « فتح الدين » والصواب ما أثبتناه عن السلوك والمنهل الصافى وعقد الجمان، وما تقدّم ذكره فى الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(3) هو على بن غازى بن قرا أرسلان العادل ٱبن المنصور ٱبن المظفر صاحب ماردين (عن الدرر الكامنة) . (4) فى الدرر الكامنة أنه مات مسموما بعد هذه الأيام التى وليها . (5) هو صالح ابن غازى بن قرا أرسلان الملك الصالح صاحب ماردين . مات بها سنة ٧٦٦ هـ (عن المنهل الصافى والدرر الكامنة) . (6) فى أحد الأصلين : «قطلو بغا» . وما أثبتناه عن عقد الجمان والدرر الكامنة .
(7) فى السلوك : « فمات قبل وصول البريد بيوم » .

***

السنة الرابعة[(١)] من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، وهي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

فيها تُوفّي القاضي عماد الدين أبو الحسن علي آبن القاضي فخر الدين عبد العزيز آبن القاضي عماد الدين عبد الرحمن بن السُّكَّريّ في يوم الجمعة السادس والعشرين من صفر، وكان فاضلًا فقيهًا، توجّه رسولًا من قِبَل الملك الناصر إلى غازان، وولي تدريس مشهد الحُسين بالقاهرة وعِدّة وظائف دينية ، وولي خطابة جامع الحاكم .

وتوفي الأمير المُسْنِد علاء الدين أبو سعيد بيبَرْس التُّركيّ العَديميّ الحنفيّ بحلب، ودُفِن بتربة آبن العَديم ، وقد قارب التسعين سنة . وآنفرد بالرواية قبْل موته ، وقُصِد من الأقطار ورَحَل إليه مَن حَدّث بالكثير .

وتوفي[(٢)] صاحب مَرّاكُش من بلاد الغرب الأميرُ سليمان بن عبد الله [بن يوسف[(٣)]] بن يعقوب المَرِينيّ[(٤)] ، وولي بعده عَمّه أبو سعيد عثمان بن يعقوب وآستوسق أمرُه .

---

(١) هذه السنة ساقطة كلها في أحد الأصلين

(٢) ذكر في الدرر الكامنة والسلوك في وفيات سنة ٧١٠ هـ وقد وافق المؤلف صاحب عقد الجمان على أنه توفي في هذه السنة .

(٣) زيادة عن الدرر الكامنة والسلوك .

(٤) كذا في الأصل والسلوك وعقد الجمان . وبالرجوع إلى ترجمة أبي سعيد عثمان في الدرر الكامنة والمنهل الصافي لم نجد أنه ولي بعد آبن أخيه سليمان هذا و إنما ولي بعد أخيه يوسف ، في حين أنه لم يرد في المصدرين السابقين آسم سليمان بن عبد الله .

وتُوفّى الخــان طُقطاىْ بن مَنْكُوتَمُر بن طُغَاى[1] بن باطُــو بن جِنْكِزخان ملك التتــار بالبلاد الشمالية بمكان يُسَمَّى كِرْنا[2] على مسافة من مدينــة صَرَاى[3] عشرة أيام . وذكره ابن كثير فى الســنة الخاليــة، والصحيح ما قلنــاه . وكانت مملكته ثلاثا وعشرين سنة ، ومات وله ثلاثون سنة . وكان شَهْمًا شُجاعًا مِقْدامًا، وكان على دين التتار فى عبادة الأصنام والكواكب، يُعظِّم الحكماء والأطباء والفلاسفة، ويُعظِّم المسلمين أكثرَ من الجميع ، غيرَ أنه لم يُسْــلِم ، وكانت عساكره كثيرة جدًّا، يقال إنه جَرَّد مرةً من كلّ عشرة واحدًا، فبلغت التجريدةُ مائة ألف وخمسين ألفا . وكانت وفاته فى شهر رمضان ، ومات ولم يُخَلِّف ولدا ، فجلس على تخت الملك من بعده أُزْبَك خان بن طُغْرلجــا بن مَنْكُوتَمُر بن طُغَاى [بن باطو] بن جِنْكِزْخَان . وكان الذى أعان أُزْبَك خان على السلطنة شخصٌ من أمرائهم من المسلمين يقال له قُطْلُقْتَمُر كان على تدبير ممالكهم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ذراعان وسبع أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع . وكان الوفاء قبل النَّوْرُوز بيوم واحد .

---

(١) فى الأصل « ابن طقطاى » . وما أثبتناه من المنهل الصافى وشذرات الذهب . وفى عقد الجمان «ابن طغان» . وفى الدرر الكامنة : «ابن ساين» . وورد فى المنهل الصافى وشذرات الذهب أن وفاة الخان طقطاى هذا كانت سنة ٧١٦ هـ . وفى الدرر الكامنة وابن كثير كما ذكره المؤلف بعد قليل أن وفاته كانت سنة ٧١٢ هـ . وقد وافق صاحب عقد الجمان المؤلف فى أن وفاته كانت فى هذه السنة .

(٢) لم يرد هــذا الاسم فى تقويم البلدان ومعجم ياقوت ومعجم البكرى وغيرها . وقد ضبط فى عقد الجمان بالقلم (بكسر الكاف وسكون الراء) .

(٣) صراى (بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحت) كما فى تقويم البلدان لأبى الفــدا إسماعيل . مدينة عظيمة وهى كرسى ملك التتار صاحب البلاد الشمالية ، وهو فى زمننا (زمن صاحب تقويم البلدان) أزبك خان . وصراى فى مستو من الأرض وهى غربى بحر الخزر وشماليه على نحو مسيرة يومين على شط نهر الأثل من الجانب الشمالى الشرقى ، وهى فرضة عظيمة للتجار ورقيق الترك .

السنة الخامسة من ولاية الملك الناصر محمد الثالثة على مصر، وهى سنة أربع عشرة وسبعمائة .

فيها تُوُفّى الشيخ المعمّر بقيّةُ السّلَف محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن المَوْصِلىّ المعروف بحيّاك الله . مات بزاويته[1] بسُوَيْقة الرّيش[2] خارج القاهرة فى يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل ودُفِن بالقرافة . وكان شيخًا صالحًا بلغ عمرُه نحوا من مائة سنة وستين سنة ، وكان حاضرَ الحِسّ جيّد القوة ، وكان يُقْصَدُ للزيارة للتبرّك به ، وكان كثيرَ الذِّكْر والعِبادة وله محاضرةٌ حسنةٌ وشِعرٌ . ومن شعره من أوّل قصيدة :

إذا الحُبُّ لم يَشْغَلْك عن كلّ شاغلٍ * فما ظَفِرت كفاكَ منه بطائلِ[3]

وتُوُفّى القاضى شرف الدين يعقوب بن مجد الدين[4] مُظَفَّر بن شرف الدين أحمد ابن مُزْهِر بحلب وهو ناظرها . كان يخْدُم عند الأكابر وتنقّل فى خِدَم كثيرة ، حتى إنّه لم تبق مملكة بالشام إلّا باشرها .

---

(١) هذه الزاوية لا تزال إلى اليوم عامرة بالشعائر الدينية بالجهة الشرقية من سكة المناصرة بالقاهرة . وكانت تعرف بزاوية الموصلى ثم عرفت بالموصلية ، نسبة إلى الشيخ الموصلى المذكور . ثم حرفها العامة إلى المصلية للتخفيف . وقد تجدد بناؤها فى سنة ١٢٠٨ هـ كما هو ثابت فى لوح من الرخام مثبت بأعلى باب الزاوية ، وفى لوح آخر مثبت بأعلى المحراب . وأما بناؤها الحالى فقد جدد فى سنة ١٣٤٥ هـ .
ويستفاد مما ورد فى المنهل الصافى فى حرف الحاء باسم حياك الله أن الشيخ الموصلى المذكور كان ساكنا بهذه الزاوية وأنه توفى بها ثم دفن بالقرافة بالقرب من قبر الشيخ محمد بن أبى جمرة ؛ أى أنه دفن بالقرب من حوش أولاد أبى جمرة بجبانة سيدى على أبى الوفاء تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث خارج القاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من هذا الجزء .

(٣) ذكر صاحب عقد الجمان من هذه القصيدة بعد هذا البيت خمسة أبيات .

(٤) فى السلوك : « يعقوب بن فخر الدين مظفر » .

وتُوُفّى القاضى بهاء الدين علىّ بن أبى سَـوَادَةَ الحلبىّ صاحب ديوان الإنشاء بحلب، وبها كانت وفاته فى نصف شهر رجب . وكان من الصُّدُور الأماثل وعنده فضيلةٌ . وله نظمٌ ونثر. ومن شعره :

جُدْ لِى بأَيْسَرِ وصلٍ منك يا أملى * فالصبرُ[1] قد عاد عنـكم غيرَ مُحْتَمَلِ

مالى رُمِيتُ بأمرٍ لا أُطيــقُ له * حَمْلًا وبُدِّلتُ بعـد الأَمْن بالوَجَلِ

وتُوُفّى القاضى فخر الدين سليمان بن عثمان ابن الشيخ الإمام صَفِىّ الدين أبى القاسم محمد بن عثمان البُصْرَوِىّ الحنفىّ مُحْتَسِب دِمَشْق بهـا فى ذى القعدة . وكان فاضلا طيِّب العِشْرة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين مَلِكْتَمُر[2] النّاصرىّ المعروف بالدّم الأسود . كان أميرَ ستين فارسًا بِدِمَشْق . وكان من الظَّلَمَة المُسرفين على أنفسهم .

قلتُ : ولا بأس بهذا اللّقب الذى لُقب به علىَ هذه الصفات التى غير محمودة .

وتُوُفّى الأمير فخر الدين[3] آقْجُبَا الظّاهرىّ أحدُ أمراء دِمَشْق ، وبها كانت وفاته . وكان خيّرا ديّنا . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين كُهُرْدَاش بن عبد الله الزَّرّاق ، مات أيضا بِدَمَشْق . وكان بهـا أمير خمسين فارسا . وكان سافر مع السلطان إلى الحجاز ، فلمّـا زار النبى صلّى الله عليه وسلّم تاب عن شُرْب الخمر ، فلمّا عاد إلى دِمَشْق شَرِبه فضربه الفالج لوَقْته ، وبَطَل نصفُه وتعطّل إلى أن مات .

---

(١) رواية عقد الجمان : * فالصبر عنك عذاب غير محتمل *

(٢) فى الأصلين : «بكتمر الناصرى» . وتصحيحه عن المنهل الصافى والدرر الكامنة وعقد الجمان .

(٣) فى أحد الأصلين : « سيف الدين »

وتُوفّى الأمير سيف الدين سَوْدِى[(١)] بن عبد الله النّاصرىّ نائب حلب . وبها كانت وفاته فى نصف شهر رجب . وكان مشكورَ السِّيرة فى ولايته محمودَ الطريقة . وهو ممّن أنشأه الملك الناصر محمد من مماليكه ، وتولّى[(٢)] حلب بعده الأميرُ علاء الدين أَلْطُنْبُغَا الحاجب .

وتُوُفّى[(٣)] التاجر عِزّ الدين عبد العزيز بن منصور[(٤)] الكُولَمى[(٥)] أحد تُجّار الإسكندرية فى شهر رمضان . وكان أبوه يهوديًّا من أهل حلب يُعرف بالحَمَوِى ، فأسلم وتعلّق ابنه هذا على المَتْجَر وفتح الله عليه إلى أن قَدِم إلى مصر ومعه بضاعة بأربعمائة[(٦)] ألف دينار .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا . وكان الوفاء قبل النَّوْرُوز بأربعة أيام . والله أعلم .

*
* *

السنة السادسة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر ، وهى سنة خمس عشرة وسبعمائة .

---

(١) ضبطه المؤلف بالعبارة فى المنهل الصافى فقال : « بفتح السين وواو ساكنة ودال مهملة وياء . ومعناه أحب من المحبة » . (٢) قال المؤلف فى المنهل الصافى إن الذى تولى بعده نيابة حلب هو الأمير أرغون الكاملى الدوادار . وقد انفرد بهذه الرواية . (٣) أجمعت كل المصادر التى ترجمت له على أنه توفى سنة ٧١٣ هـ كالدرر الكامنة والسلوك والمنهل الصافى وعقد الجمان .

(٤) فى المنهل الصافى : «قيصور» . (٥) بحثنا عن هذه النسبة فى مراجع كثيرة فلم نجدها ، غير أنا وجدنا فى لب اللباب للسيوطى « كولى » بالضم والفتح ولام نسبة الى باب كول ، محلة بشيراز ، فلعل كولمى محرفة عنها . ورواية الدرر الكامنة : «الكريمى» . (٦) كذا فى الأصلين والسلوك . وفى عقد الجمان والمنهل الصافى : «ألف ألف دينار» . وفى الدرر الكامنة : «أربعون ألف دينار» .

فيها تُوفّى الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الأَرْمَنْتِيّ[١] المعروف بآبن الأسعد فى يوم الجمعة رابع عشرين شهر رمضان . وكان فقيهًا شافعيًا وتولّى القضاء وحسُنت سيرتُه .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن برتق[٢] بن برغش بن هارون أبو طاهر[٣] القُوصِىّ الفقيه الحنفىّ ، كان فقيها إماما بارعا ، تصدّر بجامع أحمد بن طُولُون ، وأقرأ الفقه والقراءات والعربية سنين ، وآنتفع به النـاسُ وصنّف وحدّث ونَظَم ونَثَر . ومن شعره وهو فى غاية الحُسن :

أقـــولُ له ودَمْـــعى ليس يَرْقَا * ولى من عَبْرَتِى إحـــدى الوسائلْ
حُرِمت الطَّيفَ منك بفَيْضِ دَمْعى * فطَـــرْفِى فيـــك محرومٌ وسائلْ

وله أيضـا :

أقـــولُ ومَدْمَعِى قد حال بينى * وبيـــن أحبّتى يوم العتـابِ
رَدَدْتُمْ سائلَ الأجفانِ نَهْـــراً * تَعَثّرَ وهو يَجْـــرِى فى الثِّيابِ

(١) الأرمنتى : نسبة إلى أرمنت وهى من أقدم المدن المصرية آسمها المصرى المقدّس « برمونتو » ومعناه مدينة الإله «ونتو» وتسمى أيضا «أون مونتو» الجنوبية أى مدينـة عين شمس بالوجه القبلى تمييزا لها من عين شمس التى بالوجه البحـرى . وآسمها المـدنى « أرمونت » والرومى « هرمونتيس » والقبطى « أرمنت » وهو آسمها الحالى .

وكانت أرمنت من كور مصر بالصـعيد الأعلى . ذكرها ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك ؛ وذكرها الإدريسى فى نزهة المشتاق وقال : إنها من أحسن مدن الصعيد ، واقعة فى الضفة الشرقيـة من النيل ، والصواب أنها واقعة على الضفة الغربية للنيل ، ثم قال : وهى مدينة من بناء القبط يقصـد بذلك قدماء المصريين . وفى معجم البلدان لياقوت : أرمنت كورة من صـعيد مصر ، وفى التحفة السنية لآبن الجيعان أنها من أعمال القوصية التى كانت قاعدتها مدينة قوص . وأرمنت الآن قرية كبيرة عامرة وهى إحدى قرى مركز الأقصر بمديرية قنا بمصر . (٢) كذا فى الأصلين والدور الكامنة : وفى الطالع السعيد والسلوك المطبوع : « ابن بزيق بن برعس » . وفى المنهل الصافى : « ابن ترتق » .

(٣) فى الدرر الكامنة والطالع السعيد : « أبو الظاهر » بالظاء .

وتوفى قاضى القُضاة تقىّ الدين أبو الفضل سليمان (١) بن حَمزة بن أحمد بن عُمَر بن قُدَامة المَقْدِسىّ الحنبلىّ بقاسيون فى عشر (٢) ذى القعدة ودُفن بتربة جَدّه شيخ الإسلام أبى عُمر . وكان إماماً عالمًا عاملًا جمع بين العلم والعِبادة ، وسَمِع الحديث بنفسه وحدّث بمسموعاته .

٥ وتُوفّى الشيخ الإمام العلّامة السيد ركن الدين حسن بن محمد بن شَرَف شَاهْ الحُسَيْنىّ الإسْتِرَابَادِىّ ، كان إمامًا مصنفا عالما بالمعقول ، اشتغل على النَّصير الطُّوسىّ وحصّل منه علومًا كثيرة ، وصار مُعيدًا فى درس أصحابه ، وقَدِم المَوْصل وولى تدريس المدرسة النُّورِية (٣) ، وبها صنّف غالب مصنّفاته ، مثل : شرح مختصر ابن الحاجب (٤) . وشرح مقدّمة ابن الحاجب فى النحو وهى التى تُسمّى بالكافية ، وعَمِل عليها ١٠ ثلاثة شروح : كبير (٥) ومتوسط (٦) وصغير (٧) . وشَرْح الحاوى فى الفقه . وشَرْح التصريف لابن الحاجب أيضًا ، وهو الذى يُسَمّى بالشافية ، وشَرْح المطالع فى المنطق ، وشَرْح كتاب قواعد العقائد ، وعِدّة تصانيف أُخَر ، ذكرناها فى غير هذا الكتاب . وكانت وفاته بالمَوْصِل فى صفر .

---

(١) فى السلوك : «سليم بن حمزة» . (٢) كذا فى الأصلين وعقد الجمان . وفى السلوك وشذرات الذهب أنه توفى فى واحد وعشرين ذى القعدة . (٣) فى عقد الجمان : «المدرسة ١٥ النورية» . وقد أطلنا البحث عن هذه النسبة لنقف على من بنى هذه المدرسة فلم نجد ما يقربنا إلى وجه الصواب فيها ، غير أننا وجدنا فى الكلام على المدرسة النورية التى أنشأها العادل نور الدين محمود الشهيد بدمشق سنة ٥٦٣ هـ أنه بنى مدارس ومساجد كثيرة ومن جملة مبانيه أنه بنى جامعا بالموصل وغرم عليه سبعين ألف دينار (عن كتاب مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس لعبد الباسط الدمشقى) .

٢٠ (٤) توجد منه نسختان مخطوطتان كل واحدة منهما فى مجلد واحد محفوظتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى [١٨٥ و ٢١٤ أصول الفقه] . (٥) بحثنا عنه فى فهرس النحو فلم نجد منه نسخا .
(٦) هو المسمى الوافية فى شرح الكافية ، ويوجد منه عشر نسخ مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية بأرقام مختلفة فى فهرس النحو . (٧) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [١٥٥٥ نحو] .

وتُوفّى الشيخ أَصِيل الدين الحسن ابن الإمام العلّامة نَصِير الدين محمد بن محمد ابن الحسن الطُّوسى البغدادِىّ[(١)] . كان عالىَ الهِمّة كبير القَدْر فى دولة قازان ، وقَدِم إلى الشام ورَجَع معه إلى بلاده . ولمـا تولّى خَرْبَنْدَا المُلْك ووزر تاج الدين علىّ شاه قرّب أصيل الدين هذا إلى خَرْبَنْدَا ؛ حتى ولّاه نيـابة السلطنة ببغداد ، ثم عُزِل وصُودِر . وكان كريمـًا رئيسًا عارفًا بعلم النجوم ، لكنه لم يبلغ فيـه رتبة أبيه نَصِير الدين الطُّوسِىّ ، على أنه كان له نظر فى الأدبيات والأشعار ، وصنّف كتبا كثيرة . وكان فيه خيرٌ وشرّ وعدلٌ وجَوْر . ومات ببغداد .

وتُوُفّى الشيخ الصالح القدوة أبو الحسن علىّ ابن الشيخ الكبير علىّ الحَرِيرِىّ شيخ الفقراء الحريريّة . كان للناس فيـه اعتقادٌ وله حُرْمة عند أرباب الدولة ، وكان فيه تواضعٌ وكرم ، وكانت وفاته ببُصْرَى من عمل دِمَشق فى السابع والعشرين من جُمادَى الأُولَى ، وله اثنتان وسبعون سنة .

وتُوفّى الأمير بدر الدين موسى ابن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأَزْكُشِىّ ، كان من أكابر الأمراء وشُجعانهم . مات بدمشق فى ثامن شعبان ودُفِن عند القُبَيْبَات[(٢)] ، وكان شهمًا شُجاعا . ظهر فى نَوْبة غَزْو مَرْج الصُّــفَّر مع التّتار عن شجاعة عظيمة .

وتُوفّى الأمير حُسام الدين قَرَالاجِين بن عبد الله المنصورىّ الأُستادار فى الثامن[(٣)] والعشرين من شعبان ، وأنعم الملك الناصر بإقطاعه على الأمير آقوش الأشرفىّ نائب الكَرَك لمـا أُفرِج عنه ، والإقطاع إِمْرَةُ مائة وعشرين فارسا .

§ أمر النيل فى هذه السنة ـــ المـاء القديم أربع أذرع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا . والوفاء تاسع عشرين مسرى . والله أعلم .

---

(١) فى الأصلين هنا : «الحسن ابن الإمام العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن محمد» ، وتصحيحه عمـا تقدّم ذكره فى وفاة أبيه سنة ٦٧٢ هـ . (ج ٧ ص ٤٥) من هذه الطبعة والمنهل الصافى وشذرات الذهب وفوات الوفيات .

(٢) محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) كذا فى الأصلين والمنهل الصافى . وفى السلوك والدرر الكامنة أنه توفى ثالث عشر شعبان .

*
* *

السنة السابعة من ولاية الملك الناصر الثالثة على مصر، وهى سنة ست عشرة وسبعمائة .

فيها حجّ بالناس من مصر الأمير بَهَادُر الإبراهيمىّ، وأمير الرَّكْب الشامىّ أَرْغُون السِّلاح دار . وحجّ فى هذه السنة من أعيان أمراء مصر الأمير أَرْغُون الناصرىّ نائب السلطنة بديار مصر، وعِزّ الدين أَيْدَمُر الخَطِيرىّ، وعز الدين أيدمر أمير جَانْدَار . وسيف الدين أَرِكْتَمُر السِّلاح دار . وناصر الدين محمد بن طُرُنْطاى .

وفيها تُوُفّى الشيخ الكاتب المجوِّد نجم الدين موسى بن علىّ بن محمد الحلبىّ ثم الدِّمَشْقىّ المعروف بابن بُصَيْص (بضمّ الباء ثانية الحروف) شيخ الكُتّاب بدِمَشْق فى زمانه . وآبتدع صنائع بديعة، وكتب فى آخر عمره خَتْمَةً بالذهب عِوَضًا عن الحِبْر . وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستمائة [(1)]، ومات ليلة الثلاثاء عاشر ذى القعدة . وله شِعْر على طريق الصوفيّة، من ذلك :

وحَقِّك لو خُيِّرتُ فيما أُرِيدُه * من الخير فى الدنيا أو الحظّ فى الأُخْرَى
لَمَا آخترتُ إلّا حُسْنَ نظمٍ يَرُوقُنِى * معانيه أُبْدِى فيه أوصافَك الكُبْرَى

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة صدر الدين أبو عبد الله محمد بن زَيْن الدين عمر بن مَكّىّ بن عبد الصمد العُثْمانى الشهير بابن المُرَحِّل وبآبن الوكيل، المصرىّ الأصل الشافعىّ الفقيه الأديب، كان فريدَ عصره ووحيدَ دهره، كان أُعْجُوبَةً فى الذَّكاء والحِفْظ . ومولده فى شوّال سنة خمس وستين وستمائة بدِمْياط وكان بارعًا مدرسًا مُفْتِيًا، درّس بدِمَشْق والقاهرة وأفتى، وعمره آثنتان وعشرون سنة، وكان يشتغل فى الفقه

(1) فى الأصلين وعقد الجمان : « إحدى وعشرين وستمائة » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى والدرر الكامنة والبداية والنهاية لآبن كثير .

والتفسير والأصلين والنحو، واشتغل فى آخر عمره فى الطبّ، وسمِع الحديث الكُتُبَ الستة ومسند الإمام أحمد، وصنّف «الأشباه والنظائر»(١) قبل أن يَسْبِقه إليها أحد، وكان حَسَن الشكل حُلْو المجالسة وعنده كرمٌ مُفْرِط، وله الشّعر الرائق الفائق فى كلّ فنّ من ضروب الشّـعر. وكانت وفاته فى رابع عشرين ذى الحِجّـة ودُفن بالقرافة فى تربة(٢) الفخر ناظر الجيش. وهو أحدُ مَنْ قام على الملك الناصر وانضمّ على المظفّر بيبرس الجاشْنكير. وقد تقدّم ذكر(٣) ذلك كلّه فى أوائل ترجمة الملك الناصر. ومن شعره:

أَقْصَى مُنَاىَ أن أمُرّ على الحِمَى * ويلوحُ نَوْرُ رِياضِـه فيفُـوحُ
حتّى أرى تُحُبَ الحِمَى كيف البُكَا * وأُعلِّمُ الوَرْقاءَ كيف تنُـوحُ

وله [دُوبيت](٤):

كم قال: مَعاطِفِى حَكَتْها الأَسَلُ * والبِيضُ سَرَقْنَ ما حوتْه المُقَلُ
الآن أوامرى عليهم حَكَمَتْ * البِيضُ تُحَـدُّ والقَنـا تُعتقَـلُ

ولـــه:

عَيّرْتَنِى بالسُّـــقْم طَرْفُكَ مُشْبِهِى * وكذاكَ خَصْرُكَ مثل جِسْمى ناحلًا(٥)
وأراكَ تَشْمَت إذ أتيتُك سائلا * لا بُدَّ أنْ يأتِى عِذَارُك سائلا

قلت: وله ديوان موشّحات وأحسنهم موشّحته التى عارض بها السِّراج المحّار التى أوّلها:

مَا أَخْجَلَ قَدُّه غصونَ البانِ، بين الوَرَقِ * إلاّ سَلَبَ المَهَا(٦) مع الغِزْلانِ، سُودَ الحَدَقِ

(١) فى طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبـد الوهاب ابن تقى الدين السبكى وكشف الظنون للا كاتب چلبى ما يأتى: «وللشيخ صدر الدين كتاب الأشباه والنظائر فى الفروع ومات ولم يحرره».
(٢) بالبحث عن موقع هذه التربة تبين لى أنها قد اندثرت ويتعذر الآن تعيين موقعها بين الترب الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض القرافة المذكورة.
(٣) ارجع إلى صفحات ٨ — ١٠ من هذا الجزء.
(٤) زيادة عن المنهل الصافى وفوات الوفيات.
(٥) رواية هذا البيت فى عقد الجمان:

أورثتنى سـقما وجسمك مشبهى * فلذاك جسمى مثل خصرك ناحلا

(٦) رواية المنهل الصافى: «إلا وسبا المها ... الخ».

وقد ذكرناها بتمامها في ترجمته في تاريخنا «المنهل الصافي» (١) وقطعة جيدة من شعره .

وتوفي الشيخ الأديب البارع المفتن أعجوبة زمانه علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم [بن عمر] (٢) الكندي الوداعي المعروف بكاتب ابن وداعة الشاعر المشهور، أحد من اقتدى به الشيخ جمال الدين ابن نباتة في ملح أشعاره . مولده سنة أربعين وستمائة، ومات ببستانه في سابع عشر شهر رجب بدمشق ودفن بالمزة (٣)، وكان فاضلا أديبا شاعرا عالي الهمة في تحصيل العلوم . سمع الحديث وكتب الخط المنسوب ونظم ونثر وتولى عدة ولايات، وكتب بديوان الإنشاء بدمشق وتولى مشيخة دار الحديث [النفيسية] (٤) وجمع التذكرة الكندية (٥) تزيد على خمسين مجلدا . وله ديوان شعر في ثلاثة مجلدات . ومن شعره :

قال لي العاذل المفند فيها * يوم زارت فسلمت مختاله
قم بنا ندع النبوة في العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

(١) وذكرها أيضا صاحب عقد الجمان وفوات الوفيات وطبقات الشافعية الكبرى .
(٢) زيادة عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) التكملة عن المنهل الصافي وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير . وقد ذكرها صاحب كتاب مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس في أخبار المدارس فقال : دار الحديث النفيسية بالرصيف قبلي المارستان النوري غربي المدرسة الأمينية بالزقاق المعروف الآن (عصر المؤلف) رقاق الزطي . إنشاء النفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد الحراني ثم الدمشقي ناظر الأيتام . توفي سنة ٦٩٦ هـ — كما قال تلميذه ابن كثير — عن نحو سبعين سنة . أول من ولي مشيختها صاحب التذكرة الكندية علاء الدين بن المظفر بن هبة الله الكندي ثم الحافظ البرزالي علم الدين .
وقد ذكرها في خطط الشام حضرة الأستاذ محمد كرد علي وقال إنها قبلي المارستان الدقاق (كذا) وباب الزيادة أي القوافين اليوم على يمنة الخارج منه شمالي غربي المدرسة الأمينية . ثم قال : حدثنا الثقة أنه رأى حجر بابها باقيا بحاله وقد طمس بالطين حتى لا يظهر أثرها وأصبحت دورا .
(٥) بحثنا عليها في فهارس دار الكتب المصرية فلم نجدها . وقد ذكرها صاحب عقد الجمان فقال : جمع فيها أشعارا ووقائع وماجريات ومن كل فن وهي تزيد على خمسين مجلدا . وقال صاحب كشف الظنون : إنها تسمى التذكرة العلائية أيضا .

وله أيضا :

أثخنتْ عَيْنُها الجراحَ ولا إثـ * ـمَ عليها لأنّها نَعْسَاءُ

زاد فى عشقها جنونى فقالوا * ما بهـذا فقلت بى سَـوْدَاءُ

وله وهو أحسنُ ما قيل فى نوع التوجيه[1] :

٥ مَنْ زار بابَك[2] لم تَبْرَحْ جوارِحُهُ[3] * تَرْوِى أحاديثَ ما أُوْلِيتَ من مِنَنِ

فالعينُ[4] عن قُرّةٍ والكَفُّ عن صِلةٍ * والقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حَسَنِ

وله أيضا :

قيل إن شئتَ أن تكون غنيًّا * فتزوّج وكن من المُحْصَنينا

قلتُ ما يقطع الإله بحُـرٍّ * لم يضع بين أظهر المسلمينا

١٠ وقد ذكرنا من مقطّعاته عِدّةً كثيرة فى « المنهل الصافى »، ولولا خشية المَلَل لذكرناها هنا .

وتُوُفّى[5] الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله المنصورىّ المعروف بالأَقْوَم الصغير نائب الشام ببلاد مَرَاغة[6] عندَ ملِك التّتار . وقد تقدّم خروجُه[7] مع الأمير قَرَا سُنْقُر المنصورىّ من البلاد الشاميّة إلى غازان ملِك التتار فى أوائل دولة الملك الناصر

١٥ الثالثة فلا حاجة فى ذكرها هنا ثانيا . وكان مَلِك التتار أقطعه مَرَاغَةَ وقيل هَمَذان[8]

---

(١) هو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين . (٢) رواية معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص : « من أمّ بابك ... » . (٣) فى أحد الأصلين : « جوانحه » .

(٤) هذا البيت يصدق على المعنى الواحد وهو أسماء الأعلام من رواة الحديث، وعلى المعنى الآخر، وهو المناسبة بين القرة والعين والكف والصلة والقلب والجبر والسمع والحسن . (٥) فى الدرر

٢٠ الكامنة وإحدى روايتى المنهل الصافى أنه توفى سنة ٧٢٠ هـ . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٨٤ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٧) راجع صفحة ٣٢ وما بعدها من هذا الجزء .

(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

فأقام بهـا سنتين [1] ، ومات بالفـالج فى ثالث عشر المحرّم . وكان أميرًا جليلًا عارفا مُدَبِّرًا عالىَ الهِمَّة شُجاعًا مِقْداماً . تقـدّم من ذكره نبذةٌ كبيرة فى ترجمـة المظفّر بِيبَرْس الجَاشْـنَكِير . وكانت ولايتـه على دِمَشْق إحدى عشرة سـنة متوالية إلى أن عَزَله الملك الناصر لمّـا خرج من الكَرَك .

٥ وتُوُفِّى الأمير سيف الدين كُشْتاى [2] بن عبد الله نائب طرابُلُس بها. وتَوَلَّى نيابة طرابُلُس من بعده الأميرُ قَرَطاى نائب حِمْص . وولى حِمص بعد قَرَطاى المذكور أَرُقْطاى الجَمَدار .

وتُوفّى الأمير سيف الدين طُقْتَمُر الدمشقىّ بالقاهرة بمرض السلّ . وكان من خواصّ الملك الناصر وأحد من أنشأه من مماليكه .

١٠ وتُوفّى الطواشى ظَهِير الدين مختـار المنصورىّ المعروف بالبلبيسىّ الخـازندار فى عاشر شعبان بدِمَشْق . وكان شهمًا شجاعًا دَيِّنًا ، فرّق جميع أمواله قبل موته على عُتقائه ووَقَف أملاكه على تُربته .

وتُوُفِّيت السيّدة المعمَّرة أُمّ محمد [3] ستّ الوزراء المعروفة بالوزيرة ابنة الشيخ عمر ابن أسـعد بن المُنَجَّا التَّنُوخِيّة فى ثامن عشر [4] شعبان بدِمَشْق ، ومولدها سنة أربع ١٥ وعشرين وستمائة ، رَوَتْ [5] صحيح البخارىّ عن [أبى عبد الله] بن الزَّبيدىّ وصارت رُحْلَة زمانها ، ورُحِل إليها من الأقطار .

(١) فى المنهل الصافى : «فأقام بها سنين» . وفى عقد الجمان : «وكان مقامه هناك ست سنين» .
(٢) ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالعبارة فقال : (بضم أوله وسكون المهملة بعـدها مثناة) . وفى السلوك أنه توفى سنة ٧١٥ هـ . (٣) فى أحد الأصلين والدرر الكامنة : « أم عبد الله» .
٢٠ (٤) فى أحد الأصـلين : « فى ثامن شعبان » . (٥) الزيادة عن المنهـل الصافى والدرر الكامنة .

وتُوُفّى مَلِك التتار[1] خَرْبَنْدا (بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وسكون النون) بن أَرْغُون بن أَبْغَا بن هولاكو بن تُولُو بن جِنْكِزخان السلطان غِياث الدين، ومن الناس من يُسَمِّيه خُدَابَنْدَا[2] (بضم الخاء المعجمة والدال المهملة) والأصح ماقلناه. وخُدَابَنْدَا: معناه عبد الله بالفارسىّ[3]، غيرأن أباه لم يُسَمِّه إلا خَرْبَنْدَا، وهو اسم مهمَلٌ[4] معناه[5]: عبد الحمار. وسببُ تسميته بذلك أنّ أباه كان مهما وُلِد له ولدٌ يموت صغيرًا، فقال له بعض الأتراك: إذا جاءك ولد سَمِّه اسما قبيحًا يعيش، فلما وُلِد له هــذا سَمّاه خَرْبَنْدَا فى الظاهر، واسمه الأصــل أبجيتو[6]؛ فلما كَبِر خَرْبَنْدَا ومَلَك البلادَ كَرِه هــذا الاسم واستقبحه فجعله خُدَابَنْدَا ومشى ذلك بماليكه وهَدَّدَ مَن قال غيرَه ولم يُفِده ذلك إلا من حواشيه خاصّةً. ولمـا مَلَك خَرْبَنْدَا أسلم وتَسَمَّى بمحمد، واقتــدى بالكتاب والسُّنة وصار يُحِب أهل الدين والصلاح، وضَرَب على الدرهم والدينار اسم الصحابة الأربعة الخلفاء، حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الآوِى[7] الرافضىّ، وكان خبيثَ المذهب، فما زال بخَرْبَنْدَا، حتى جعله رافضيًّا وكتب إلى سائرممالكه يأمرهم بالسبّ والرّفْض، ووقع له بسبب ذلك أمورٌ. قال النُّوَيْرِىّ: كان خَرْبَنْدَا قبــل موته بسبعة أيام قــد أمر بإشهار النداء ألّا يُذْكَر أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وعَزَم على تجــرِيد ثلاثة آلاف فارس إلى المدينــة النبوية لينقُل

---

(١) فى السلوك أنه توفى سنة ٧١٥ هـ . (٢) فى عقد الجمان: «بالذال المعجمة» .
(٣) فى المنهل الصافى: «معناه باللغــة العربية عبد الله» . (٤) كذا بالأصــلين .
(٥) فى المنهل الصافى: «خربالغة العجمية الحمار و بندا العبد» . (٦) فى عقد الجمان: «وأما اسمه الأصلى الذى هو بلغة المغل فهو أنجيتو» . (٧) فى الأصلين: «الأودى» وهو تحريف . وصوابه ما أثبتناه عن عقد الجمان وكتاب أعيان الشيعة تأليف السيد محسن الأمين الحسينى العـاملى . طبع دمشق سـنة ١٣٥٨ = ١٩٣٩ إذ ورد فى الكتاب المذكور (ص ٢٧٠ ج ١٤ تحت عنوان تاج الدين الآوى ما نصه: «كان فى زمن السلطان محمد خدا بنده، وكان مقربا عنده ومؤيدا للشيعة . استشهد بعد وفاة السلطان المذكور بسعى أهل السنة وتهمتهم» .

أبا بكر وعمـر رضى الله عنهما من مدفنهما ، فعجّل الله بهلاكه إلى جهنّم وبئس المصـير هو ومَن يعتقد مُعْتَقَدَه كائنًا من كان . وكان موته فى السابع والعشرين من شهر رمضان بمدينته التى أنشأها وسمّاها السلطانية[1] فى أرض قُنْغُرْلان[2] بالقـرب من قَزْوِين ، وتسلطن بعده ولده بُوسعيد فى الثالث عشر من شهر ربيع الأوّل من سنة سبع عشرة وسبعمائة ، لأنه كان فى مدينة أُخرى وأُحْضِر منها وتسلطن . ٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا ؛ والله تعالى أعلم .

السنة الثامنة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، وهى سنة سبع عشرة وسبعمائة . ١٠

فيهـا تُوفّى قاضى القضاة جمـال الدين أبو عبد الله محمد آبن الشيخ أبى الربيع سليمان بن سُوَيْد[3] الزَّوَاوِىّ المـالكى قاضى دِمَشْق بها، فى التاسع من جُمَادى الأولى. وكان فقيهًا عالمـا عالىَ الهمّة محدّثا بارعًا مشكورَ السّيرة فى أحكامه .

---

(١) ذكرها صاحب صبح الأعشى (ج ٤ ص ٣٥٨) فقال : نسبة إلى السلطان وآسمها : قنغرلان . قال فى تقويم البـلدان : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون . ثم قال : وهى عن توريز (تبريز) فى سمت المشرق بميلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها . وهى مدينة محدثة بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو على القرب من جبال كيلان على مسيرة يوم منها، وجعلها كرسى مملكته . وهى فى مستو من الأرض . ومياهها قنى، قليلة البساتين والفواكه، وإنمـا تجلب إليها الفواكه من البـلاد المصاقبة لها . وقد نقل صاحب صبح الأعشى عن مسالك الأبصار كلاما طويلا فى وصف هذه المدينة فراجعه إن شئت . (٢) فى الأصلين : « قنغرلاى » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى وتقويم البلدان . (٣) كذا فى الأصلين وعقد الجمان والسلوك . وفى الدرر الكامنة وشذرات الذهب وآبن كثير . « ابن سومر » . وفى نهـاية الأرب للنويرى : « ابن سومر » . ١٥ ٢٠

وتُوفّى القاضى الرئيس شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله ابن المُجَلّى القُرَشىّ العَدَوِىّ العُمَرِىّ، كاتب السر الشريف بدِمَشْق فى ثالث رمضان ودُفِن بسفح قاسيون . ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان إمامًا فى كتابة الإنشاء عارفًا بتدبير الممالك مليح الخطّ غزير العقل وخَدَم عدة سلاطين ، وكان كاملا فى فنّه لم يكن فى عصره من يُدانيه ولا يُقاربه . ومن شعره ما كتبه للشهاب محمود فى صدر كتاب :

كتبتُ والقلبُ يُدْنِينى إلى أَمَلٍ (١) * من اللّقـاء ويُقْصِينى عن الدارِ

والوَجْدُ (٢) يُضْرِم فيما بين ذاك وذا * من الجَـوانح (٣) أجزاءً من النـارِ

وتُوفّى الأديبُ الفاضل شمس الدين أبو العبّاس أحمـد بن أبى المحاسن يعقوب (٤) ابن إبراهيم بن أبى نصر الطّيبِى الأَسَـدِىّ بطرابُلُس فى سادس (٥) رمضـان . ومولده فى سنة تسع وأربعين وستمائة . وكان كاتب الدَّرْج بطرابلس وكان فاضلا ناظمًا ناثرًا .

ومن شعره :

ما مسّنى الضّيمُ إلّا من أحِبّائى * فليتنى كنتُ قد صاحبتُ أعدائى

ظننتُهـم لى دواءَ الهمّ فانقلبـوا * داءً يَزِيد بهـم هَمّى وأدْوائى

مَن كان يشكو من الأعداء جَفْوَتهم * فإنّنى أنا شـاكٍ من أَوِدّائى

---

(١) رواية فوات الوفيات :

كتبت والشـوق ... ... * ... ... ويثنينى عن الدار

(٢) رواية فوات الوفيات : «والحب ... الخ» . (٣) رواية عقد الجمان وفوات الوفيات : « بين الجوانح ... الخ » . (٤) ذكرنا فى فهرس الجزء الثامن من هـذه الطبعة أن شمس الدين الطيبى هو أحمد بن يوسف بن يعقوب وهذه إحدى روايتى الدرر الكامنة والمنهل الصافى . وقال صاحب الدرر : «وفى معجم الذهبى أحمد بن يعقوب بن إبراهيم بن أبى نصر، وتبع فى ذلك البرزالى» . ووافق المؤلف فى هذه الرواية صاحب شذرات الذهب وعقد الجمان والسلوك .

(٥) فى السـلوك طبع مطبعة لجنـة التأليف والترجمـة والنشر (ج ٢ قسم ١ ص ١٧٨) : « فى سادس عشرى رمضان » .